أثر الحوادث والمنعطفات والتحوّلات
التي مرّ بها لبنان
منذ 17 تشرين الأول 2019 إلى اليوم
على طلّاب الجامعات في لبنان

تنفيذ الدراسة: سعاد أبي سمرا

الدراسة ممولة من: مؤسسة روزا لوكسمبورغ

تشرين الأول 2021

فهرس المحتويات

		صفحة
I- حول الدراسة		
	1- المقدمة	ص. 2
	2- أهداف الدراسة	ص. 4
	3- المنهجية	ص. 5
II- الخلاصة التنفيذية		ص. 11
III- محاور الدراسة		
	1- تأثير المشاركة في انتفاضة 17 تشرين في إعادة تشكيل الهويات الشخصية والاجتماعية للطلاب	ص. 14
	2- التحدّيات في خضم الانهيار الاقتصادي وجائحة كورونا وانفجار مرفأ بيروت، وآراء الطلّاب حول أسباب انكفاء الانتفاضة	ص. 42
	3- الحركة الطلابية في الجامعات، والنهوض بعد انتفاضة 17 تشرين	ص. 56
IV- دراسة حالة – عدد 5		ص. 62

I- حول الدراسة

1- المقدمة

من نظام الطائفية الفاسد إلى ثورة تشرين الشبابية

عانى لبنان على امتداد العقدين الأخيرين من سلسلة من الأزمات السياسية والاقتصادية والمالية المتصاعدة التي كان من أبرز مظاهرها التعاظم الهائل للدين العام، والانكماش الاقتصادي، وضعف وهزال القطاعات الاقتصادية المنتجة، وعجز الاقتصاد المتزايد عن خلق فرص عمل للشباب الذين أصبحت الهجرة أملهم الوحيد، وتصاعد معدلات الفقر والبطالة. ومع تعاظم العجز في الميزان الخارجي وعجز الميزانية وارتفاع خدمة الدين العام وتوقف تدفقات رأس المال الوافدة، وصلت الأزمة الاقتصادية في 2019 إلى مشارف الانهيار والإفلاس المالي. وكان من الواضح أن هذه الأزمات الاقتصادية ترتبط على نحو وثيق بفشل نظام الحكم الطائفي الذي تحول، خلف ستار تقاسم السلطة بين الطوائف، إلى نظام للمحسوبية والفساد، تمكنت من خلاله نخب الطوائف وزعماؤها من الاستيلاء على الدولة ونهب مواردها وتقاسمها. وقد أدى ذلك، بالإضافة إلى تبعاته الاقتصادية والاجتماعية، إلى تقويض قدرات مختلف المؤسسات العامة واستقلاليتها وفعاليتها، مما جعلها أكثر فأكثر عاجزة عن توفير الخدمات العامة الأساسية كالماء والكهرباء وجمع النفايات.

على امتداد هذه الأزمة السياسية والاقتصادية العميقة، شهد لبنان عددا من الحركات الاحتجاجية. فبعد الانتفاضة الاستقلالية الواسعة التي انفجرت مع اغتيال الحريري في 2005 وأدّت إلى انسحاب الجيش السوري من لبنان، عرف لبنان في 2011، بالتوازي مع ثورات الربيع العربي، تحركات شبابية رفعت شعار "إسقاط النظام الطائفي". وفي عام 2015 برزت تحركات احتجاجية استمرت أيامًا عديدة ضد الطبقة الحاكمة تحت شعار "طلعت ريحتكم" (استعملت للتعبير عن تراكم النفايات وتعفّنها في الشوارع والأحياء السكنية). إلا أن هذه الحركات الاحتجاجية، لم تتمكن من تجاوز الانقسامات والانتماءات الطائفية لتكون عابرة للطوائف (بما في ذلك انتفاضة الاستقلال في 2005 التي أعادت صياغة الشرخ الطائفي)، كما أنها في كثير من الأحيان كانت تستثني جزءًا من الفئة الحاكمة. واستطاعت النخب الطائفية الحاكمة دومًا التوسل بالاستقطاب والانقسامات الطائفية لإجهاض تلك التحركات الشعبية عبر تنصيب نفسها قيادة لتلك التحركات واستتباعها وتفتيتها (كما في انتفاضة الاستقلال)، أو عبر استثناء جزء من نخب الطوائف الحاكمة من الاستهداف كما جرى في 2011 و2015 مما كان يدفع إلى انقسام وتفتيت الحراك الشبابي، أو عبر تجييش الجماعات الطائفية المختلفة ضد الحراك الشبابي. وقد عمّق ذلك من تهميش الشباب والطلاب وتفتيتهم وتفريدهم وعزلهم فيما بينهم واستبعادهم من الحياة السياسية والعامة.

وقد أدى نجاح النخبة الأوليغارشية في إفشال الحركات الاحتجاجية وتكريس الاستقطاب والانقسامات الطائفية وهيمنة أقطاب السلطة كل على طائفته، على الرغم من تفاقم الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، إلى انتشار اليأس بين المواطنين من قدرتهم على التأثير في مجرى الأمور وعلى إحداث إي تغيير في نظام المحاصصة الطائفية الذي كان من الواضح أنه يقود لبنان إلى انهيار اقتصادي ومالي واجتماعي وشيك.

في هذا السياق كانت الثورة أو الانتفاضة الثورية الشبابية الهائلة التي انفجرت على نحو عفوي في 17 تشرين الأول / أكتوبر 2019 على خلفية زيادة الضريبة على "الواتس اب"، واستمرت على نحو متواصل على امتداد أكثر من ثلاثة أشهر، واستطاعت إكراه رئيس الحكومة على الاستقالة – كانت حدثًا مفاجئًا للجميع بمن في ذلك الطلاب والشباب الذين كان لهم الدور الرئيسي في انطلاقتها والمبادرة إليها وانتشارها وتنظيم فعالياتها.

ومنذ انطلاقتها، بدا واضحًا أن هذه الانتفاضة الثورية، التي رفعت شعار إسقاط نظام المحاصصة والفساد الطائفي، كانت تتسم بالعديد من عناصر الجدّة والاستثنائية التي تجعلها مختلفة اختلافا كليا عمّا كان قد شهده لبنان من تحركات احتجاجية. ومن عناصر فرادة هذه الثورة وجدّتها انتشارها السريع وغير المسبوق إلى مختلف مناطق لبنان ومدنه وبلداته. ومع الحفاظ على طابعها الشبابي، سرعان ما استقطبت الثورة إليها مئات الآلاف من اللبنانيين من مختلف المناطق الأجيال والطوائف والجماعات على نحو لم يشهده لبنان في تاريخه. ومن أهم عناصر الجدّة أيضًا أن هذه الانتفاضة الثورية التي عمّت لبنان كلّه بمدنه وبلداته، قامت خارج الأحزاب وزعماء الطوائف جميعًا، بل ضد هذه الأحزاب وقيادات الطوائف كلّها. "كلن يعني كلن" كما ردّد اللبنانيون الذين أعلنوا تمرّدهم على زعماء الطوائف ومافياتها الذين استأثروا بالدولة ومواردها غنيمة تقاسموها فيما بينهم. وهي ثورة جمعت للمرة الأولى منذ عقود طويلة، بل منذ الاستقلال، اللبنانيين جميعهم من الطوائف والجماعات كلها، وهذا ما رسم أفقًا جامعًا محتملًا لتوحيد اللبنانيين خارج - لا بل ضد - سلطان زعماء طوائفهم ومافياتهم وشبكات زبائنيتهم. ومن علامات الجدّة والاستثنائية وأهمّها أيضًا، تزاوج هذا الخروج على زعماء الطوائف، بل على الانتماءات والهويات الطائفية كذلك، بتصدّر المسألة الاجتماعية في الانتفاضة الشعبية في كل المناطق واحتلالها موقع القلب من اهتمام المنتفضين ومطاليبهم. فالمطالبة برحيل زعماء الطوائف هو مطالبة برحيل طبقة وعصابة الفساد التي نهبت البلد واقتصاده وأفقرت اللبنانيين.

واتخذت هذه الانتفاضة أيضا طابعا أفقيا ولامركزيًا تجلّى من جهة في غياب ورفض أشكال التنظيم الحزبية التراتبية والقيادة المركزية الموحدة، ومن جهة أخرى في رفض وغياب المركزية الجغرافية مما يسمح بتشكل الهوية والمواطنة والجماعة المحلية لكل واحدة من المدن والبلدات المشاركة في الانتفاضة. هكذا تزاوج الخروج على الطوائف وهوّياتها نحو مواطنة جامعة مع إعادة صياغة مواطنة مدينية محلّية منفتحة ترفض المركزية مجانستها واستتباعها واستبدادها.

وربما يكون أكثر ما يميّز انتفاضة تشرين الثورية، بالإضافة إلى طابعها الشبابي، هو البعد النسوي الذي شكّل إحدى علاماتها الفارقة وساهم في تشكيل هويتها وخصوصيتها. إلا أن ما نعنيه هنا بالبعد النسوي لا يقتصر على المشاركة الكثيفة للشابات والنساء في الثورة وفعالياتها وبروزهن في معظم الأحيان في الخط الأمامي من المواجهات مع أجهزة القمع، وإنما يتجاوز ذلك إلى رفع المطالبات والاهتمامات النسوية واحتلالها موقعًا محوريا في المطالبات والاحتجاجات الثورية وتنظيمها.

2- أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى فهم وتحليل أثر الحوادث والمنعطفات والتحولات التي شهدها لبنان منذ انتفاضة 17 تشرين إلى اليوم على طلاب الجامعات في لبنان، من خلال مقاربة التغيّرات الاجتماعية والثقافية على المستويين الفردي والجماعي، وذلك من خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول: تأثير المشاركة في انتفاضة 17 تشرين على تشكيل وإعادة صياغة الهويات الشخصية والاجتماعية للشباب وعلى شبكة علاقاتهم وانتماءاتهم ومساراتهم.

المحور الثاني: التحدّيات في خضم الانهيار الاقتصادي وجائحة كورونا وانفجار مرفأ بيروت، وآراء الطلّاب حول أسباب انكفاء الانتفاضة.

المحور الثالث: الحركة الطلابية في الجامعات، والنهوض بعد انتفاضة 17 تشرين.

3- منهجية الدراسة

حُدّدت منهجية الدراسة **بالبحث النوعي** (Qualitative Research) الذي اعتمد على أربع وسائل مختلفة لجمع المعلومات؛ مقابلات فردية شبه منظّمة، ومجموعات حوار مركّزة، ودراسة حالات، ومقابلات معمّقة.

1.3- العينة

- طلاب منتسبون حاليًا إلى الجامعات في بيروت وضواحيها، وتتراوح أعمارهم بين 18 و26 سنة.
- أشخاص مطّلعون على أوضاع الجامعات.

وتوزّعت العينة على وسائل البحث النوعي كما يلي:

الوسيلة	العدد	المستفتى
مقابلات فردية شبه منظّمة Semi-Structured Interview	45	طلاب من مختلف الجامعات
مجموعات حوار مركزة Focus Group Discussion	10	تضم المجموعة بين 5 و6 طلاب
دراسة حالة Case Study	5	طلاب من جامعات مختلفة
مقابلات معمّقة In-depth Interview	15	أشخاص من لجان الطلاب، أساتذة جامعات، ومسؤولون في المنظمات المدنية

تم انتقاء العينة من طلاب الجامعات في مدينة بيروت وضواحيها بشكل أساسي للأسباب التالية:

1) تمركز الجامعات في بيروت بشكل عام، سواء الحكومية منها أو الخاصة، الدينية أو العلمانية، ما يسمح باختيار عينة شاملة ومنوّعة من الطلاب ذوي الخلفيات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة.
2) تمركزت انتفاضة 17 تشرين في وسط بيروت ومحيطها بالرغم من امتدادها إلى مناطق مختلفة من البلاد.
3) انفجار مرفأ بيروت - وهو أحد المحاور المهمّة في الدراسة – دمّر أهم المناطق في وسط بيروت حيث تتركز الأنشطة الثقافية والفنية والحياة الليلية وغالبًا ما يرتادها الشباب.

2.3- الفترة الزمنية للبحث الميداني

- تم تنفيذ البحث الميداني خلال مدة شهرين؛ من منتصف شهر شباط حتى منتصف شهر نيسان 2021.
- أجريت كل المقابلات والحوارات عن بعد (أونلاين) عبر منصّة "زوم" تماشيًا مع التدابير الوقائية من جائحة كورونا.

فريق عمل البحث:

شارك في تنفيذ الدراسة 5 باحثين وباحثات:

منفذة الدراسة ومسؤولة فريق البحث سعاد أبي سمرا

باحثة مساعدة: ريمة أبو شقرا

مساعدين وباحثات في العمل الميداني: ريما عليق، علي زيد نور الدين، هديل الزعبي

كما ان جميع الطلاب الذين شاركوا في هذه الدراسة من خلال المقابلات المعمقة والحوارات المركزة كان لهم الفضل الاكبر في انجاح الدراسة. وأيضا كل الذين ساهموا في اعطاء ارائهم من خلال أحاديث ومقابلات تمت معهم.

3.3- المقابلات شبه المنظمة

أجريت المقابلات شبه المنظمة مع 45 طالب/ة (22 طالب و23 طالبة) من 15 جامعة خاصة ورسمية وفروعها المتعدّدة في مختلف أنحاء بيروت وضواحيها بشكل رئيسي، إضافة إلى طلّاب من جامعات خارج بيروت نظرًا لأهميتها وعدد طلابها كجامعة الروح القدس في الكسليك، وجامعة سيدة نوتردام في زوق مصبح.

بالنسبة للجامعة اللبنانية، فبالإضافة إلى فروعها المنتشرة في بيروت، تم استطلاع طلاب من كلّياتها المتواجدة في مجمّع الحدث الجامعي. كما كان عدد الطلاب المشاركين من الجامعة اللبنانية في العينة هو الأكبر انسجامًا مع كون الجامعة اللبنانية تضم العدد الأكبر من الطلاب في لبنان.

توزّع الطلاب المشاركين في المقابلات شبه المنظة بحسب الجامعة والجنس

الجامعة		أنثى	ذكر	المجموع
1الجامعة اللبنانية[1]	LU	7	4	11
الجامعة اللبنانية الأميركية	LAU	3	3	6
الجامعة الأميركية في بيروت	AUB	3	2	5
الجامعة العالمية اللبنانية	LIU	3	2	5
جامعة القديس يوسف	USJ	2	1	3

[1] - ضمت كليات الجامعة اللبنانية، إضافة الى مجمع الحدث، الفروع الموجودة في الأونيسكو، ساقية الجنزير، الفنار، الدكوانة، الاشرفية وفرن الشباك.

الجامعة الأميركية للعلوم والتكنولوجيا	AUST		2	2
جامعة البلمند	UOB	1	1	2
جامعة نوتردام اللويزة	NDU	1	1	2
جامعة بيروت العربية	UAB		2	2
جامعة الروح القدس	USEK	1	1	2
جامعة الألبا	Alba	1		1
الجامعة العربية المفتوحة	AOP		1	1
الجامعة الإسلامية	IUL	1		1
جامعة رفيق الحريري- اللبنانية الكندية	RHU		1	1
جامعة الحكمة	ULS		1	1
المجموع		**23**	**22**	**45**

توزع الطلاب المشاركين في المقابلات شبه المنظمة بحسب أماكن إقامتهم وطوائفهم

توزّع الطلاب على عشرة أقضية؛ أغلبهم (42%) يقيم في بيروت، و11% في بعبدا و11% في المتن.

توزّع الطلاب على مختلف الطوائف؛ 60% من الطوائف المسلمة و 40% من الطوائف المسيحية.

الطائفة/المذهب / **قضاء السكن**	**مسيحي**	**شيعي**	**سني**	**درزي**	**المجموع**
بيروت	3	9	7		19
المتن	5				5
بعبدا	1	3	1		5
عاليه		1	1	3	5
كسروان	5				5
جبيل	2				2
الشمال	1				1
الشوف				1	1
الكورة	1				1
صور		1			1
المجموع	**18**	**14**	**9**	**4**	**45**

4.3- مجموعات الحوار المركزة

أجريت 10 مجموعات حوار مركزة مع 51 طالب من 6 جامعات مختلفة في بيروت، وهي جامعات أساسية تضم أعدادًا كبيرة من الطلاب.

تألفت كل مجموعة حوار مركزة من 4 إلى 6 طلاب. وتم ضمان التوزيع المتساوي للطلاب بين الإناث والذكور، وبين الفئات العمرية ذات الصلة أي من عمر 18 الى 26 عامًا عند اختيار المشاركين. كما شارك طلاب من فئات اجتماعية واقتصادية متنوعة دون استبعاد الفئات المهمّشة كمثليي الجنس وذوي الاحتياجات الخاصة.

توزع الطلاب المشاركين في مجموعات الحوار المركزة بحسب الجامعات والجنس

الجامعة		عدد المجموعات	أنثى	ذكر	المجموع
الجامعة اللبنانية	LU	4	12	11	23
الجامعة العالمية اللبنانية	LIU	2	6	3	9
الجامعة الأميركية في بيروت	AUB	1	3	3	6
جامعة القديس يوسف	USJ	1	3	2	5
الجامعة اللبنانية الأميركية	LAU	1	2	2	4
جامعة بيروت العربية	UAB	1	1	3	4
	المجموع	**10**	**27**	**24**	**51**

توزع الطلاب المشاركين في مجموعات الحوار المركزة بحسب أماكن إقامتهم وطوائفهم

توزّع الطلاب على عشرة أقضية؛ أغلبهم (39%) يقيم في بيروت ومحيطها، و 29% في قضاء بعبدا.

توزّع الطلاب على مختلف الطوائف؛ 67% من الطوائف المسلمة و 33% من الطوائف المسيحية.

الطائفة/المذهب / مكان السكن	سنّي	مسيحي	شيعي	درزي	المجموع	النسبة
بيروت	10	3	7		20	39%
بعبدا	3	6	5	1	15	29%
المتن		6			6	12%
صيدا	4				4	8%
البترون		1			1	2%
الجنوب	1				1	2%
الشوف	1				1	2%
النبطية			1		1	2%
عاليه				1	1	2%
كسروان		1			1	2%
المجموع	**19**	**17**	**13**	**2**	**51**	**100%**

5.3- دراسة حالة

أنجزت 5 دراسات لحالات مع طلاب جامعيين كتحقيق مكثف ومعمّق لوصف مسارهم الكامل الذي يبدأ قبل انتفاضة 17 تشرين، وموقفهم منها، واستكشاف التغيّرات التي عاشوها في العام الماضي والخبرات التي اكتسبوها، وربطها بوضعهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

أما فيما يخص انتقاء الحالات الخمس، اختير الطلاب من بين الذين أجريت معهم المقابلات شبه المنظمة أو الذين شاركوا في مجموعات الحوار المركزة، وكان مسارهم مميزًا والتغيرات جذرية في حياتهم الشخصية منذ 17 تشرين 2019 حتى اليوم.

6.3- المقابلات المعمقة

أجريت 15 مقابلة معمّقة مع أشخاص مطّلعين على أوضاع الجامعات من بينهم؛ نشطاء وأعضاء ومسؤولون عن شبكات شبابية وإعلامية مختلفة، بالإضافة إلى أعضاء لجان وهيئات في الجامعات.

1	عماد عامر	مهندس وعضو ناشط في مجموعة لحقي
2	سيلفانا اللقيس	رئيسة اتحاد المعوقين/ ناشطة في المجتمع المدني
3	بشار عبد الصمد	استاذ في الجامعة اللبنانية- مهندس ناشط في النقابة تنتفض
4	وفاء أبو شقرا	استاذة الجامعة اللبنانية- مرشحة عن حركة المستقلين
5	طارق عمار	عضو ناشط في بيروت مدينتي
6	علي نور الدين	أحد مؤسسي النادي العلماني
7	ميشال صليبا	أحد مؤسسي التكتل الطلابي الجامعة اللبنانية
8	مايا عز الدين	التجمع النسوي/ عضو في مجموعة لحقي
9	وليد الحسين	صحافي في المدن/ له المام بمجموعات 17 تشرين الناشطة
10	روي جريجري	استاذ وباحث في الجامعة اللبنانية
11	بشار الحلبي	باحث / من مؤسسي مجموعة منتشرين
12	علي مراد	استاذ حقوق في جامعة بيروت العربية/ ناشط مجتمع مدني
13	سمير سكيني	عضو سابق بقطاع الشباب والطلاب في الحزب الشيوعي
14	بلال ياسين	من مؤسسي "تكتل طلاب الجامعة اللبنانية"
15	لارا بيطار	من مؤسسسي "مصدر عام" وناشطة نسوية

7.3- أهم المعوقات التي واجهت العمل الميداني

خلال انجاز الحوارات المركزة، لاحظنا ان مشاركة أكثر من 5 أشخاص كان يعيق الحوار لعدة أسباب:

- ان الحوارات التي كان يتواجد فيها خمسة أو أكثر أشخاص، كانت تتطلب وقت طويل، يتخطى أحيانا الساعتين، خاصة ان مواضيع الحوار كانت متعددة. كان هذا يؤدي غالبا الى انسحاب بعض المشاركين نظرا لضيق وقتهم وخاصة في فترة امتحاناتهم.
- صعوبة التواصل ضمن مجموعة الحوار الواحدة التي تضم أكثر من خمسة أشخاص مشاركين، وذلك بسبب انقطاع الكهرباء والانترنيت عدة مرات خلال الحوار. هذا ما كان يجعل بعض المشاركين ينقطعوا كاملا عن التواصل ولا يكملوا الحوار، واخرين ينقطعون ويحاولون الدخول مجددا الى الحوار. هذا ما كان أحيانا يؤدي الى تقطع الحوارات و عدم تركيز المشاركين، كما ايضا يؤدي الى ضياع الوقت اما بانتظاهم للعودة، أو اعادة الحديث والاسئلة مجددا.
- صعوبة ايجاد أكثر من 5 طلاب يتفرغون لنا في نفس الوقت نظرا لحلول امتحاناتهم خلال البحث الميداني ما بين منتصف شهر اذار حتى منتصف نيسان.
- كان وجود الباحث المساعد ضروري خلال الحوارات، لكي يتواصل مع المشاركين الذين يخرجون من الحوار كلما انقطعت الكهرباء او انقطع الانترنيت، وايضا في حال عدم التمكن من التسجيل، كان الباحث المساعد يقوم بكتابة الحوار.

لتلافي كل هذه الصعوبات التي كنا نواجهها، عمدنا الى تخفيض عدد المشاركين في الحوار الى خمس أشخاص على الأكثر. هذا ما سهل علينا ادارة الحوارات من جهة، احترام وقت المشاركين، ضمان مشاركة الجميع وتحسين نوعية ادارة الحوار.

8.3- أخلاقيات البحث

تم الالتزام خلال البحث بالمبادئ الأخلاقية التالية:

• احترام المشاركة التطوعية لكل الطلاب والطالبات، والحصول على الموافقة المسبقة منهم/ن قبل بدء المقابلات وجمع البيانات. كما تم إطلاعهم/ن بشكل كامل على هدف الدراسة.

• تقليل المخاطر من خلال ضمان أن المعلومات التي يتم جمعها ستفيد الشابات والشبان أكثر من تعريضهم للخطر أو إحراجهم.

• ضمان السرية للمعلومات ، من مرحلة جمع البيانات إلى معالجة البيانات وتحليلها ، إلى نشر النتائج. لن يتم الكشف عن المعلومات بغض النظر عن الرأي السياسي أو الديني أو غير ذلك.

عدم التمييز أو التحيز لاي رأي او دين أو منطقة أو موقف سياسي عند تحليل المعلومات، وقد تم نقل اراء الطلاب والطالبات بكل شفافية اخذين بالاعتبار حساسية النوع الاجتماعي والثقافي.

II- الخلاصة التنفيذية

- لم يكن لدى غالبية الطلاب قبل 17 تشرين أي اهتمام فعلي لمعرفة الأوضاع السياسية في لبنان، بل عملوا على التأقلم مع أزمات البلد العديدة وتعاملوا معها كأنها نمط للحياة الطبيعية في لبنان.

- على الرغم من بعدهم عن السياسة، كانت انتماءات الطلاب السياسية بغالبيتها العظمى قبل 17 تشرين متطابقة مع انتماءات أهاليهم وبيئتهم، سواء كانت الانتماءات حزبية/طائفية أو مستقلّة. البعض تبنّى انتمائه بشكل عاطفي، والبعض الآخر زعم أنه تبنّاها بعد اقتناع. هذا التطابق الكلّي في انتماءات الطلاب مع أهاليهم ومحيطهم مردّه التقسيمات المناطقية التي ترسّخت في الحرب الأهلية واستمرت حتى يومنا هذا.

- ألهبت انتفاضة 17 تشرين حماسة الطلاب، فانضمّوا إليها وكأنهم استيقظوا فجأة من سبات عميق. انتبهوا إلى مدى تردّي الأوضاع في البلد وانتفضوا. نزلوا إلى الساحات قبل تبلور مطالبهم، لكنهم كانوا على يقين من أمر واحد؛ ألا وهو رفضهم لكل الطبقة السياسية، فردّدوا شعار "كلّن يعني كلّن".

- تبلورت مطالب الشباب والطلاب تدريجيًا، وتفتّح وعيهم السياسي في لقاءات الشارع. ظهرت المجموعات المتعدّدة مع توافد الناس الكثيف إلى الساحات، وكل منها يحمل مطالب مختلفة، بدءا من محاسبة الفساد، والحقوق المعيشية، وحقوق المرأة، وصولًا إلى حقوق الفئات المهمشة.

- ذُهل الشباب أنفسهم بالأعداد الكبيرة المشاركة بالانتفاضة بما فيها أعداد الطلاب. سعدوا بلقاء بعضهم البعض، قادمين من مناطق وأديان وطبقات مختلفة؛ "هذا هو لبنان المتخيّل الذي كانوا دومًا يحدّثوننا عنه، لقد وجدته، إنه موجود فعلا".

- الاختلافات المتواجدة في الساحات والمنادية جميعها بنفس الهدف أدهشت الشباب. فالكل لا يريد سوى "أن يعيش بشكل طبيعي". هذا الشعور العارم بالاندماج مع الجموع، شجّع الشباب على التخلّي عن انتماءاتهم الطائفية والحزبية، ولمرّة أولى، على تركز اهتمامهم على حقوقهم كمواطنين. ورأى الجميع في 17 تشرين فرصة لتغيير الواقع اللبناني مع تجمهر الناس في الساحات، وعلى امتداد الوطن، حاملين الهدف نفسه؛ "العيش الكريم".

- شكّلت 17 تشرين مرحلة انتقالية لغالبية الطلاب، إذ زاد شعورهم بالمسؤولية تجاه بلدهم، وتطور وعيهم السياسي، وانكسر لديهم حاجز الخوف من الآخر. وبالنسبة لبعض الطلاب، كانت 17 تشرين فرصة لإعادة النظر بانتماءاتهم السياسية والتفكير فيها، فتجرّؤوا على التغيير الجذري علانية رغم صعوبة ذلك.

- كان لانتفاضة 17 تشرين أثرها الكبير على شخصية الطلاب المشاركين بها، وغيّرت فيهم على أكثر من صعيد:
  - وطّدت شعورهم بالانتماء إلى "الوطن" بدلًا من ولاءاتهم إلى الأحزاب والطوائف.
  - متّنت علاقاتهم بالأماكن والساحات، فأصبحت أكثر حميمية، بعد أن كانوا محرومين من المساحات العامة.
  - حسّنت نظرتهم إلى المرأة بعد مشاركتها الفعّالة في الانتفاضة، وصاروا بشكل بشكل عام أكثر اقتناعًا بأحقيّة مطالبها.
  - البعض منهم تعرّف للمرة الأولى خلال الانتفاضة إلى المجموعات المثلية، ومنهم من صار متقبّلا لها أو مساندًا لمطالبها.
  - رمّمت علاقتهم باللغة العربية التي كانت وحدها "لغة الثورة" المستخدمة بالهتافات والشعارات والخطابات. وبالتالي أحيت الانتفاضة علاقة الطلاب الفرانكوفون والأنغلوفون بلغتهم الأم، ما يعني أيضًا بهويتهم.
  - دفعت الانتفاضة إلى تغيّرات فردية-داخلية لدى الطلاب، فأعادوا التفكير بخياراتهم الوطنية والسياسية، ما ولّد نوعًا من التشنج في علاقاتهم مع أهلهم ومحيطهم بعد تمرّدهم على انتماءات الأهل والمحيط.

- ثلاث كوارث كبرى ألقت التحديات أمام الطلاب والفئات الشابة وحدّت من اندفاعهم في الانتفاضة؛ جائحة كورونا، الانهيار الاقتصادي والمالي، وانفجار مرفأ بيروت.

- ألزمت جائحة كورونا الطلاب منازلهم وغيّرت من أسلوب حياتهم (كما الجميع أينما كان). منهم من استأنس العزلة واستغلّ الوقت بأمور يتوق إليها أو التعمّق بإدراك ما يريده وفهم علاقاته مع الآخرين. أما الحجر مع العائلة، فكان فرصة للبعض لتمتين العلاقات الأسرية، وسببًا للبعض الآخر في خلق التشنجات داخل الأسرة. طبعًا، كلما زاد عدد أفراد الأسرة وضاقت مساحة المنزل، كلما زادت التشنجات وحدّتها.

- الدراسة عن بعد كان لها وما عليها. فمن جهة وفّرت على الطلاب الوقت الذي كانوا يهدرونه على الطريق إلى الجامعة وأيضًا تكاليف السكن الجامعي للطلاب القادمين من مناطق بعيدة. لكنها من جهة أخرى حرمتهم من التفاعل فيما بينهم، خصوصًا طلاب السنة الجامعية الأولى. كما برزت الفروقات بين طلاب الفئة الميسورة والمتوسطة في الجامعات الخاصة وبين طلاب الجامعة اللبنانية الرسمية، فبالإضافة إلى انقطاع الكهرباء وتردّي الانترنت، كان أساتذة الجامعة اللبنانية أقل جهوزية للتدريس عن بعد.

- الانهيار الاقتصادي والمالي الهائل غيّر من أسلوب عيش الطلاب ومن نمط استهلاكهم للسلع والخدمات، كما زاد من شعورهم بالمسؤولية تجاه أهلهم، وعدّل من مشاريعهم المستقبلية في استكمال دراساتهم العليا، وضاعف قلق العديد منهم حيال قدرتهم على متابعة دراستهم في ظل ارتفاع ودولرة الأقساط الجامعية وغلاء أسعار اللوازم الدراسية.

- انفجار مرفأ بيروت كان التجربة الدموية الأولى التي يعيشها الطلاب، والتي تركت في نفوسهم صدمة عميقة تحوّلت فيما بعد إلى الشعرة التي قسمت ظهر البعير. فبعد كارثة المرفأ، توقّع الطلاب أن الثورة ستشتعل من جديد وأن غضب الناس سيزلزل الأرض تحت أقدام السلطة المجرمة، لكنهم فوجئوا أن تحرّك 8 آب جوبِه بوحشية غير مسبوقة من قبل القوى الأمنية، ما زاد قناعتهم أن لا أمل يُرجى من هذا البلد.

- غالبية الطلاب صارت تنظر إلى لبنان كمقبرة لأحلامهم أو كمكان يستحيل فيه العيش الكريم. رغبة الطلاب بالرحيل عن هذا البلد هي الطاغية حاليا، باستثناء قلة منهم تفضّل البقاء ومواصلة النضال أو لأنها لا تحبذ أسلوب الحياة في الخارج.

- حالة الاحباط حادة لدى الطلاب. فالذين شاركوا بانتفاضة 17 تشرين وآمنوا بها، علّوا سقف توقعاتهم، وحين انكفأت الانتفاضة دون تحقيق اي من مطالبها، بل على العكس، تدهورت أوضاع البلاد بشدّة نتيجة الكوارث الثلاث، أصيبوا بنكسة نفسية كبيرة.

- أسباب انكفاء انتفاضة 17 تشرين متعدّدة بحسب رأي الطلاب، أهمها هو انعدام وجود بديل سياسي "ناضج" وواضح يشعرهم بالثقة. كما أن ضغط الأهل على الطلاب و/أو الضغط الحاصل على الأهل من قبل الأحزاب الطائفية المهيمنة لعب دورًا في انسحاب كثرة من الطلاب من الانتفاضة.

- بعض الطلاب انسحب من الانتفاضة بعد أيام قليلة، إذ شعروا بصعوبة التفلّت من أجوائهم والخوف من الانسلاخ عن محيطهم الذي اعتادوا الالتصاق به عاطفيا وطائفيا وخدماتيا وجغرافيا.

- غالبية الطلاب عبّرت عن رغبتها بالتغيير، لكن قصد البعض منهم كان تغيير "الأشخاص" وليس تغيير "النظام". فبالنسبة لهم الفساد هو المشكلة وليس النظام. بحسب رأيهم، لبنان بلد متعدد الطوائف ويجب الحفاظ على الطوائف في النظام القائم.

- بالنسبة لشريحة كبيرة من الطلاب، سبّب غياب "البديل" مشكلة لديهم، خصوصًا وأنهم يخافون البديل العلماني اللا-طائفي. فهم لم يتمكّنوا بعد من التحرر، ولا حتى من مراجعة الموروثات التي تلقوها من عائلاتهم ومحيطهم.

- الجامعات قبل 17 تشرين كانت حكرًا لهيمنة أحزاب السلطة، لكن بعد انتفاضة 17 تشرين، نشأت مجموعات طلابية جديدة، وزاد زخم المجموعات المستقلّة التي تأسست قبل الانتفاضة، فصارعوا أحزاب السلطة في انتخابات المجالس الطلابية وربحوا في العديد من الجامعات.

- لا يمكن الجزم إن كانت أسباب نجاح المجموعات المستقلّة في الانتخابات الجامعية مردّها تطور ذهنية الطلاب بعد انتفاضة 17 تشرين، أو مجرد ضعف أحزاب السلطة في ظل انهيار الأوضاع الحالية وضعف قدرتها على الاستثمار الزبائني في الجامعات.

III- محاور الدراسة

المحور الأول:

تأثير المشاركة في انتفاضة 17 تشرين في تشكيل وإعادة صياغة الهويات الشخصيّة والاجتماعية للشباب، وفي شبكة علاقاتهم وانتماءاتهم ومساراتهم.

يتألف المحور الأول من قسمين:

القسم الأول: انتماءات طلّاب الجامعات السابقة على الانتفاضة، وصلتهم بالحياة والجماعات السياسية اللبنانية وأحزابها

1.1- إنكار الأزمة والعيش المصطنع

2.1- انتماءات سابقة على 17 تشرين؛ إرث الحرب الكبير

القسم الثاني: إعادة تشكيل وصياغة الهويات الشخصية والاجتماعية لطلاب الجامعات في خضم الانتفاضة

1.2- المشاركة في انتفاضة في 17 تشرين

2.2- يقظة الشبّان/ات

3.2- محاور تغيّر الشبّان/ات في خضم الانتفاضة:

1.3.2- الانتماء إلى لبنان الثورة بدلًا من الولاءات الفرعية

2.3.2- تغيّر العلاقة بالأماكن العامة والتعبير

3.3.2- تغيّر نظرة الشباب لدور المرأة والمطالب النسوية والمجموعات المثلية

4.3.2- تغيّر علاقة الفئات الشابة باللغة العربية

5.3.2- تغيّر علاقة الشبّان/ات ببيئاتهم وعائلاتهم

6.3.2- تغيّرات ذاتية - فردية ونفور من أحزاب السلطة

القسم الأول:

انتماءات طلاب الجامعات السابقة على الانتفاضة، وصلتهم بالحياة والجماعات السياسية اللبنانية وأحزابها

1.1- إنكار الأزمة والعيش المصطنع

قبل انتفاضة 17 تشرين 2019، كانت معظم الفئات الشابة والطلابية في لبنان (من سن 18 إلى 25 سنة) لا تهتم بالأوضاع السياسية اللبنانية وفهمها باستثناء قلّة من أفراد ومجموعات صغيرة من ناشطين لديهم وعي سياسي، إذ كانوا يعَوْن حجم الأزمة، ويحاولون أن ينشطوا بشكل أو بآخر بالرغم من ضيق المساحات المتوفرة لهم وضعف أملهم بإمكانية التغيير.

"كنا نرى المشاكل من حولنا، وكنت دائما أنشط مع مجموعات مستقلة في الجامعة وأشارك بالتظاهرات، إلا أنني لم يكن لدي أي أمل بأنه بإمكاننا تغيير أي شيء." طالب في الجامعة اللبنانية، 21 سنة، من الجنوب.

لكن على وجه العموم، كان الطلاب يدركون المشكلات السياسية والاقتصادية والمعيشية، وغير غافلين عمّا يفعله الزعماء ورجال السلطة من تحاصص للمناصب والنفوذ ومقدّرات البلاد، ويعرفون أيضًا مدى غرق كل منهم في الفساد والإفساد، لكنهم كانوا لا يكترثون لهذه الأمور ويستبعدون في الوقت عينه أن يفضي الوضع القائم إلى أزمة توصل البلاد إلى الانهيار على الرغم من تواتر الكلام وكثرة التحليلات التي تشير إلى التردّي الشديد في الأوضاع الاقتصادية والمالية والاجتماعية.

اعتاد الشبّان/ات على العيش في بلد مأزوم أو معتل، وتكيّفوا مع أزماته كأنها عادية أو طبيعية، في حين اقتصر الوعي والنشاط السياسي على قلّة من الشباب. تصرّف الموالون منهم للأحزاب المهيمنة في بيئاتهم والضالعة في تقاسم السلطة كأن الأزمة لا تعنيهم مباشرة أو لا يتحمّلون مسؤوليتها. والبعض الآخر من الشباب حمّل المسؤولية لجيل الحرب الأهلية (1975 - 1990) ولأهلهم المنتمين إليه. أما كثيرون من الشباب لم يكفّوا عن التفكير في السفر أو الهجرة بعد تخرّجهم من الجامعات، مدركين أن لا مستقبل لهم في لبنان لندرة فرص العمل وصعوبة بناء حياة كريمة فيه.

"كنا سعداء في البلد، الأشياء الأساسية مؤمنة لنا، وحياتنا حلوة رغم أن هناك مشاكل. لم نكن نعتبر أن الأزمة التي نعيشها هي أزمة تأسيسية وأنها ستؤدي الى الانهيار. كنا نقول أن غدا، سيعودون إلى الاتفاق كعادتهم والأزمة ستنحل ونعود نحن إلى حياتنا الطبيعية." - طالبة في الجامعة الأميركية، 21 سنة، من سكان بيروت.

"لم أكن أحب السياسة ولا أتابعها. كان أهلنا يتذمرون دائما من سوء الأوضاع، لكننا كنا نعتبر أن الأزمة ليست مشكلتنا ولسنا معنيين بها، وأنها ستمر كباقي الأزمات. كنا دائما نتعايش مع هذا الوضع بشكل طبيعي لأننا لم نعرف غيره منذ طفولتنا." - طالبة في جامعة القديس يوسف، 19 سنة

""البلد مش راكب" ولديه مشاكل كثيرة، هذا ما كنا نسمعه من أهالينا منذ صغرنا. لكن هذا الوضع السيء لم يكن يمنعنا من العيش كشباب رغم كل الشوائب، نعيش وكأنه شيء عادي." - طالب في الجامعة اللبنانية الأميركية، 20 سنة.

2.1- انتماءات سابقة على 17 تشرين؛ إرث الحرب الكبير

يبدو جليًّا أن أثر الحرب الأهلية عنصر أساسي وبالغ الأهمية في تحديد انتماءات جيل الشباب والطلاب. فبعد مرور ثلاثة عقود على انتهاء الحرب، ما زال الاختلاط الاجتماعي والطائفي بين اللبنانيين وفئاتهم الشابة مقتصرًا على قلّة من أحياء بيروت وجامعاتها. لذا صعُب التعارف والاختلاط بين الشبّان/ات والطلاب، وقلّ اتصالهم بمجتمعات ومناطق وطوائف أخرى، فظلّت هوياتهم الفردية لصيقة بالبيئة التي يقيمون فيها. وبالرغم من التجانس الطائفي في معظم أحياء بيروت، بقيت بعض أحيائها وأماكنها مساحةً لاختلاط بعض الفئات الشابة والطلابية من طوائف ومناطق متنوعة، علمًا أن الأغلبية كانوا متأثرين ببيئاتهم وأهلهم في تكوين هوياتهم الشخصية. وينطبق هذا الأمر على الذين لم يعيروا السياسية اهتمامهم، وكذلك على الذين يقومون بنشاط سياسي ما ويعتبرون أنفسهم كمستقلّين. فهؤلاء الشبّان/ات لم يكونوا منفصلين عن عائلاتهم وأحزاب بيئاتهم في نظرتهم إلى الحياة العامة، بحيث تنبع نظرتهم من إحساس متفاوت بالانتماء إلى تلك البيئات اجتماعيًا وعاطفيًا، دون قناعات فكرية. وهذا يبيّن أن تجانس المناطق طائفيًا تحوّل واقعًا اجتماعيًا وسكانيًا، وأصبح عاديًا ومبررًا لدى الفئات الشابة. ولم يتردد بعض الطلاب لدى سؤالهم عن التعريف بأنفسهم في القول، مثلا: "أنا شيعي، وأؤيد الثنائي الشيعي"، وهذا نظير القول: "أنا مسيحي، وحتمًا مؤيد للقوات اللبنانية أو للتيار العوني"، أو: "أنا سنّي بيروتي وأؤيد تيار المستقبل".

> "لا شك بأن انتماء أهلي والمحيط الذي أعيش فيه أثّر على انتمائي، لكن أهلي لم يطلبوا مني أبدا أن أكون مع التيار الوطني الحر، بل كان لي الحرية في الاختيار وأنا اخترت التيار العوني." - طالب في الجامعة اللبنانية الأميركية في جبيل، 21 سنة، من جبيل.

ومثلما اعتبرت الفئات الشابة أن الوضع السياسي لا يخصّها، اعتنقت انتماءات أهلها وبيئتها تلقائيًا وكأنها غير معنيّة بهذا الأمر أيضًا. وكأن من البديهي أن يكون الانتماء السياسي مطابقًا وتابعًا لبيئة الأهل والطائفة دون أدنى إعادة تفكير بذلك، وكأن الانتماء لم يعد اختيارًا بل قدرًا لا مجال من الإفلات منه، كون الخروج عنه يعني الخروج من مكانهم وبيئاتهم وشبكة علاقاتهم خصوصًا وأن البديل غير موجود بالمقابل.

ويظهر جليًا أن معظم المناطق اللبنانية مقسمة طائفيًا واجتماعيًا، وأن الفئات الشابة غالبًا ما تبقى محصورة في بيئتها؛ المدارس وأحيانًا الجامعات والأماكن التي ترتادها، ما استتبع ذلك انفصال جغرافي واجتماعي وسياسي بين المناطق. وبالتالي استمرت معظم الجماعات اللبنانية وفئاتها الشابة في تبادل صور نمطية عن بعضها البعض، متعلقة بأنماط حياتها وهوياتها الطائفية والسياسية والاجتماعية، وهي صور سابقة من الحرب واستمرت بعدها واتخذت أشكالًا ومضامين متحوّلة. أدّى هذا الوضع الى انكفاء الشباب داخل بيئاتهم ومناطقهم، واضمحلال أي احتمال آخر لانتماءاتهم في ظل انعدام وجود بدائل متاحة لشريحة كبيرة من الطلاب لإيجاد تمايز عن أهلهم أو حتى قطيعة معهم. وحتى هؤلاء الطلاب الذين ينتقلون للعيش في بيروت بمفردهم وبعيدًا عن عائلاتهم (خاصة المسيحيين منهم) لا ينقطعون عن محيطهم وعائلاتهم، إذ يعودون إلى بلداتهم نهاية كل أسبوع، ولا ينسجون علاقات أو حياة لهم في بيروت في ظل ميل إلى العصبية. أما الطلاب الذين يأتون من الجنوب إلى بيروت، يقيمون علاقاتهم مع المدينة وخاصة ضواحيها، كما يحاولون انشاء علاقاتهم في بيروت إلا أن محيطهم يبقى طاغيًا ويحول دون جعل انتماءاتهم مستقلة.

من الواضح أن الدولة تفرّع منها نوع من دويلات وكانتونات، ذات حدود واضحة، وأنها تتجه أكتر وأكتر نحو الانغلاق منذ الحرب الأهلية حتى اليوم. فانتماءات الفئات الشابة والطلابية لم تكن حزبية أو طائفية فحسب، بل اجتماعية/ثقافية، وتنبع من شكل العلاقات ونمطها في محيط عيشهم الذي يجذبهم إليه بقوته، أو يستبعدهم في حال خروجهم عليه. فالنظام الطائفي القائم فرض على الناس التماهي مع بيئاتهم الطائفية وزعمائها السياسيين، بالإضافة إلى النظام الزبائني الخدماتي الذي يحكم العلاقات ونمط الحياة والذي يجعل التفلّت منه صعبًا، فصارت الطوائف بأحزابها وأجهزتها ركيزة الهويات السياسية والحياة السياسية، وتغلُّب الانتماء الوطني.

بينت شهادات ومقابلات البحث مروحة من العوامل الفاعلة في الانتماءات وأشكالها ومضمونها:

انتماء عاطفي تلقائي: عدد كبير من الطلاب الذين لديهم نفس انتماء أهاليهم وبيئتهم، لم يكن انتماءهم السياسي سوى انتماء عاطفي لبيئاتهم وأجوائهم التي غالبًا لا يختلطون بغيرها، ويعتبرون بأن التماهي بالأهل هو المصير الطبيعي لانتمائهم. كما يعتبرون بأن أهلهم الذين عايشوا وربما شاركوا في الحرب وانتسبوا الى الأحزاب هم الذين يملكون الوعي والخبرة في الأمور السياسية أكثر منهم، ومنهم يستمدّون الولاء والتبعية.

" قبل 17 تشرين لم يكن لدي وعي سياسي، ولم أكن أعرف من مِن السياسيين كان على حق ومن منهم كان على خطأ. لكن أهلنا الذين كبروا مع هذا المجتمع المليء بالفساد يعرفون أكثر منا، ومنهم نتعرف الى الصح والخطأ. وحتى لو كان لدي الوعي بالأمور السياسية، فليس لدي خبرة كبيرة كأهلي في هذا الموضوع. أن الأهل يتركون أثر كبير على طريقة تفكير جيلنا." - طالبة من جامعة البلمند ، 19 سنة، من ضهور الشوير.

"أنا مع القوات منذ أن كنت في الخامسة عشرة من عمري، أبي كان مقاتلا مع القوات اللبنانية خلال الحرب هو ما جعلني أحب القوات وأنتمي إليهم، بالإضافة الى أن كل بيئتي مع القوات اللبنانية." - طالب في جامعة الحكمة، 21 سنة، من كسروان.

"قبل 17 تشرين كنت ناشطا مع التيار الوطني الحر، أبي منتسب الى التيار الوطني الحر وأجواء عائلتي قريبة منهم." – شاب في جامعة نوتردام اللويزة، 20 سنة، من بسكنتا.

"أهلي كانوا يحبون رفيق الحريري، لكنهم لم يكونوا من محبّي ابنه سعد كثيرا. لكن هذا لم يمنعهم بأن يبقوا عالقين في التفكير العقائدي والطائفي. طبعا كنت متأثرا بهذا التفكير وانتميت الى تيار المستقبل." – طالب من الجامعة الأميركية في بيروت، 20 سنة، من بيروت.

"منذ الصغر تأثرت بفيديوهات بشير جميل التي كنا نشاهدها في المدرسة. أنا لست متعصبة مسيحيا، وكان دائما لدي الحشرية للقراءة، فأحببت النضال واحترمت الشهداء الذين ماتوا في سبيل القضية التي سمحت لنا بأن نكون موجودين حتى اليوم. هذا ما جذبني وجعلني أنتسب الى القوات اللبنانية." - طالبة في جامعة الروح القدس، 22 سنة، من كسروان.

الاختيار المزعوم بالانتماء: بعض الطلاب الذين ينتمون إلى نفس انتماءات أهاليهم وبيئاتهم الحزبية يبرّرون أن انتمائهم أتى نتيجة مجهود شخصي وقراءات عن مبادئ هذه الأحزاب. إلا أن الأمر الواقع يظهر أن قراءاتهم تركّزت فقط على العقائد التي يعتنقها أهاليهم دون محاولة التعرّف على عقائد ومفاهيم وآراء مغايرة لها.

"أنا تربيت على أغاني بشير الجميل، وعلى أن هذا الإنسان هو الخلاص الوحيد للبنان. أهلي كانوا دائما يحثوني على القراءة عن القوات اللبنانية وعن بشير الجميل، ما سمح لي باكتشافهم بمفردي، وهذا ما جعلني أنتسب الى القوات." - طالبة من الجامعة اللبنانية الفنار، 23 سنة، من منطقة جبيل.

"أنا انتمي إلى حركة أمل، وأهلي يدعمونني طبعا، فخلفيتهم معروفة. بما أنهم شيعة من الطبيعي ان يكونوا قريبين من حزب الله أو حركة أمل. أنا منذ كنت في المدرسة في الضاحية الجنوبية، في المعمورة، قرأت كتاب السيد موسى الصدر في مكتبة المدرسة واقتنعت تماما بأفكاره وانتسبت الى الحركة." - طالب من الجامعة العالمية اللبنانية، 22 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

"أنا والدي قومي سوري. وأنا لم أتعرف بالصدفة على الحزب. كنت أشارك بنشاطات كثيرة معهم إلى أن اقتنعت بهم. والآن أنا قومي سوري." - طالب في الجامعة اللبنانية الفنار، 20 سنة، من بشري

الانتماء كدفاع عن النفس: بعض الطلاب (الأغلبية السنيّة وبعض المسيحيّين) يبرّرون انتماءاتهم لبيئتهم بدافع حماية أنفسهم والحفاظ على طائفتهم.

"أنا كنت أميل الى تيار المستقبل. أهلي لم يكونوا متحزبين أبدا، إلا أن الجو العام في طريق الجديدة هو مع تيار المستقبل. في محيطي لا أستطيع القول إنهم ضد سعد الحريري رغم معرفتهم بأنه لا يفيد البلد، لكن هذا العصب الطائفي موجود دائما، وإجمالا سعد الحريري هو الزعيم السني الوحيد تقريبا، كنت مقتنعا بأن سعد الحريري هو الرقم واحد في الطائفة السنية ولا يمكننا التخلي عنه." - طالب من الجامعة العالمية اللبنانية ، 21 سنة، من طريق الجديدة.

"تعددت الأسباب التي جعلتني أنتسب إلى تيار المستقبل. أولا انا من عائلة سنية تؤمن بأننا جزء من هذا البلد. درست بمدارس رسمية في رأس بيروت فيها طلاب من نفس البيئة. كذلك لا يمكنني أن أنسى ان الرئيس الشهيد رفيق الحريري الذي علم وبدأ مسيرة الاعمار. عندما اغتيل كنت صغيرا لكنني رأيت الاجواء والبيئة من حولي كيف تأثرت. إضافة الى ذلك، بعد الذي حصل في بيروت في 7 أيار 2008 زادت عاطفتنا تجاه تيار المستقبل وتجاه أهل بيروت. هذا ما جعلني أتمسك بهذه الرسالة وأنخرط في تيار المستقبل." - طالب في جامعة بيروت العربية، 23 سنة، من رأس بيروت.

"أهلي كانوا يفضلون سعد الحريري على غيره. كانوا دائما يرددون بأنهم مجبرين بهذا الوضع وبأن كل طائفة عليها أن تشجع ابن طائفتها، وإذا لم نشجع سعد الحريري أين سيصبح مصير الطائفة؟ كانوا ينتخبون الحريري ويقولون لي بأن أنتخبه." - طالب من الجامعة الاميركية في بيروت، 19 سنة، من بيروت.

"تأثرت بعائلتي وكنت ناشطة مع التيار الوطني الحر. تأثرت كثيرا بوالدي وكنت أعتبره مثلي الأعلى لأنه شخص مثقف. كان قريبا من التيار بالرغم من أنه كانت لديه انتقادات كثيرة تجاهه. ولكنه يعتقد بأنه الافضل مقارنة بالآخرين. كنت أعتقد أنه من الصعب الخروج بشكل كامل من الطبقة السياسية لأننا بحاجة لفترة انتقالية وقد كان التيار بالنسبة لي الأفضل لهذه الفترة الانتقالية. بالرغم من أن أفكاري لم تكن متطابقة مع آراء التيار بالكامل لكنني كنت أعمل معهم، شاركت معهم في نشاطات لتطوير الجامعة، ولكنني لم أشارك في أي نشاط سياسي."- طالبة في الجامعة اللبنانية فرن الشباك، 25 سنة، من منطقة جبيل.

التسليم بالانتماء حسبما تمليه البيئة: بعض الطلاب الذين يعتبرون أنفسهم مختلفين عن بيئاتهم، استطاعوا التعايش معها دون أن يطرحوا على أنفسهم أي أسئلة حول طبيعة ارتباطهم بها إلا نادرًا.

"كنت أعيش في هذه البيئة دون أن أطرح أسئلة على نفسي، وكنت أعتبر وجودهم حتمي وعليّ التعايش معهم، لم أفكر اذا كنت معهم أو ضدهم." - طالبة في الجامعة اللبنانية الحدث، 22 سنة، من الجنوب، سكان الضاحية الجنوبية.

المستقلّون وأسباب استقلالهم: في معظم الأحيان، تأتي استقلالية بعض الشباب عن الجماعات السياسية في بيئتهم نتيجة لاستقلال أهلهم، بحيث تكون مواقف الأهل من العوامل الأساسية لاستقلالهم، إذ غالبًا ما يكون أهلهم من طوائف أو مناطق وأحيانًا من جنسيات مختلفة. أما البعض الآخر، تكون عائلاتهم منقسمة بين انتماءين حزبيين ما يدفع الأبناء إلى الابتعاد عن الأحزاب كافة. وأيضًا، هناك بعض المستقلّين التي غالبًا ما يكونوا منتمين إلى طبقات وسطى وميسورة، ويتسنى لهم السفر والتنقل وعدم التقوقع في بيئة واحدة.

"أنا مستقل تماما من قبل 17 تشرين، كل عائلتي بعيدة عن الأحزاب لأنها تهجّرت إلى مناطق مختلفة في لبنان وأبي يعمل في الخليج منذ مدة طويلة ولا يهمّه أي حزب، المهم يقدر يشتغل." - طالب من جامعة البلمند، 21 سنة، من الكورة

"أنا مستقلة، وقبل 17 تشرين لم أؤيد أي حزب، ولم أكن أحب التفكير بالسياسة. عائلة أمي سنية وتؤيد الحريري، وعائلة أبي شيعية وتؤيد حزب الله وحركة أمل. وبالرغم من وضعهم الاقتصادي السيء كنت أسمع عائلة أمي يقولون "نحنا مع الحريري ودمنا أزرق"، وعائلة أبي يقولون "حسن نصرالله ونبيه بري خط أحمر". هذه المسرحية من الأساس لم أقتنع بها." - طالبة في جامعة الألبا، 19 سنة، من الجنوب، سكان بيروت

"أنا أعتبر نفسي مستقلة عن جميع الأحزاب والطوائف. من المفروض أننا دروز ونتبع لجنبلاط، لكن أبي كان دائما حيادي ولم يكن يعطي هذه الأمور أية أهمية لدرجة أنني كنت أعتقد منذ صغري أنى مسيحية، لأنني كنت أغلب الوقت أبقى مع عائلة أمي المسيحية. أنا حيادية وأتقبل كل الديانات، وهذا من النادر أن نجده في لبنان، ولا مرة أحسست نفسي درزية." - طالبة من الجامعة اليسوعية، 18 سنة، من المتن سكان بيروت.

الجذور اليسارية والعلمانية: الفئات الشابة التي كانت ناشطة سياسيًا أو لديها وعي سياسي قبل 17 تشرين - وهم قلة أصلًا - استمدت وعيها من جيل طلابي سبقها ومتحدّر من اتجاهات يسارية وعلمانية مستقلة. ومعظم هؤلاء الناشطين بدأوا نشاطهم ما بعد العام 2015، وراحوا ينشئون مجموعات ناشطة في الجامعات، خصوصًا في بيروت، على الرغم من ضيق المساحات والفضاءات المتوفرة لهم وضعف أملهم بإمكان التغيير.

"أعتبر نفسي يساريا. حاول أبي أن يبعدنا عن الأحزاب لأن عائلته تفرّقت خلال الحرب بسبب الانتماءات الحزبية المختلفة. كان أحد إخوته قوميا، وأخ ثانٍ شيوعيا واستشهد، وأخ ثالث مع ميشال المر. بالرغم من أنني تقربت قليلا من الفكر القومي لأن أمي وخالي قوميين ولدينا في مكتبة المنزل كتب عن الفكر القومي وعن أنطون سعادة، إلا أنني كنت أميل أكثر للشيوعيين لأن قصة عمي الشيوعي كانت تجذبني كثيرا." - طالب في الجامعة اللبنانية الحدث، 20 سنة، من بتغرين

"انتسبت الى الحزب الشيوعي بشكل شخصي، بالرغم من أن أجواء عائلتي يسارية، إلا أنني لم أنتسب الى الحزب من خلالهم. بعد انتسابي الى الحزب الشيوعي عرفت أن أهلي وعائلتي كانوا شيوعيين سابقين. أنا اقتنعت بالحزب من خلال الحشرية والقراءات. اكتشفت هذه الكتب في مكتبة أبي. لا شك بأنهم أثروا عليّ بطريقة ما، الا انني في النهاية أنا انتقيت هذا الخيار." - طالب في الجامعة اللبنانية الفنار، 25 سنة، من الضاحية الجنوبية.

القسم الثاني:

إعادة تشكيل وصياغة الهويات الشخصية والاجتماعية لطلاب الجامعات في خضم انتفاضة 17 تشرين

1.2 - المشاركة في انتفاضة 17 تشرين

اندلعت شرارة الانتفاضة على خلفية فرض الحكومة ضريبة على تطبيق الواتس-آب المجاني في الاتصالات الهاتفية، وقد سبقها تقاعس الحكومة عن إطفاء حرائق اندلعت قبل أيام في منطقة المشرف في الشوف. كما كانت المناكفات والفضائح الحكومية قد تزايدت كثيرًا، وشعر اللبنانيون بالتعب واليأس من الأوضاع المتردية في معظم قطاعات حياتهم.

كانت الانتفاضة سريعة ومفاجئة وتلقائية. بدأت أولًا في بيروت وضواحيها وسرعان ما اتسعت إلى مدن الأطراف. في أيام الانتفاضة الأولى، بدت مشاهد مئات الألوف من الناس المتدفقين إلى الشوارع والساحات من البيئات والفئات الاجتماعية كلها وكأن لبنان يشهد انفجارًا اجتماعيًا - سياسيًا في أكثر من منطقة؛ من بيروت إلى طرابلس وجَلّ الديب وزوق مكايل وصيدا والنبطية وكفررمان وصور.... ومناطق أخرى. خرجت حشود الشبان والشابات عفويًا وبصفة شخصيّة إلى الساحات والشوارع بلا هدف واضح ومحدد، سوى إعلان التذمر والاستياء والغضب من زعماء السلطة السياسية كافة بلا تعيين ولا تحديد. وشاع شعاران أساسيان: "إسقاط النظام" و"كلُن يعني كلُن" (أي كل الزعماء السياسيين). ثم أخذت الشعارات والمطالب تتبلور تدريجيًا في الساحات وتتخذ أشكالًا أكثر وضوحا.

> "لا يمكنني وصف شعوري عندما كنت أنزل إلى الساحات، كنت أحس بنار في داخلي تريد أن تنفجر. لقد وجدنا بصيص أمل فكان اندفاعنا كبيرا. كنا متحمسين، وكان لدينا شعاراتنا العفوية. كنا فجأة نجد ناسًا تمشي خلفنا، متحمسين مثلنا ويرددون شعاراتنا. أحيانا كنت أرتجل شعارات جديدة للإبقاء على الناس التي خلفنا ولتبقى متحمسة. فكنا كل الطريق نعبّر عن أنفسنا بالهتافات والشعارات." - طالبة في الجامعة اللبنانية في دير القمر، 23 سنة، من الشوف.

> "نزلت إلى ساحة إيليا منذ بدء الثورة، كنت بانتظار أن يحصل شيء ما لأعبر وانزل الى الشوارع. كان عندنا احباط بسبب نتائج الثورات العربية. أهلي كانوا ضدي، لكنني شاركت باقفال الطرقات على الطريق البحرية. كان يوجد معنا أعداد كبيرة من الناس، ومنهم من كانوا محزّبين. لم أكن أريد ترك الساحة للمحزبين بل كنت أريد التأكيد بأن المستقيلن موجودين أيضا." - طالبة من الجامعة العربية في بيروت، 22 سنة، من صيدا.

> "في ليلة 17 تشرين خرجت إلى الشارع بصفتي الشخصية، وظلت على هذه الحال أيام 18 و19 و20 تشرين، ولم يكن لدي هدف محدد، سوى الهدف الذي خرج الناس للاحتجاج عليه: غلاء المعيشة، وفرض ضريبة 6 دولارات في الشهر على الواتس أب، وللمطالبة بالعيش بكرامة." - طالب في الجامعة العربية في بيروت، 22 سنة، من رأس بيروت.

> "أنا شاركت من قبل في تظاهرات مع ذووي الاحتياجات الخاصة، ووصلت إلى قرار أن لا شيء له معنى أو فائدة ولا داعي للمشاركة بعد الآن. لكن بعد أيام قليلة من 17 تشرين استرجعت الأمل وقررت المشاركة من جديد." - طالب من جامعة البلمند، 21 سنة، من الكورة.

2.2- يقظة الشباب/ات

أدّت انتفاضة 17 تشرين إلى خلق يقظة عند الفئات الشابة والطلاب، وإلى رفضهم لكل ما يجري في لبنان منذ تبلور وعيهم من فساد وإهمال وأزمات متتالية تعاني منها البلاد. أدركوا أنهم في بلد يضيق العيش فيه وهم محكومون بالرحيل عنه عاجلا أم آجلا. دبّت في صدورهم حماسة كبرى للتغيير وأمل عارم في احتمال حدوثه، وكانت حماستهم عاطفية، فيما هم/ن يتدفقون إلى الشوارع والساحات، مستدركين عدم اكتراثهم السابق للأوضاع السياسية.

بدت هذه الفئات الشابة كأنها تختبر الساحات العامة للمرة الأولى، بما فيها الآخرين القادمين من مختلف الخلفيات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. أذهلتهم كثافة الفئات الشابة وضخامتها وتباين فئاتها الاجتماعية في الساحات والشوارع. فتبيّن لهم كم كان مدى انغلاق اللبنانيين على مناطقهم وبيئاتهم كبيرا. أدهشهم التنوع الكبير، وأيقظ رغبتهم بالتعارف والانفتاح والتفاعل فيما بينهم، وتجاوز الانتماءات المناطقية والطائفية والحزبية.

بدا كأن مجتمعًا بدأ يتشكل في الساحات. فنشأ تعارف واختلاط جديدين بين الفئات الشابة والطلابية وبين مجموعات ناشطة من مصادر وبيئات اجتماعية وأفكار وتوجهات مختلفة، والجميع يريد التغيير. وولّد هذا فيهم أملًا بأن ثورة شعبية عامة قد بدأت، وفي استطاعتهم أن يكونوا روّادها ومحرّكيها، ويمكن لها أن تنجح.

المجموعات الناشطة التي تكوّن وعيها السياسي قبل الانتفاضة، وسبق أن شاركت في تحرّكات شهدها لبنان في السنوات الخمس السابقة على 17 تشرين الأول 2019، امتلأت صدور ناشطيها وناشطاتها بحماسة مضاعفة بعدما وجدوا أنفسهم وسط حشود كثيفة وتلقائية من المحتجّين، وشعروا أن هذا الحراك الجارف لا يشبه سوابقه غير الناجحة.

> "عندما شاركت في الثورة لم أكن اعلم ماذا تعني هذه الكلمة. رأيت كل العالم تخرج الى الشارع وتشارك، فشاركت. لم أكن أعي أي شيء عما يحصل، لم أكن أعرف ماذا تعني هذه الكلمات مثل العلمانية أو المدنية. شعرت بالحرية لأني لم أكن معتادة على الشارع ولم أكن أعرف شيئا عن وسط البلد وباقي المناطق. فقط شعرت أن هذا لبنان الحرية حيث لا تفرقة بين الشعب. في الساحات لم يكن أحد ينظر إلي نظرة مختلفة كوني محجبة، وبدوري لم تكن لدي أي نظرة مختلفة تجاه من يضع شعار ديني مختلف مثلا. كنا جميعا من أديان مختلفة فشعرت أن هذا لبنان الحرية وأحببت البقاء في الشارع." - طالبة من الجامعة العالمية اللبنانية، 20 سنة، من الضاحية الجنوبية.

3.2- محاور تغيّر الشباب في خضم الانتفاضة

تعدّدت أنواع التغيّرات التي أصابت الفئات الشابة/الطلابية، ويمكن رصد التغيّرات التالية:

1.3.2- الانتماء إلى لبنان الثورة بدلًا من الولاءات الفرعية

شعر الشبّان/ات أنهم للمرة الأولى يتعارفون ويتخالطون بلا أن تحجزهم اختلافاتهم الطائفية والمناطقية والطبقية والثقافية. فزمن 17 تشرين الثوري والآني رفع تلك التباينات وفتح مسالك واسعة كثيرة للتواصل والإجماع على هدف ومشروع واحد؛ "ضد الطبقة الحاكمة"، لكنهما بعد غير واضحين سياسًيا. وهذا ما

أنشأ بينهم علاقات جديدة ورابطة جامعة وإحساس جديد بانتمائهم المشترك إلى لبنان وافتخارهم به، متجاوزين المناطق والطوائف والبيئات الاجتماعية والثقافية المختلفة.

"خلال تواجدنا في الساحات كنا نرى الميسورين والفقراء والمحجّبات وغير المحجبات، كل الناس من كل الأطياف كانوا سويا. هذا المشهد ساعدني في بلورة تفكيري وتوجهاتي لأنني رأيت وجها جديدا للمجتمع اللبناني. أدركت أنه من الممكن أن يكون لبنان بلدا غير مقسّما كما هو عادة، وبأننا نحن اللبنانيين لدينا المقدرة للانفتاح على بعضنا البعض." - طالبة من الجامعة الاميركية في بيروت، 21 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

ويمكن تلخيص ذلك الخروج والتجاوز في محاور محددة:

بروز شبكات من التواصل والتعارف والتخالط عابرة للطوائف والجماعات، وبناء هوية وطنية مشتركة بين المجموعات ومفهوم جديد للانتماء، خصوصا في الأوساط الشبابية، هوية وطنية مشتركة تدعو للخروج على أطر الانتماءات والولاء للزعامات السياسية والحزبية والطائفية. الجميع شعر للمرة الأولى أنه فاعل بقوة في الحياة العامة وله دور فيها، وجد مساحة آمنة للتعبير عن آرائه ومطالبه بحقوقه المتفاوته والمتباينة، حسب أوضاعه وموقعه و تطلعاته. وخصوصًا الفئات المهمشة: المعوقين، المثليين، ولبنانيون/ات من أم لبنانية ويحرمهم القانون من الجنسية اللبنانية.

"أحسست أنني مستعدة ان أواجه السلطة أو أي حزب لا يريد أن يعطيني جنسية أمي، كنت مستعد لمواجهة أي شخص يسألني ماذا أفعل هنا في الساحات، أحسست أنها فرصتي الوحيدة للمطالبة بحقوقي، وهذا ما جعلني أنتمي الى الثورة." - طالبة من الجامعة العالمية اللبنانية، من أم لبنانية، 25 سنة، من سكان بيروت.

"في 17 تشرين كان عندي صراع داخلي لأن رغبتي وواجبي كانا يدفعاني أن أنزل إلى الساحات رغم صعوبة ذلك عليي (من ذووي الاحتياجات الخاصة). نزلت على الدرج بمفردي دون مساعدة أحد، ولم يحملني أحد، كان ذلك صعبًا عليي لكنني قمت به رغم كل النصائح بألا أفعل ذلك. لم أستطع المقاومة، كنت سعيدة بما يحدث وكلّي أمل. شعرت أيضًا أن من واجبي أن أنزل إلى الساحات أكثر من أي شخص آخر، حتى قبل الأزمة الاقتصادية، لأنني كنت من الفئة التي انظلمت كثيرا من هذه الدولة والتي لم تؤمن لي أدنى حقوقي." - طالبة من الجامعة اليسوعية، 23 سنة، من البقاع، سكان بيروت.

"شعرت في الساحات بأننا كلنا نحارب من أجل نفس الهدف. ناس من كل الطوائف والمناطق والخلفيات السياسية. انتبهت إلى أن بعضهم أتوا إلى بيروت من برجا وطرابلس ومن مناطق كثيرة لتدعم الناس بعضها البعض. صحيح ان الناس الموجودة لم تكن تتشابه، الا أن لديهم نفس الهدف. كانت هذه المرة الأولى التي أرى فيها ناس بهذا التنوع تلتقي في مكان واحد." - طالب في الجامعة الاميركية في بيروت، 20 سنة، من الجنوب، من سكان بيروت.

"شعرت أن الناس المجتمعة كانت ضد الطبقة السياسية، لكن في نفس الوقت كان هناك مواضيع مختلفة نطالب بها مثل حقوق المرأة، حقوق المثليين و مواجهة الفقر. كل هذه المطالب انفجرت مع انفجار هذه الثورة، وأصبحت ثورة للجميع." - طالبة من الجامعة اليسوعية في بيروت، 18 سنة، من المتن، سكان بيروت.

"شعرت لأول مرة في حياتي بأنني لبنانية وبأنني أنتمي إلى هذا الشعب الذي أعيش معه وأفكر مثله. عادة، كل واحد يفكر بطائفته ومنطقته ومدرسته. للمرة الأولى أشعر بأنني والآخرين مثل بعضنا البعض، وهذا من أقوى المشاعر

التي عشتها في الثورة. تفاجأت بكمية العالم التي كانت مندفعة لنفس الأهداف." - طالب من الجامعة الاميركية، 20 سنة، من الجنوب سكان بيروت.

"كانت أمي تضغط عليّ دائما أن أترك لبنان، وكنت في طور تقديم طلبات للدراسة في الخارج، لكن عندما بدأت الثورة اكتشفت أنني مغرمة بلبنان ومن غير الممكن أن أكون في مكان آخر. كنت أريد أن أكون جزءا من الأحداث التي تجري في لبنان. شعرت أني منتمية إلى لبنان، رغم أني أختلف مع الناس بكثير من الأمور، لكنني أريد أن أكون معهم في الساحات وعلى الطرقات." - طالبة في جامعة الألبا، 19 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

وحتى المتحزّبين لطوائفهم وبيئاتهم وأحزابها، غلّبوا في الأيام الأولى من الانتفاضة انتماءهم إليها على ولاءاتهم لأحزابهم وزعمائهم، بعد أن شعروا أنهم يشاركون في التغيير الذي يحدث في لبنان ويتوقون إليه.

"طبعًا شاركت بالثورة. حين بدأت في 17 تشرين، كانت أملنا الوحيد والأخير بلبنان. لم أنتظر من أحد أن يقول لي شاركي أو لا تشاركي. كانت مبادرة فردية. حملت العلم اللبناني ونزلت إلى ساحة غزير لأنه المكان الأقرب إلى بيتي. انتمائي الحزبي لم يكن له علاقة ابدا. كان انتمائي للبنان قبل انتمائي للقوات اللبنانية." - طالبة في جامعة الروح القدس، 22 سنة، من كسروان.

"في 17 تشرين تركت التيار الوطني الحر، وقد كنت منظمّة معه ولدي بطاقة انتساب. في صباح 17 تشرين، وعلى مجموعة الواتساب لهيئة الضيعة، كانوا يتشارعون حول كيفية الوقوف الى جانب عون، فأرسلت رسالة مفادها أني قد أصبحت خارج الحزب لأني كنت انتظر شيئا وها هو قد حدث. نزلت الى الشارع منذ أول يوم ثورة، وبالرغم من أني لم أكن ضده كشخص (عون)، لكني كنت وما زلت رافضة أن يبقى. أدّت مشاركتي في التظاهر ونزولي الى الشارع إلى تغيير نظرتي للأمور، وللحقيقة شعرت أن لبنان كان يجب أن يكون هكذا من زمان." - طالبة في الجامعة اللبنانية فرن الشباك، 25 سنة، من منطقة جبيل.

بعض من يعيشون في بيئات تسيطر عليها الأحزاب سيطرة كاملة ولا تتقبل الاختلاف، تجرّؤوا على نقد مجتمعاتهم وبيئاتهم وأحزابهم التي يعيشون فيها. وقدّموا عليها انتماءهم إلى لبنان. وبعضهم كان يشعر باختلافه الفردي عن بيئته بلا إدراكه السبب، واكتشف كثيرون أنهم يتشابهون ويتوقون إلى بلد يجمعهم ويوحد بينهم.

"قبل الثورة، لم أكن نكلم أنا ورفاقي في السياسة كثيرا، كنا مستقلين ولا نتبع أحدًا من السياسيين. لكن كنا نشعر أننا سنتبع أهلنا بالسياسة، فإن انتخبوا أحد السياسيين، سننتخبه نحن طبعًا لأن هذا السياسي سيكون أفضل من غيره. في الثورة، اكتشفنا أن كل السياسيين بغاية السوء ولا فائدة منهم، وأصبحنا نفكر قبل أخذ اي موقف ولا نتبع أحد." - طالب من الجامعة الأميركية، 20 سنة، من بيروت.

بالرغم من الإحساس الغامر بأن الانتفاضة توحّدهم، اعتبر بعض الشباب أن الانتماء للبنان لامس حد العنصرية أحيانًا، خصوصًا تجاه قلّة من السوريين والفلسطينيين الذين يعيشون في بيروت وتجرّأوا على المشاركة في التحركات وإن بحذر أو خوف. فبعض الناشطين في الساحات كانوا يستثنون غير اللبنانيين من بعض الخدمات التي كانت توزع في الساحات (المياه والطعام) ومن بعض النشاطات أيضا. أولئك السوريين والفلسطنينيين كانوا يودون المشاركة بقوة، لكنهم شعروا بأنه غير مرحب بهم على الرغم من هتافات بعض المجموعات الناشطة المناهضة للعنصرية.

"في الثورة وجدت أن الناس صاروا يشعرون بانتمائهم إلى لبنان أكثر من قبل، لكنهم فهموا الانتماء إلى لبنان بشكل خاطئ. فبعض الناس فهموا الانتماء إلى لبنان بأن يصبحوا ضد كل من هو غير لبناني، وكتيرا ما سمعت ورأيت تصرفات عنصرية تجاه السوريين والفلسطينيين." - طالبة من الجمعة الاميركية، 23 سنة، من بيروت.

2.3.2- تغيّر العلاقة بالأماكن العامة والتعبير

الحضور الكثيف لعموم الناس واحتشادهم في الشوارع والساحات أثناء انتفاضة تشرين شمل الفئات الاجتماعية والعمرية كلّها تقريبًا في كثير من المدن والمناطق اللبنانية. التقت الناس في الأماكن والفضاءات العامة حشودًا، وتعارفوا على بعضهم من جديد، واحتفلوا بهذا التعارف في زمن الثورة. وكان هذا الحدث حدثًا جديدًا برمّته خصوصًا للفئات الشابة والطلابية في لبنان.

وفي تلك الأجواء والفضاءات، أخذت تنمو أشكال التعبير الاحتجاجي في الحيز العام والعلانية العامة، حيث نشأ نمط جديد من العيش في الساحات، جمع فئات ومجموعات وأفرادًا من بيئات ومصادر مختلفة وتوطدت علاقتهم بتلك الأماكن والفضاءات، وكان الشبّان/ات الفئة الفاعلة الأبرز فيها. وهكذا أحيا التجمهر في الساحات العامة وظيفة الساحات التواصلية الغائبة قبل 17 تشرين. وهذا ما أسّس بوضوح للخروج على الثقافة السائدة؛ ثقافة التباعد بين المناطق، والتجانس الطائفي بين سكانها. فساهمت الحشود ومناسبتها في انفتاح الشبّان/ات وتواصلهم فيما بينهم. وانزاح منطق تحاجز الفئات الاجتماعية، وتبادلها صورًا نمطية مسقبة بعضها عن بعض. وربما يجب التشديد هنا على دور الفئات الشابة والطلاب في هذا كلّه.

ولا شك في أن ساحات بيروت تصدّرت الثورة وتجمّعاتها العابرة للمناطق والطوائف والطبقات الاجتماعية. وكذلك تصدّرت الفئات الشابة والطلابية مشاهد الساحات في وسط بيروت. فأنشأت أساليب تعبيرها المتعدّدة في العلانية العامة. وقد نصب الشبّان/ات خيمًا واستعملوها للتجمّع والمكوث والمبيت، وتناوبوا على تنظيف الساحات في الصباحات الباكرة، وراحوا يكتشفون الأماكن على نحو جديد، رغم أن كثرة منهم كانت تعرفها وترتادها سابقًا، لكن على نحو مختلف.

هكذا، تعرّف كثيرون على المباني الأثرية والتراثية في وسط بيروت ما بعد الحرب، كمبنى اللعازارية ومبنى السينما البيضاوي الكبير المهجور قبالة جامع الأمين. وقد استُعملت ساحات اللعازارية والمبنى البيضاوي لعقد لقاءات شبابية واجتماعات ومحاضرات دورية لطلاب الجامعات. وتحولت مواقف السيارات الشاسعة الخاوية إلى ساحات للقاءات ونقاشات سياسية ولحفلات فرق موسيقية وانتاج شعارات وملصقات.

الجدران كلّها في وسط بيروت تحوّلت إلى جداريات تعبيرية حرة وفوضوية للثورة؛ شتائم وكتابات ضد السياسيين، صور ورسوم وغرافيتي وشعارات لا تعد ولا تحصى، كأنما نهر تعبيري جديد انفجر وسالت ألوانه وكلماته وصوره وشعاراته على الجدران.

وابتُكرت وسائل جديدة للتعبير شاركت فيها الفئات الشابة بكثافة ومنها؛ سلسلة بشرية من طرابلس إلى صور، احتفال مدني غير مسبوق بعيد الاستقلال خلافًا للاحتفال العسكري الرسمي السلطوي، بوسطة الثورة الجوّالة للمساندة والدعم الرمزيّين، إضافة إلى التخييم في مرج بسري لمنع انشاء السد المدمّر للبيئة هناك. وكان لوسائل التواصل الاجتماعي دور هام في أشكال التواصل والتنسيق والتعبير والتصوير الآني وبث صور وقائع الانتفاضة وحوادثها.

ومن خلال هذا كله، أنشأت الفئات الشابة والطلابية علاقة جديدة بالأماكن والفضاءات العامة، وكانت هذه العلاقة شبه معدومة قبل الثورة. ويمكن الإشارة هنا إلى بعض الظواهر المميزة:

بيروت وساحاتها

قبل 17 تشرين، كانت وظيفة وسط بيروت بساحتيه الشهداء ورياض الصلح، ومجمّع أسواق بيروت الجديدة، تختلف كلّيًا عن الوظيفة الجديدة التي أوجدتها الثورة لتلك الأماكن، إذ اضطلعت الفئات الشابة والطلابية بابتكار وجوه متعددة لهذه الوظيفة.

لم تكن الفئات الشابة في ضواحي بيروت ترتاد وسط بيروت الذي كان يمثل لهم مساحة عديمة الاستعمال، وتملكها شركة إعمار وسط بيروت الخاصة (سوليدير). وحسب شهادات بعض المنتمين إلى هذه الفئة، كان وسط بيروت مخصصًا للفئات الميسورة المقيمة في بيروت فقط. لكن انخراط الشبّاب في الانتفاضة في أيامها الأولى سمحت لهم بالتعرّف على وسط بيروت وصاروا يألفونه ولم يعد غريبًا عنهم.

"لم أكن أعرف الأماكن في وسط بيروت، خلال 17 تشرين تعرفت عليها وبقيت فترة طويلة حتى عرفت الفرق بين ساحة الشهداء ورياض الصلح ومار مخايل." - طالبة من الجامعة العالمية اللبنانية، 22 سنة، من الضاحية الجنوبية.

تبدّلت علاقة الفئات الشابة الميسورة بوسط بيروت وتحوّلت كلّيًا. فبعدما كان المكان وجهة للتسوق والترفيه في مجمع "أسواق بيروت" لا أكثر، تحوّل المكان إلى قلب الثورة النابض بحياة أخرى. وعبّر البعض عن إحساسهم بصعوبة إعادة استخدامهم الوسط المديني كمكانٍ للتسوق والترفيه من جديد كونه صار مكانًا للتعبير والثورة.

"قبل 17 تشرين، كنا نقضي أوقات طويلة في وسط بيروت والأسواق، نذهب الى السينما والمطاعم ونتسوق. بعد 17 تشرين تغيّرت وظيفة هذه الأماكن بالنسبة لي، لقد أصبحت ساحة حرب. وإن ذهبت للتسوق في وسط بيروت سأشعر بالغرابة جدا، وكأنه غلط." - طالب من الجامعة الاميركية في بيروت، 22 سنة، من بيروت.

لم يعد وسط البلد محتكرًا من قبل الطبقات الميسورة والبرجوازية. فساحة الشهداء ومحيطها أصبحت رمزًا ومقرًّا للثورة، خصوصًا بالنسبة للفتيات والشبّان المشاركين في التظاهرات والاعتصامات، وصارت بالنسبة لهم "ساحة الثورة" ملك الشعب كله، ومكانًا للتعبير والحرية. وتظهر شهادات الطلاب شعورهم بأنهم عاشوا لحظات يُصنع فيها تاريخ جديد وذاكرة جديدة لأماكن كانت بلا تاريخ بالنسبة لهم، وروابطهم بها كانت ضعيفة. وفكرة الأماكن العامة ووظيفتها باتت أكثر وضوحا لديهم، كأنهم أعادوا تشكيل وسط المدينة واستخدامه بما يتلاءم مع تطلعاتهم.

"كان وسط البلد للبرجوازية. لكن خلال وبعد الثورة أصبح مكانا للشعب، خاصة وأنهم قاموا بتكسير المحلات هناك. أنا لست مع التكسير لكنني أتفهم هذا السلوك وهذا الموقف تجاه هذا المكان." - طالبة من الجامعة اللبنانية، 24 سنة، من بيروت.

سمحت ساحات الثورة لمجموعات وفئات كانت تعتبر نفسها مكتومة التعبير بخلق حيّز لحضورها العلني والتجرؤ على المطالبة بحقوقها ومنها؛ المجموعات النسوية ومجموعات "مجتمع الميم" والمعوّقين، وغيرهم من المجموعات المهمّشة. شعر هؤلاء بأن هناك مساحة جديدة وآمنة لهم تشكّلت في ساحات الانتفاضة ومظاهراتها، واستطاعوا التعبير عن أنفسهم وهواجسهم. هذا وكان للمجموعات النسوية دور بارز في حيوية التظاهرات وصناعة الهتافات والشعارات.

شكلت منطقتا مار مخايل والجميزة المحاذيتين لوسط بيروت، وهما مقصد الشبّان للسهر والترفيه، ملتقى واستراحة للشبّان/ات في يوميات الانتفاضة. وهناك فئة من الشبّان لم تكن ترتاد هاتين المنطقتين لكنها تعوّدت على ارتيادها في الانتفاضة بعدما كانت تعتبرها لفئات طبقية متميزة.

"بدأت أرتاد الجميزة ومقاهيها خلال فترة الثورة بحيث كانت محطّة لنا بعد انتهاء المظاهرات. هذه الثورة سمحت لي بالتعرف إلى هذه المناطق التي كان روادها محصورا بطلاب الجامعات الخاصة." - طالب من الجامعة اللبنانية، 24 سنة، من الجنوب.

"أصبحت الجميزة المكان الأليف بالنسبة لي خلال الثورة لأننا كنا نلتقي مع كافة الثوار. صحيح أنا لم أكن اذهب من قبل الى مقاهي من هذا النوع، لكن خلال الثورة لم أعد اهتم لهذه الامور، أصحابي يشربون الكحول ولم يعد يزعجني الأمر." - طالبة من الجامعة اللبنانية الدولية، 21 سنة، من الضاحية الجنوبية.

ساهمت المشاركة في المسيرات التي كانت تخترق بيروت ووسطها وكل مناطقها، وكذلك السير على الأقدام للوصول إلى الساحات، إضافة إلى قطع الطرق وافتراش الجسور والأماكن العامة، ساهم هذا كلّه في تعرّف الشبّان/ات والطلاب على مناطق وشوارع كانوا يجهلونها لأنها لم تكن في النطاق الذي يستخدمونه في حياتهم العامة وتنقلاتهم المعتادة، مما ساعد في تفكيك الفواصل الجغرافية والطائفية القائمة في مخيلاتهم.

"لم أكن أعرف الحدود الجغرافية والطائفية المحيطة بوسط بيروت قبل مشاركتي بالثورة، الآن أصبحت أعي الفروقات بين هذه المناطق واختلافاتها." - طالبة من الجامعة الاميركية، 22 سنة، من بيروت.

أدّى التضامن بين المحتجّين ومشاركتهم الواسعة في النشاطات الكثيفة في الساحات والشوارع إلى منحهم، وخصوصًا لدى الفئات الشابة والطلابية الناشطة، شعورًا بالقوة وبامتلاك الأماكن العامة. واعتبروا أن شرعيتهم الثورية تترجم إلى قوة سياسية تفقد السلطة الحاكمة شرعيتها، فيما هم يعيدون تشكيل الأماكن العامة بما يناسب استخداماتهم.

"كل مجموعة نصبت خيمتها، وكان هناك مساحات مشتركة للجميع مثل مطبخ البلد، وموقف اللعازرية وساحة سمير قصير للنقاشات، وكنا نتساعد في تنظيف الساحات في الصباحات الباكرة، وكأننا ملكنا حي من أحياء بيروت." - طالب من الجامعة اللبنانية، 19 سنة، من زغرتا.

"في كل صباح، كنت أنزل الى الساحات متحمسا وسعيدا لأنني كنت أعرف بأنني أذهب الى مكان نصنع وننتج فيه شيئا لصالح بلدي ومستقبلي. كان لدي إحساس بأنني أنتمي الى هذا المكان حيث أصبح من نمط حياتنا، ونحن المجموعات لدينا خيمة نعود اليها بعد كل اجتماع أو نشاط نقوم به. أتمشى وأذهب يمينا وشمالا وأزور المجموعات الاخرى وأسمع نقاشاتهم. بالنسبة لي، وكأن مكانا جديدا وجد لي، حيث كنت أستطيع أن أوصل طموحاتي. حين وضعوا الجدار بساحة رياض الصلح بمحيط المجلس، شعرت بأنني فقدت شيئا ما بالرغم من

انني تابعت النزول. إن وضع الجدار صار علامة زمنية، بدأنا نقول "قبل الحائط وبعد الحائط" لنشير إلى الفترة الزمنية التي حصلت فيها حادثة ما. عندما كسروا رمز الثورة وحرقوا الخيم، شعرت وكأنهم سرقوا مني مكاني. يمكن القول بأنهم استطاعوا أن يهزمونا بهذا الموضوع، وكسبت السلطة بأن تقفل هذه الساحات ويلغون المساحة التي كانت تعطينا القوة، المساحة التي كنا فيها نلتقي ونتواصل مع بعضنا البعض." - طالب في الجامعة اللبنانية الفنار، 20 سنة، من بشري.

كانت انتفاضة تشرين فرصة لكثير من القادمين من خارج بيروت وضواحيها للتعرّف إلى هذه الأماكن الجديدة، واكتشاف أسماء ساحاتها وأمكنتها، وبناء علاقة معها والتحرّك والعيش في مساحاتها. أغلب شبّان/ات المناطق شاركوا في تظاهرات ساحات بيروت، ولو لمرة أو اثنين على الأقل. ولا شك أن هذه الساحات احتضنتهم، لاسيما الأشخاص الذين لم يجدوا أجواء مناسبة للمشاركة في ساحات مناطقهم، أو أولئك الذين أرغموا على عدم التظاهر في مناطقهم. لذا تميزت ساحات بيروت بأن تكون عابرة للطوائف والمناطق والأحزاب.

خسرت هذه الأمكنة حاليًا وجهها السحري الذي حملته طيلة أشهر الانتفاضة، لكن نظرة الشباب إلى ساحات التظاهر في بيروت ما بعد الثورة ما زات تحمل الكثير من العاطفة على الرغم من أنها باتت الآن مكانًا خاليًا وموحشًا، وما زالوا يعتبرون أن دورها الأساسي هو احتضان المظاهرات والاحتجاجات التي لديهم الأمل بأنها ستحصل مجدّدًا.

"أحيانا أذهب بمفردي إلى وسط بيروت، خاصة اذا كنت أشعر بالضيق. إذهب تحديدا إلى ساحة الشهداء حتى ولو كانت خالية. أحب هذا المكان الذي أعطاني الاحساس بالحرية والتجربة الجديدة. أحسها مساحة حرية ولم نكن نعرف هذا الاحساس من قبل. هناك أشياء كثيرة تحررت منها، فكرة الأحزاب والتعصب الطائفي. في الساحة أحس بلبنان الذي أحبه." - طالب من الجامعة العربية، 19 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

<u>ساحة النور في طرابلس</u>

سريعًا ما توهّجت الانتفاضة في مدينة طرابلس وتألقت في ساحة مركزية من ساحاتها المسماة ساحة النور. وفي الإعلام وبين مجموعات من الناشطين لقّبت طرابلس بـ "عروس الثورة". فالطرابلسيون في خروجهم الكثيف إلى الساحة الواحدة ومداومتهم على الاحتشاد فيها، جعل الفئات الشابة تتوق الى زيارتها والمشاركة في اعتصاماتها، وازداد فضولهم للتعرّف على المدينة خصوصًا بعد أن تعرّفوا على ابنائها "الثوريين" خلال مشاركتهم في ساحات بيروت.

وجدت غالبية الشبّان والشابات نفسها مفتونة بطرابلس، هذه المدينة التي أصبحت في قلب الانتفاضة وفي صدارة الحدث الجديد الجميل، وكأنهم انتبهوا فجأة إلى أنها مدينة لبنانية كاملة ومكتملة، غير منقوصة أو مثلومة اللبنانية. وهذا ما حمل فئة واسعة من الشبّان/ات اللبنانيين على زيارتها ومشاركتهم في تحرّكاتها في ساحة النور وفي مظاهرات أخرى. وكان عدد كبير منهم يزور طرابلس للمرة الأولى وينشىء مع ناشطيها وأهلها علاقة جديدة تغيّر من نظرته إلى المدينة، وتنزع عنها فكرة أنها مرتع "للإرهابيين". فئة من الشباب والشابات التي تعرفت على المدينة حافظت على علاقتها بطرابلس وشبّانها حتى بعد انكفاء الثورة.

"خلال 17 تشرين تغيرت تماما فكرتي عن طرابلس. لم أكن أعرف طرابلس من قبل، وما لفت نظري عندما شاركت في التحركات هناك، الأحياء القديمة والعالم الطيبة. لبنان القديم الحلو ما زال موجود فيها. بعكس الصورة التي كنا نراها من قبل. كنا نراها انها منطقة إرهابية." - طالبة في جامعة الروح القدس، 22 سنة، من كسروان.

"لم يعد يخيفني الآخر. لم أعد أخاف عندما أذهب إلى طرابلس لأنني لست في منطقتي. وبدأت أذهب إلى بيروت بمفردي، غير خائفة من أن يسرقني أو يخطفني أحد، على العكس أصبحت أحس بالأمان عندما أزور مناطق أخرى غير منطقتي." - طالبة في جامعة الروح القدس، 22 سنة، من كسروان.

ساحات المناطق

بالرغم من مركزية بيروت وساحاتها وثقلها في قوة الانتفاضة، لم تكن انتفاضة 17 تشرين مركزية بل منتشرة وشاملة وعابرة للطوائف والفئات الاجتماعية، وإن بتفاوت بين المناطق والمدن؛ صيدا والنبطية وصور جنوبًا. جل الديب وذوق مكايل وذوق مصبح وجونية وجبيل في جبل لبنان. بعلبك وزحلة وسعد نايل وبر الياس في البقاع. وقامت نشاطات كثيرة جامعة بين ناشطين في هذه المناطق وساحاتها. لكن بحسب المقابلات أن الانتفاضة في هذه المناطق والمدن بقيت أجواء الناشطين فيها محلّية ومتجانسة طائفيا واجتماعيا، وخصوصًا في جل الديب والذوق ومدن الجنوب. والجدير بالذكر أن بعض الشبّان والشابات عبّروا عن احساسهم بأنهم لدى زيارتهم لساحات المناطق، أحسوا أنفسهم غرباء وأحيانا لم يكن مرحب بهم من متظاهري المنطقة نفسها.

"منطقة جل الديب كانت جديدة علي، و لم أشعر فيها بأمان كما شعرت في زوق مكايل. في جل الديب كان يوجد بعض المجموعات، لكنهم لم يقوموا بأي جهد ليدخلوني معهم على غروب واتساب، ولا وصلتني اي دعوة منهم ولم أشعر بالترحيب. من الممكن انه لو سنحت لي الفرصة للانخراط معهم اكثر لكنت رأيت الأمور من منظار آخر وتشجعت لأكمل معهم. في الزوق أتوا بمن يغني "راجع راجع يتعمر راجع لبنان" ومن بعدها جاء أبونا وبدأنا بالصلاة . كان الجو أفضل من جل الديب، أكثر هدوءا، كما التقيت بعالم أعرفها من أيام الدراسة، أعتقد بانني احسست بالراحة لأنني وجدت ناس أعرفهم. لكنني لم أحس كثيرا ان هناك تعاطف بين العالم وبأن الناس تحب أن تتعرف على بعضها. من الممكن ان الجو في بيروت كان مختلف من هذه الناحية. لم أزل الى ساحات بيروت، لكنني أحسست بأن الوضع مختلف هناك من خلال مشاهداتي لساحات بيروت على التلفزيون." - طالب من الجامعة العربية المفتوحة، 23 سنة، من كسروان.

"عندما كان أهل طرابلس يشاركون في ساحات جل الديب، لم يكن بإمكانهم التواصل مع الناس. للأسف هناك بعض الأفراد كانوا يرفضون التواصل معهم لأنهم يرفضون الآخرين كما يرفضون أي اختلاف." - طالبة في جامعة الروح القدس، 22 سنة، من كسروان.

حصلت محاولات عدّة لفتح الساحات على بعضها البعض. وذلك بذهاب ناشطين ومتظاهرين من بيروت للدعم في الجنوب وطرابلس، والعكس أيضا. لكن هذه النشاطات بقيت محدودة، وظل تواصل مجموعات المناطق متقطعًا ومتأرجحًا. وأحيانا كانت تعترضها بعض الصعوبات، خاصة في الجنوب، وسواه من المناطق ذات الطابع الحزبي الواحد.

"في أول الثورة، شاركت العالم في التظاهرات في كثير من القرى الجنوبية. في صريفا مثلا، نزلوا الى الشوارع للمطالبة بالحقوق المعيشية، ومن ثم عادوا الى منازلهم لأن التظاهر توقف في هذه المناطق. لكن الأقلية من المستقلين في

هذه المناطق ناوبوا على التظاهر لكن في مناطق أخرى، في بيروت أو صور بدلا من قراهم." - طالب في الجامعة اللبنانية، 21 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

3.3.2- تغيّر نظرة الشباب لدور المرأة والمطالب النسوية والمجموعات المثلية والمهمّشة

أدت الانتفاضة إلى تفتّح الناس والفئات الشابة على موضوعات ومسائل لم تكن مدار اهتمامهم من قبل. فالانتفاضة لم تسلط الضوء على الجوانب السياسية فحسب، بل على مسألة حقوق الفرد. فبرزت بالتالي قضايا النساء والمثليّين، وموضوع الكفالة المتعلق بعاملات المنازل، وقضايا الفئات الأخرى المهمّشة التي سمحت لهم الانتفاضة بإعلاء صوتهم والتعبير عن مطالبهم والتفاعل مع الآخرين للمطالبة بحقوقهم.

تغيّر نظرة الشباب إلى دور المرأة

لعبت المرأة دورًا هامّا في انتفاضة 17 تشرين، وشاركت الشابات والنساء في الاعتصامات والتظاهرات والتخييم في الساحات بكثافة لافتة. وأشاعت الناشطات النسويات شعار "الثورة أنثى". كما كان للناشطات المنخرطات بقوة في مجموعات الثورة الشبابية دورًا بارزًا في تنظيم التحرّكات والتشبيك بين المجموعات، والمساهمة في جلسات النقاش وصناعة الشعارات، فضلًا عن قيادة التظاهرات والتواجد في صفوفها الأمامية. فاشتبكن في مواجهات مع القوى الأمنية، وتعرّضن للضرب والتوقيف إسوة بالمتظاهرين الشبّان.

وأعربت غالبية الفئات الشابة عن أهمية دور المرأة في الثورة، وإن اختلفت الأسباب حسب الخلفية الثقافية لكل منها. كما رأوا في الثورة حيّزًا مهمًا للمرأة للتعبير عن نفسها والمطالبة بحقوقها.

"أغلب ذاكرتي في الساحات هي النساء، سواء في المواجهات أو الهتافات أو الحضور. كان حضورهن قويا وأثبتن وجودهن وحضورهن لفئات عديدة تقليدية من المجتمع، إلا أن هذا قد يغير قليلا من نظرة المجتمع إلى حضور المراة وأهميتها، لكنه لن يغير شيئا على المستوى السلوكي والاجتماعي والحقوقي." - طالب في الجامعة اللبنانية، 35 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

"أنا شخصيًا نزلت الى الساحات بشكل عفوي ووجدت نفسي مندمجة بالأجواء، وفي وقت ما وجدنا أنفسنا نحن النساء، أو على الأقل نحن مجموعة النساء التي كنا سويا، كأننا قياديات في الساحات، سواء في ابتكار الشعارات و ترديد الهتافات أو تنظيم المسيرات. نحن كنا مندفعات جدا، وهناك جزء آخر من النساء بدأن يتشجعن ويشاركن معنا عندما رؤونا مندفعات، وأصبحنا مجموعة كبيرة. بشكل عام بدأت النساء تشارك أكثر وأكثر عندما رأين كثافة مشاركة المرأة في الساحات." - طالبة في الجامعة الأميركية، 20 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

وكان لافتًا لعموم المتظاهرين حضور المجموعات النسوية في الساحات وبينهن عدد كبير من الطالبات. فاندمجن في أجواء الساحات، وطالبن بالقضايا النسوية وحقوق المجموعات المهمّشة والأقليات، وشاركن في التظاهرات حيث تميّزت هتافاتهن بكونها ضد النظام الأبوي. واعتبرت بعض الفئات الشابة أن المجموعات النسوية أو تلك التي تتبنّى قضايا المرأة، تمكّنت من وضع نفسها على الخريطة السياسية اللبنانية، وأثبتت حضورها بفاعلية في الساحات. فالمجتمع اللبناني لم يكن يركز من قبل على دور المرأة على المستوى الشعبي والاجتماعي. واتضح لكثيرين أن النساء والشابات خصوصًا ركن أساسي كالرجل تمامًا في نشاطات الانتفاضة كلها.

"هناك مشهد لا أستطيع ان أنساه، وصراحة كان دائما يفاجئني: عندما كنت أنزل الى الساحات، وفي أي مكان كنا موجودين فيه، كانت المرأة في الصفوف الأمامية، وكنا خلال إقفالنا لجسر الرينغ، كان يكون موجود خمسين ألف رجل وفي منتصف هذه الجمهرة كان هناك امرأة تهتف، والجميع يردد هتافاتها." - طالب من الجامعة الأميركية، 21 سنة، من الحدث.

"كنت منذهل كم كانت النساء هي التي تأخذ المبادرات في الساحات، هن يهتفن، هن ينظمن، وهن يقمن بجهود جبارة. هذا ما يؤكد بأن النساء كان دورها فعال ويمكنها ان تفعل كل شيء أحسن من الرجال، ويمكنها ان تصل الى ما تريد". - طالب من الجامعة الاميركية في بيروت، 22 سنة، من بيروت.

واعترف قسم من الفئات الشابة أنه لم يكن يتفهم القضايا النسوية، ولا يكترث لحقوق الفئات المهمّشة من قبل، لكنه فوجئ بجهله عند معرفته بحقوق النساء المهدورة. فالتعارف والاختلاط أدّيا إلى إدراك الشباب لأحقيّة مطالب المجموعات النسوية بالمساواة والعدالة، فتضامنوا معها للمرة الأولى. كما تغيّرت لدى بعض الشبّان والشابات من ذوي الفكر التقليدي نظرتهم حيال دور المرأة والشأن النسوي، وتعكس شهاداتهم على تزعزع نظرتهم التقليدية إلى المرأة، وإعادة التفكير بدورها وحقوقها.

"لفتتني يافطات حقوق المرأة، يافطات القوانين، يافطات مكتوب عليها (لا أريد أن أذهب إلى شيخ أو كاهن وأدفع له المال كي أحصل على الطلاق). صورة لفتتني كثيرا واستفزتني. استفزني المطلب، هل يعقل بأننا ما زلنا نطالب بهكذا أمور؟ هذا يعني أنه علينا أن نعمل على تطوير القوانين. نحن نثور اتغيير القوانين ولأخذ حقوقنا." - طالبة في الجامعة اللبنانية، 23 سنة، من زغرتا.

عدد كبير من الفئات الشابة وجدوا أن المجموعات النسوية استطاعت، ولو بشكل محدود، تغيير نمط الخطاب السائد والشعارات التقليدية الذكورية التي كانت تتردد في الساحات. منهم من انتبه إلى معنى هذه الشعارات وردّدها بالطريقة التي اقترحتها المجموعات النسوية.

"رأيت مجموعات جديدة في الساحات، ولاحظت أن هناك مجموعات كثيرة لم يتسنَّ لنا رؤيتهم والتقرب منهم من قبل، مثل المجموعات النسوية والمثليين، كنا نعرف بوجودهم لكننا لم نكن نسمع صوتهم بسبب عدم قبول الناس لهم. تبين لي أن هذه المجموعات موجودة ويوجد أكثر من مجموعة. أحببت وجود هذا التنوع في الساحات، واحببت أن أساهم في العمل معهم ودعمهم." - طالب من الجامعة الاميركية في بيروت، 20 سنة، من بيروت.

هناك فئة من الشابات تشجّعن على المشاركة في أنشطة الساحات بسبب رؤيتهم لحضور النساء والشابات الكبير واندفاعهن في الثورة. ونجم عن ذلك ما يشبه عدوى نسائية للمشاركة. وبرزت قدرة الشابات في خوضها للمسائل السياسية وفي مطالبتهن بحقوقهن. وحضور الحركة النسوية ساعد الشابات في كسر حواجز الخوف، فتجرأن على الخروج من بيوتهن حتى ساعات متأخرة من الليل، كما خرج بعضهن عن قيم بيئاتهن التي غالبًا ما كانت تحاصرهن، فبدأن يتطرقن لمواضيع تتعلّق بحقوقهن، إن في حرية الملبس والتعبير، أو في حق المرأة أن تمنح أولادها جنسيتها.

ولكن بالرغم من اعتراف الشباب بأن دور المرأة كان كبيرًا في المظاهرات، وبأن عددهن أحيانًا كان أكبر من أعداد الرجال في المشاركة، ظلّ بعض الشبان والشابات من بيئات محافظة أو دينية يرون أن لكل من

المرأة والرجل أدوارًا محدّدة لا يجب تخطّيها.

"أنا مع حقوق المرأة، وفي الجامعة كانوا دائما يقولون لي يحب أن تدرسي محاماة للدفاع عن المرأة. المرأة كان لها دورا بارزا أكثر من الرجال في التظاهرات وعددهن كان أكبر في الساحات، لكن هناك أشياء أعتقد انها يجب ألا تكون لنا نحن النساء، هناك أشياء وجدت للرجل فقط." - طالبة في الجامعة الاسلامية ، 20 سنة، من بعلبك.

عدد قليل من الطلاب، وتحديدًا الطالبات الناشطات أو اللواتي تدرسن وتتخصّصن بموضوعات الجندر، انتقدن شعار "الثورة أنثى" وقلن إن الثورة ليست لا أنثى ولا رجل. وأكّدن أن رغم اعتراف الجميع بأهمية النساء ودورها في التظاهرات والتحركات، لكن التمايز بين الإناث والذكور بقي حاضرًا في الساحات، ليس بالخطاب فقط، بل أيضا بتوزيع الأدوار. فالدور الجندري بقيَ حاضرًا، خصوصًا عندما كانت النساء تقف في الصفوف الأمامية كخط فاصل بين القوى الأمنية والرجال. فهذا لم يكن دليلًا على جرأة الفتيات فقط، إنما استكمالًا لدورهن المعهود كأمهات أو أخوات تهدئن الرجال لدى غضبهم. وكذلك فيه استغلال لفكرة أن القوى الأمنية لن تجرؤ على التعدّي على النساء. إضافة إلى ذلك، اعتبرت تلك الطالبات أن معظم الناس الذين دُهشوا بدور المرأة في الثورة، صدرت دهشتهم عن اعتبارهم أن المرأة كائن ضعيف، والثورة وحدها جعلتهم يعترفون بقوتها. كما رأين أن تقديم المرأة في الإعلام ومديحها يعزّزان الصور النمطية لدورها المفترض.

وعلى الرغم من تعرّض بعض الفتيات لتعابير ذكورية أو لتحرّش في الساحات أو أثناء ذهابهن إلى بيوتهن في ساعات متأخرة من الليل، فإن هذا لم يمنعهن من الإحساس بقوتهن، وبالأمل في إمكان تغيير النظرة إليهن والسلوك تجاههن نظرًا للمساحة الواسعة التي شغلتها النساء في المطالبة بحقوقهن في الساحات العامة. وقد أثبتن وجودهن كأفراد متساويات مع الآخرين ومتفاعلات ومتضامنات مع البيئات والفئات الأخرى في الساحات.

<u>تغيّر نظرة الشباب بالمثليين/أت وحقوقهم</u>

أظهرت شهادات الطلاب أن الفئات الشابة في بيروت انتبهت بمعظمها إلى حضور المجموعات المطالبة بحقوق المثليين/ات والتي كانت ناشطة في ساحات العاصمة. كما أعرب عدد كبير منهم أنه لم يكن لديهم أدنى فكرة عن حقوق المثليين، ولم يتسنَ لهم أن يلتقوا بهم من قبل.

وبالرغم من أن هذه المجموعات تعرّضت للتنمر في بعض الأحيان من بعض الأشخاص في الساحات، إلا أن الانطباع عنهم وعن أحقيّة مطالبهم كان إيجابيًا بشكل عام. ويمكن رصد رد فعل الفئات الشابة تجاه هذه المجموعات المثلية ومطالبها حسب انتماءاتهم الاجتماعية والثقافية.

"انا من واحد من LGBTQ. لما نزلت إلى الساحة في بيروت، وجدتهم يطالبون بحقوقهم بالعلن. لقد كنت أعرفهم من الـ underground لكنني لم أكن أتخيل بأننا سنتمكن من التعبير ونطالب بحقوقنا في الساحات العامة في يوم ما، خاصة مع هذا الخليط من العالم من خلفيات مختلفة دون أن يعترضنا احد ويتنمّر علينا. كنت سعيدًا جدا. كان الناس في مرحلة التقبل، ربما لم يعجبهم الامر كليّا لكنهم لم يعترضوننا. كانوا مأخوذين ومتفاجئين بالاختلافات وسعيدين بها. واعتقد بان هذا التقبل بدأ يخف تدريجيا مع الوقت، في البداية كانت درجة التقبل الناس لبعضها عالية، ثم بدأ يصبح عندهم مأخذًا على المشاركين اكثر فاكثر. اعتقد بانا اذا نزلنا اليوم الى الشارع لنطالب بنفس الحقوق لا شك بأننا سنتعرض لمضايقات اكثر. الحماس والاحساس الذين وجدا في الشهر الاول

انتهى ولم يكن لهما استمرارية، وإن بقيت هذه الاستمرارية، فعند الفئات الشابة فقط وليس من هم أكبر سنّا." - طالب في الجامعة اللبنانية الاميركية، 19 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

وجود المجموعات التي تطالب بحقوق المثليين كان فرصة لبعض المثليين للتجرّأ والظهور والتعبير عن أنفسهم، وفرصة للتعرّف إلى آخرين لديهم نفس الأفكار والمشاركة في الدفاع عن حقوقهم.

"عندما كنا في الساحات، نزلت مجموعات كثيرة تطالب بحقوقها، بالإضافة الى مطلب "كلن يعني كلن". وبدأت الناس التي لم يكن لديها حقوق تشعر بأنها يمكنها أيضا المطالبة بحقوقها، متل المجموعات النسوية ومتل المثليين وحتى ذوي الاحتياجات الخاصة. كل المجموعات المهمشة كان لديها مطالب ونزلت تطالب بحقوقها. هذا ما لمسته، وخاصة في المسيرة من المتحف الى وسط البلد، كنت وللمرة الأولى في حياتي أتجرأ وأحمل علم المثليين، لذا كان هذا الحدث مفصلي بالنسبة لي على الصعيد الشخصي وعلى صعيد احساسي للبلد. أحسست بالحرية وبأنني أعبر عن نفسي للمرة الأولى." - طالبة في الجامعة الانطونية، 20 سنة، من بعبدا.

عدد كبير من الفئات الشابة والطلابية علم للمرة الأولى خلال الثورة بوجود المجموعات المثلية وتعرّف إلى مطالبها. وشيئًا فشيئًا، بدأوا يتقبّلون سماعها والتجرّأ على التفكير بها بعد أن كانوا يستغربونها أو يرفضونها، كما بدأ بعضهم يتقبّلها ويتعاطف معها. فحوالي ربع عينة البحث (أي 18 طالب/ة من أصل 47)، عبّروا عن تضامنهم الكامل مع المجموعات المطالبة بحقوق المثليين/ات، ومنهم من شاركها المطالبة بهذه الحقوق. قسم من هؤلاء آتون من بيئات اجتماعية وثقافية يسارية وعلى معرفة بالحقوق النسوية، أما القسم الآخر (5 أشخاص)، فكان الموضوع جديدًا عليهم كليًا، لكن احتكاكهم بالمجموعات المطالبة بالعدالة والمساواة الاجتماعية، ومواكبتها ثم انخراطهم فيها، أدّى إلى تغيير آرائهم ومناصرتهم حقوق الفئات المهمّشة كلها.

عدد قليل فقط من الطلاب (5 أشخاص) عبّروا عن مناصرتهم حقوق المثليين/ات، لكنهم اعتبروا أن وجود المجموعات المثلية في ساحات الثورة لم يكن المكان المناسب للمطالبة بحقوقها لأنها أضفت انطباعا سلبيا على الانتفاضة، واستُخدمت مطالبها للطعن بالثورة.

أما الفئات الشبابية الآتية من بيئات محافظة، وغالبًا ما يقيمون خارج بيروت، التقوا بالمجموعات المثلية للمرة الاولى في بيروت، وعبّروا عن عدم تقبلهم لهم دون تجريدهم من حرّيتهم في التعبير.

"بالنسبة لي، رغم أنني اعرف أن المطالبة بحقوقهم مهمة، لكنهم بنظري ليسوا الأولوية في وضعنا. علينا التركيز أولا على الوضع المعيشي وعندما تتحقق مطالبنا، ممكن المطالبة بأمور ثانية لاحقا. المثلية الجنسية أنا ضدها. أما بالنسبة لموضوع حضانة الأم والمشاكل الزوجية، فيوجد محاكم وقوانين معنية بذلك وليذهبوا للمطالبة بحقوقهم في المكان الصحيح، وأنا كشخص بحركة أمل مع الحق." - طالب في الجامعة العالمية اللبنانية، 24 سنة، من الضاحية الجنوبية.

شاع في بعض الدوائر الطلابية وصف المثليين/ات بأنهم "غير طبيعيين" وأنهم ظاهرة جديدة في لبنان يمثّلون "تراند" سينقضي ويزول مع الوقت. لكن هذا لا يمنع من اعتبارهم أحرارًا في تصرفاتهم وحقّهم بالاحترام.

"أحترمهم لأنهم بشر لكنني أعتبرهم ناس غير طبيعيين (مش نورمال) ولديهم مشاكل نفسية أو صحية أخرى. القصص تغيّرت اليوم، وصارت المثلية كأنها موضة (تراند) ما يعني أنها زمن محدد وسينتهي. طبعًا، حين ألتقي بهم أتعامل معهم بكل احترام، لكني لا أوافق على مطالبهم، خصوصا الزواج، قطعًا لا." - طالبة في الجامعة اللبنانية في دير القمر، 23 سنة من الشوف.

"في إحدى المسيرات وكنا فيها نحمل أعلام قوس قزح، أذكر أننا حين وصلنا إلى جامع الأمين كان هناك شباب قرب الجامع وبدأوا يهتفون "يا الله، بسم الله، الله أكبر"، وآخرون كانوا يريددون ضربنا. كان بيننا من يريد الرد عليهم لكننا قررنا الابتعاد عن المشاكل. سكتنا وأكملنا طريقنا ولم يعترضوننا." - طالبة في الجامعة الانطونية، 20 سنة، من بعبدا.

البعض عبّر عن تقبّله للمجموعات المثلية أكثر من ذي قبل، لكنّه لا يؤيد المطالبة بحقوقهم، كونهم مرفوضين دينيًا واجتماعيًا. وهذا يشير إلى تناقض عند أصحاب هذا الرأي.

"بيئتي التي أعيش فيها لا تتقبل فكرة المثلية الجنسية. لكنني حتى لو أنا لا أتقبلها شخصيا والدين يحرّمها، أعتبر أولا أنهم أشخاص مثلهم مثلنا، وعلينا احترامهم لأنهم موجودين معنا في هذا المجتمع شئنا ام أبينا. طبعًا من غير المقبول أذيتهم علمًا أن 90 % من الناس يتنمّرون عليهم. كل ما علينا أن نسكت ونتركهم في شأنهم. المثلية أمر جديد بالنسبة لي، يجعلني أطرح الأسئلة على نفسي خاصة وأن بيئتي ترفض الأمر كليا." - طالب من الجامعة العربية، 19 سنة. من الجنوب، سكان بيروت.

"مجموعات كتيرة ومتنوعة تواجدت في ساحات بيروت خلال الثورة؛ إسلام ومسيحية، سنة وشيعة. وكانت يوجد أمور شاذة؛ فتيات بلباس فاضح، وراقصات، ومجموعات تشرب الكحول. هناك أيضا مجموعات نسوية ومجموعات شاذة انا لا أستطيع تقبلها. هناك أشياء غير صحيحة دينيا كانت تحدث. لكن كان المهم بالنسبة لنا هو الهدف الأساسي، وهو تغيير النظام والفساد." - طالب في الجامعة اللبنانية الحدث، 22 سنة، من صيدا.

أخيرًا اعتبر البعض أن مطالب المثليين غير واقعية ومن المستحيل أن يحصلوا على أي حق من حقوقهم. أما البعض الآخر لم يبدِ أي اهتمام بالموضوع كونه لا يعرف أشخاصًا مثليين وليس لديه فكرة عنهم ليبدي رأيه بموضوعهم.

4.3.2- تغيّر علاقة الفئات الشابة باللغة العربية

كانت اللغة العربية لغة انتفاضة 17 تشرين. فهي التي استخدمت في التعبير عن المطالب والاحتجاجات، وفي الشعارات واللافتات والهتافات والأغاني والخطابات والبيانات والحوارات السياسية، وفي رسوم الغرافيتي على الجدران في الساحات، وصولًا إلى شبكات التواصل الاجتماعي.

ضمّت الساحات جميع شرائح المجتمع والفئات العمرية والمناطق، مذيعة شعارات شفوية ومكتوبة، مطلبية وسياسية ومعيشية، ومردّدة أغاني وطنية تترجم نبض الشارع. شاركت الفئات الشابة بفاعلية في إنشاء الشعارات وبثّها، وبعثت فيها روحًا وحركة وديناميةً في الساحات. وهي شعارات مستلهمة من بيئاتها وثقافاتها واحتياجاتها، وكانت بلغة عربية بسيطة، محكية أو عامية، والأنجع والأسلس في إفهام فئات الناس جميعًا. وقد شكّل هذا الأمر تجربة جديدة لكثرة من الشبان والشابات، وأحدث تغييرًا في لغاتهم المحكية

المستخدمة، وأسهم في تغيير الأشخاص أنفسهم.

"أنا ارتاح أكتر باللغتين الفرنسية والإنكليزية، ولغاية الآن لا أشعر بالراحة حين أتكلم باللغة العربية. قبل الثورة لم يكن هناك ضرورة أن أتكلم باللغة العربية مع أصحابي وكان صعبا عليي حتى تركيب جملة واحدة. مع الثورة، أحببت أن أحسن لغتي العربية وكانت الثورة فرصة لذلك. استغربت كثيرا كيف بدأت أكتب باللغة العربية، شعرت أنني لم أعد أعرف من أنا، وكأنها هوية جديدة." - طالبة في الجامعة الأميركية في بيروت، 18 سنة ، من المتن، سكان بيروت.

استعملت مفاهيم جديدة في الشعارات والخطابات لم تكن مستعملة في أحاديث الفئات الشابة والطلابية اليومية. ذلك أنها لم تكن مألوفة بين عدد كبير من الطلاب. وتعرّف هؤلاء على مصطلحات سياسية جديدة في الساحات والنقاشات والحوارات (الطبقية، الأوليغارشية، مثلًا).

ازداد استعمال اللغة العربية بعد الانتفاضة في الأوساط الطلابية الفرنكوفونية والأنغلوفونية وانكسر الحاجز الثقافي - الاجتماعي بينهما وبين اللغة العربية. وساعدتهم - وهم غالبا ما يستعملون اللغتين الإنكليزية والفرنسية للتواصل اليومي والقراءة والكتابة - في استعادتهم لغتهم العربية.

"الثورة غيرت وطورت لغتي العربية. في السابق، كنت أقرأ كلمتين بالعربية وأتوقف. بعد الثورة، صرت أشجع نفسي على قراءة كامل المنشور بالعربي. أظن أن شيئا في اللا-وعي عندي ربط اللغة العربية بالثورة، وأصبحت أصر على قراءة كل شيء باللغة العربية. اللغة العربية صارت رمزًا بالنسبة لي." - طالبة في الجامعة اليسوعية، 19 سنة، من المتن.

"لم تكن علاقتي باللغة العربية قريبة شخصيا، ففي صغري تكلمت الفرنسية في البيت والمدرسة، ثم الانكليزية في الجامعة. لكن الثورة جعلتني أهتم بمتابعة الأخبار، الأخبار المحلية والمتعلقة بالثورة، وهي كلّها باللغة العربية. وأيضًا هناك الهتافات التي كلها بالعربي ولا يمكن إلا أن تكون كذلك لأنها متعلقة بالبلد. أنا الآن أجبر وأمرّن نفسي أن أتكلم باللغة العربية." - طالب من الجامعة الأميركية، 21 سنة، من الحدث.

بعض الشبّان/ات الطلاب استعانوا بهتافات الثورات العربية وأغانيها - وخصوصًا السورية - فأدخلوها وحوروا بعضها لتناسب الانتفاضة اللبنانية. وهذا ما أثار حشرية الشباب أحيانًا لفهم الثورات الأخرى.

أدى اتساع تداول اللغة العربية في الساحات وعلى وسائل التواصل الاجتماعي إلى تزايد ارتباط الشبّان/ات ببلدهم. وأصبحت العربية المحكية والفصحى المتوسطة لغة تواصل مشتركة بين فئات من مصادر طبقية وثقافية متنوعة.

كما شكّلت اللغة العربية عنصرًا أساسيًا للانتماء وفي الهوية الثقافية. وأدركت بعض الفئات أهمية وجود لغة وطنية مشتركة في انتفاضة هدفها تغيير النظام السياسي والقيم الاجتماعية. وأصبحت العربية رمز الثورة ولغة التغيير.

"بعد 17 تشرين قررت أن أغير اختصاصي من الكيمياء إلى الأدب العربي. فالثورة جعلتنا نقوم أيضا بثورة في داخلنا. إضافة إلى ذلك، كل المصطلحات السياسية التي كان علينا استخدامها بالثورة كانت باللغة العربية. أصبحنا نعرف ماذا تعني "الأوليغرشية " و "الطبقية" وكل المفاهيم السياسية الاخرى. من جهة تانية، النقاشات السياسية التي كانت تحدث مثلاً باللعازارية وغيرها من ساحات النقاش أو اونلاين هي باللغة العربية. أصبحنا ملزمين أن نفهم ونتكلم باللغة العربية إن شئنا التعبير عن رأينا. المراكمة في الساحات قوّت لغتنا العربية من خلال اليافطات

والهتافات والبرامج السياسية التي كانت تتوزع. وحّدنا الصف، واللغة الاساسية لتوحيد الأفكار والبرامج السياسية كانت اللغة العربية." - طالبة في الجامعة الاميركية، 20 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

ساهمت 17 تشرين في إعادة تموضع جديد للغة العربية بين الفئات الشابة والطلابية التي تستعمل غالبا لغات أجنبية باعتبارها نوعًا من التمايز الثقافي

"كنت أعتبر من قبل أن أمي وخالتي (أي الجيل القديم) هن فقط من يتحدثن بالعربي. أما نحن الشباب/ات فلدينا لغتنا، لغة الأنترنيت واللغات الاجنبية. أما اليوم فأشعر بالفخر عند استعمال اللغة العربية وأسمعها، وأسعى لتحسينها." - طالب من الاميركية في بيروت، 21 سنة، من الحدث.

"اكتشفت أهمية أن أتكلم بالعربي خلال الثورة. منذ صغرنا، تربينا في المدارس على أننا يجب أن نتكلم باللغة الفرنسية أو الإنكليزية وهذا دليل على أننا أكثر تمدّنا أو تطورا. المشكلة تبدأ من المدارس. لا يجب طمس اللغة العربية ولا زرع فكرة أن من يجهلها هو (كلاس). يجب على الأقل تعليم اللغة العربية بشكل متساوي مع اللغة الأجنبية. لا يجب أن نخسر اللغة العربية أبدا لأنها بمكان ما تساعد وتقوّي انتمائنا إلى البلد وتقوّي علاقاتنا بالناس. أظن أن فكرة "الطبقات" هذه المتولدة من اللغات انكسرت في الساحات وأصبحنا نتمنى أن نستطيع التكلم باللغة العربية مثل الباقين." - طالبة في الجامعة الاميركية، 21 سنة من الجنوب، سكان بيروت.

5.3.2- تغيّر علاقة الشبان/ات ببيئاتهم وعائلاتهم

أدخلت الانتفاضة الانقسامات والتشققات إلى الخلية العائلية والاجتماعية، وإلى بيوت العائلة الواحدة وبين الأصدقاء أحيانًا. كأنما الانقسام حلّ في كل مكان.

فبين أبناء العائلة الواحدة، هناك أشخاص يؤيدون الثورة وآخرون ضدها. والفئة الشبابية عامة كانت مع الثورة في البداية، فيما كان أهلهم والجيل الأكبر سنًا ضدها. وأثناء الثورة وبعدها عانى عدد كبير من الطلاب من تشنجات ومضايقات وتنمر نتيجة مشاركتهم فيها، ما أدى إلى اهتزاز علاقاتهم ببيئاتهم وخروج بعضهم منها ومن أحزابها التي ينتمي شطر منهم إليها. وهذا ظهر على أكثر من وجه.

واجه شطر كبير من الطلاب مشاكل مع أهلهم، سواء كان أهلهم متحزبين أو مستقلين. فلدى خروج الشبان والطلاب إلى الساحات والشوارع للمشاركة في الانتفاضة، شكل خروجهم هذا مساحة للتعبير عن آرائهم التي كان تعبيرهم عنها هاجعًا أو خافتًا، فجعلوا يصرّحون بها ويعلنونها ويجرون على أساسها مراجعة لقيم بيئاتهم السياسية، ولمواقف أهلهم وانتماءاتهم. وهذا أدى إلى خلافات بين أهل وأبنائهم في البيوت، كأنما الانتفاضة التي أخرجت الشبّان/ات من البيوت إلى الشارع، كانت لها مفاعيلها في البيوت.

رفض بعض الأهل مشاركة أبنائهم في الثورة، فحاولوا إقناعهم بعدم جدواها، بسبب معارضتهم إياها أو خوفا على أبنائهم من خروجهم من بيئاتهم الحاضنة وتمرّدهم عليها. وذلك لأن خروج الأبناء ذاك قد يجلب متاعب للأهل، خصوصًا إذا كانوا ينتمون أو يميلون إلى أحزاب بيئاتهم تلك، أو يستفيدون منها اجتماعيًا أو اقتصاديًا.

"انفصلت عن التيار الوطني الحر منذ 17 تشرين وهذا ما خلق احتكاكا بيني وبين عائلتي، خاصة عندما نجتمع في أعياد الميلاد ورأس السنة. أحيانا كثيرة كنت أحس أن المشكل قد يتطور فأتحاشى الحديث معهم. حتى في البيت

تشنجت علاقتي بأبي في أول شهرين أو ثلاثة من الانتفاضة، وكان أبي لا يتوقف عن القول لي أننا ممولون من سفارات وأنهم أخضعونا لغسل دماغ." - طالبة في الجامعة الانطونية، 20 سنة، من بعبدا.

"أصبح الجو في البيت متوترًا وكانت فترة صعبة. طيلة فترة الحجر وتسكير البلد لم يكن أهلي يتكلمون معي، خاصة أمي التي كانت رافضة بشدة خروجي من التيار الوطني الحر وما زالت كونها محزّبة و تعمل معهم. ردة فعلها كانت الأصعب. أما والدي، لقد كان رافضًا في البداية أنني كنت ضدهم، لكنه بعد فترة وكأنه تقبّل وفهم أنني ضد آرائه السياسية ولست ضده كوالدي. حتى بعد أن أخذت قراري بالهجرة، وحتى عندما بدأت بتحضير أوراقي السنة الماضية، كان ما زال والدي يدافع عنهم، وكنا نقول له انا واختي؛ ماذا تريد أكثر من أن ابنتك تهجر هذا البلد بسببهم!" - طالبة في الجامعة اللبنانية فرن الشباك، 25 سنة، من منطقة جبيل.

عانت فئات شابة وطلابية شاركت في الانتفاضة من الفجوة التي أنشأتها الثورة بين الأحزاب وبيئاتها الحاضنة وبين الناشطين. وهذا ما عرضهم إلى بعض المضايقات، خاصة في المناطق التي تسيطر عليها أحزاب سيطرة كاملة، وأعلنت موقفها الرافض للانتفاضة.

"انا فعليًا لم أعد أرغب برؤية عائلتي ولم أعد قادرة لا على رؤيتهم ولا على سماعهم أو الخروج معهم! في الثورة حين كنا نتكلم عما يجري، أصبحت ألاحظ أنه لم يعد في استطاعتي تحمل آراءهم السياسية، ولا منطقهم الذي لا يدخل رأسي ولا يقنعني. لم أعد أريد أن أكون محاطة بأناس مثلهم. قبل الثورة لم أكن منتبهة إلى أي درجة نحن مختلفون بالسياسة. أصلًا قبل الثورة لم نكن نتكلم بهذه المواضيع." - طالبة في جامعة الالبا، 19 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

أدى التباين في الانتماءات الحزبية داخل العائلة النواتية الواحدة - ولدينا ما لا يقل عن 10 حالات من اختلاف انتماء الأمهات عن الآباء - إلى حمل أبنائهم/هن الناشطين/ات في الانتفاضة على الخروج عن انتماءات الأمهات والآباء معًا، لينخرط أبناؤهم وبناتهم في مجموعات ناشطة مستقلة. وهذا أيضا ما أدى إلى انقسامات داخل العائلة الواحدة.

نشأ في خضم الانتفاضة تخلّي بعض الشبان/ات الناشطين حديثًا عن أصدقائهم وصديقاتهم، بسبب التشنجات المستجدة بينهم/ن على خلفية المواقف من الانتفاضة إياها. وهناك تشنجات حصلت بين الطلاب المستقلين وأصدقائهم الذين ظلوا على ولاءاتهم لزعمائهم أو لأحزابهم. فقبل 17 تشرين لم تكن الميول السياسية تعني الكثير للشبان/ات الأصدقاء. لكن الانتفاضة والمواقف المتضاربة منها أحدثت شرخًا بين بعض الأصدقاء/ات، وخصوصًا في خضم الأزمة الاقتصادية وبعد مأساة انفجار مرفأ بيروت.

"أدت الثورة الى تفاقم الفجوة (الموجودة أصلا) بيني وبين أهل الضيعة او الأقارب المتحزبين. كنت اتعرض لبعض المضايقات الخفيفة المحمولة. أغلبية أصدقائي كانوا من الأشخاص المتحزبين، لكني كوّنت علاقات جديدة مع الأشخاص المستقلين سياسيا خلال 17 تشرين، الامر الذي أدّى الى تباعدي عن الأشخاص التابعين للأحزاب." - طالب في الجامعة اللبنانية الحدث، 20 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

"لم يكن يشارك أحد من عائلتي ومحيطي في الثورة، فهم ليسوا من الأشخاص الذين يقومون بثورة او انتفاضة ليس فقط ضد الزعماء ولا حتى من أجل الاعتراض على وضع المياه او الكهرباء، فهذه أفكار غير موجودة ضمن نطاق العائلة أو المحيط. عندنا في الضاحية (عزة وكرامة وبس)". - طالبة في الجامعة العالمية اللبنانية، 20 سنة، من الضاحية الجنوبية.

"في أول أيام الثورة، لم يكن أحد من محيطي يتدخل معي. كنت أمشي بفخر وأنا أحمل العلم اللبناني في طريقي إلى ساحة الثورة، وعادة أصادف مناصري حزب الله. لم يكن يضايقني أحد، وأعتقد أن السبب يعود الى أن أهلي محبوبين في الحي ولديهم صيت جيد. كن أحيانا عندما كانت تظهر فيديويات لي على وسائل الاعلام وانا اشارك بالتظاهرات والثورة، كانت أمي تنقلب عليّ لأن الحي يبدأ بالحديث عني. أعتقد بأن الناس في محيطي كانوا يستفزون لأني فتاة وهم أناس محافظون. لقد شعرت باختلافي عنهم. الذي تغير أنني بدأت أشعر بالانتماء إلى وطني أكثر من انتمائي إلى بيئتي في الضاحية الجنوبية." - طالبة من الجامعة العالمية اللبنانية، 20 سنة، من الضاحية الجنوبية.

"لأني مع التيار العوني، خلقت 17 تشرين توترا كبيرا بيني وبين أصحابي الذين كانوا مع الثورة. اليوم، رجعت أتكلم معهم لكن دون التطرق إلى المواضيع السياسية." - طالب في جامعة نوتردام اللويزة، 20 سنة، من بسكنتا.

"أستطيع القول على الصعيد الشخصي، هناك أصحاب قطعوا علاقتهم بي اجتماعيا وعلى مواقع التواصل الاجتماعي دون أي سبب سوى آرائي السياسية لأنني أناصر القوات اللبنانية." - طالبة من الجامعة اللبنانية، 23 سنة، من زغرتا.

"17 تشرين خلقت توترا بين الناس لأن هناك فئة مع التغيير وفئة أخرى كبيرة بقيت متمسكة بأحزابها ولا تقبل أي نقد لها. كثر ة من الناس تصادمت مع بعضها البعض لهذا السبب، حتى رفاقي في الصف. أنا بقيت محايدة ولا أتكلم بالسياسة مع أحد." - طالبة في الجامعة الاسلامية، 20 سنة، من بعلبك.

بعض المستقلين أو الذين خرجوا عن بيئاتهم، بدأوا يتفادون لقاء أصحابهم ومعارفهم الذين ظلوا على ولاء أو ميل سياسي قائم في بيئاتهم. والبعض أقام قطيعة قصدية ومعلنة مع بعض معارفه وأصدقائه للأسباب إياها. لكن هناك آخرون حافظوا على علاقاتهم ببيئاتهم، بالرغم من خروجهم عليها سياسيًا، معتبرين أن ذلك يجب ألا يؤدي إلى قطيعة اجتماعية. لذا حافظ هؤلاء على صداقاتهم الاجتماعية التي يفصلونها عن الخيارات السياسية. وظلوا أيضًا على علاقة وتواصل مع أترابهم ومن تربوا ونشأوا معهم في بيئاتهم، رغم التباين السياسي القائم بينهم. وحاول هؤلاء الفصل بين العلاقات الشخصية والسياسية.

"في البداية أحسست بأنني أبتعد قليلا عن رفاقي في القرية لأنني كنت أشارك في الثورة، لكنني الآن بدأت أتجنب معهم الحديث عن آرائي السياسية وأحاول قدر المستطاع ان لا تتأثر علاقتنا بهذا الاختلاف لأنني أحبهم ويهمني ان نبقى أصدقاء." - طالب في الجامعة العربية، 19 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

هناك بعض الشبّان/ات تخلوا بقوة وبعد صدمة عن انتماءاتهم، معلنين صراحة أنهم ما عادوا ينتمون إليها. لذا واجه هؤلاء أزمات مع بيئاتهم، تصل إلى حد التنمر أو التهديد أحيانا. وهذا ما يضع بعض الأسر والعائلات في مواقف صعبة؛ الاختيار بين احتضان أبنائهم وبناتهم، وبين موقف بيئاتهم التي ترفضهم. وفي المقابل هذا ما يفسر المصاعب التي تواجه الشبّان/ات في حال خروجهم/هن من انتماءاتهم وبيئاتهم. ومنهم من خرج على حذر من دون أن يعلم عائلته بذلك. وهذا ما يشير إلى مقدار انغلاق بعض البيئات والانتماءات في لبنان. وهي تقاوم تجدّد الحياة السياسية والاجتماعية.

"قسم كبير من أصحابي كانوا يخبروني كيف كانوا يتصادمون مع أهلهم لأن أهلهم ينتمون إلى الأحزاب ويحاولون منعهم من المشاركة في الثورة. 17 تشرين كانت ثورة باتجاهين. من قلب البيوت إلى الشارع، وأيضا من الشارع إلى قلب البيوت. لأنها شجعت الأشخاص على التعبير عن رأيهم ولم يعودوا مجبرين بآراء أهلهم. الثورة كسرت كلمة الأهل." - طالب في الجامعة اللبنانية، 25 سنة، من سكان الضاحية الجنوبية.

6.3.2- تغيّرات ذاتية - فردية ونفور من أحزاب السلطة

شكلت انتفاضة تشرين لحظة مفصلية في مسار معظم الطلاب/ات الذين واللواتي شاركوا فيها على نحو متفاوت. فهم غالبا ما يرددون: "قبل 17 تشرين ليس كما بعدها" على المستوى العام والفردي أو الشخصي، بصفتهم أفرادًا في المجتمع أو في جامعاتهم. فالانتفاضة كانت حقلًا لتجاربهم، تركت أثارها عليهم، فرديًا واجتماعيًا وسياسيًا، بصرف النظر عن اختلاف طبقاتهم الاجتماعية وطوائفهم أو جامعاتهم. فالانتفاضة كانت حدثًا كبيرًا دفع الفئات الشابة والطلابية إلى الاهتمام بالأوضاع والأحداث العامة في لبنان. وهي انتجت لديهم وعيًا سياسيًا متفاوتًا حسب الأفراد وتكوينهم الاجتماعي والثقافي، وحسب صلتهم ببيئاتهم. ومنهم من اندفع للانخراط في حركات تغييرية في الجامعات أو في مجموعات مستقلة. ويمكن رصد هذه هذه التغيرات على مستويات وفي ظواهر متعددة.

"عندما بدأت الثورة، لا شك بأنها كانت لحظات انفعالية بالنسبة لي، وأحسست انا واصدقائي بأننا نكتب التاريخ بأيدينا، وتوقعنا بأن تغييرًا فعليا سيحصل. لم يحصل تغيير في الوضع السياسي، إلا انه حصل تغيير كبير لدينا كأفراد. الثورة كانت نقطة مفصلية على عدة مستويات: كانت هناك أمور محرّم علينا المس بها (تابو) وأخرى تعودنا عليها وقبلنا بها رغم معرفتنا بأنها خطأ. كنا نقول لأنفسنا هكذا هو النظام في لبنان وتعودنا عليه. أتت الثورة لتكسر هذا الحاجز ولتوقظنا في نفس الوقت وتجعلنا ننظر إلى الأمور بطريقة مختلفة، أصبح عندنا وعي سياسي أكثر من قبل. النقطة المفصلية بالنسبة لي هي أننا أصبحنا قادرين على أن نرى الخطأ ونسمّيه ونحاول إصلاحه." - طالب في الجامعة الاميركية في بيروت، 21 سنة، من الحدث.

انفتاح وعلاقات تعارف واسعة بين أشخاص من مصادر طائفية واجتماعية متباينة وعلى ثقافات جديدة، فنجمت عن ذلك بلورة توجهات سياسية واجتماعية، أتاحت لكثرة من الشبان/ات والطلاب بناء ذواتهم الفردية أو شخصياتهم بناءً جديدًا. وذلك في خضم احتكاكهم وانخراطهم في مجموعات لديها توجهات فكرية وثقافية تناسبهم. وهذا ما حمل كثرة منهم على تعريف أنفسهم انطلاقًا من تجاربهم المستجدة، وتحديد هوياتهم الشخصية والسياسية، قائلين: "عرفت أنا مين، ومين الأشخاص اللي بيشبهوني".

"17 تشرين طرحت اشكالية كبيرة بالنسبة لي، وهي الصراع بين الخلفية التي أتيت منها وبين الجديد الذي تعرّفت عليه في الساحات. الثورة جذرتني أكثر باليسار، وعرفتني على ناس تشبهني بالتفكير. الثورة نقلتني من العزلة وجعلتني أكثر راحة مع نفسي. كنت دائما أحاول أن أطرح افكاري السياسية ضمن بيئة محافظة لا تتحدث بالسياسة، 17 تشرين عرفتني إلى مجموعات تناقش بالسياسة بشكل يومي. هذه النقاشات جعلتني أكثر شجاعة بالتعبير عن رأيي، وصرت اقوله دون خوف." - طالب في الجامعة اللبنانية الحدث، 20 سنة، من المتن.

"قبل 17 تشرين كنا محصورين ببيئاتنا، لكن الثورة جعلتنا نتعرف على ناس من كل المناطق. وهذا سمح لنا بالتعرف على أفكار ومواقف جديدة ومنوعة ما زاد من وعيينا السياسي. " – طالب في الجامعة الاميركية في بيروت، 21 سنة، من الجنوب، سكان بيروت.

"خلال الثورة انا تغيرت كتيرا. تعرفت على أناس كثر، صار لي أصحاب مقرّبون من غير ديني. لم أعد أخجل من حجابي، ولي أصحاب من فئات مختلفة وحتى يوجد بينهم مثليين ومثليات." - طالبة في الجامعة اللبنانية العالمية، 20 سنة، من الضاحية الجنوبية.

حصلت في خضم الانتفاضة العامة ثورات على المستوى الفردي والشخصي، كسرت لدى كثرة من الشبّان/ات والطلاب ثقافات وانتماءات كانت سائدة تلقائيًا لديهم، وكأنها كانت لصيقة بمسارهم الطبيعي في

تأييدهم أحزاب أهلهم وبيئاتهم. لقد انقلب هؤلاء أو خرجوا من بيئاتهم، وامتلكوا الجرأة والمعرفة والحرية في اختيار توجهاتهم الذهنية وانتماءاتهم، على خلاف الذهنيات السائدة في محيطهم. وحدث ذلك أثناء الاختلاط الشبابي والطلابي الواسع ونشوء صداقات بين فئات متنوعة في يوميات الانتفاضة. فخرج كثرة من الشبّان/ات من عزلاتهم المناطقية والاجتماعية، واندفعوا إلى الانخراط في مجموعات ناشطة مختلطة في جامعاتهم، ونما لديهم حس بالمسؤولية تجاه بلدهم وواجباتهم للمساهمة في التغيير.

"17 تشرين بالنسبة لي كانت النقلة التي سمحت لي بالتخلص من حالة الشك الذي كنت أعيشه، لأنني كنت أحس دائما أنني أمشي عكس التيار أكان داخل عائلتي أو منطقتي أو هذه البيئة المنغلقة التي وجدت فيها. كنت أتساءل دائما هل أنا على الطريق الصحيح؟ خلال 17 تشرين، تعرّت كل احزاب السلطة بشكل فاضح، وتأكدت بأن هذه السلطة فاسدة ويجب محاربتها كلها من دون أي استثناء. هذا ما خلق عندي نوع من الراحة النفسية لأنني تقيّنت أنني كنت على الطريق السليم." - طالبة في الجامعة اللبنانة كلية الحدث، 24 سنة ، من الجنوب.

أصبح الوضع السياسي في لبنان من صلب اهتمامات فئات واسعة شابة وطلابية، فراح كثيرون يتابعون أوضاع البلد عبر المجموعات وشبكات التواصل الاجتماعي الكثيفة. ونشأت لدى هؤلاء جرأة في التعبير عن آرائهم وأفكارهم في العلانية العامة الجامعية وفي بيئاتهم.

انكسر على نطاق واسع عدم المس ببعض المحرّمات المضروبة حول زعامات سياسية محدّدة وتحريم انتقادها في العلانية العامة. وقد انكسرت هذه المحرّمات في أوساط شابة وطلابية على وجه الخصوص. وشاع رفض انتخاب أي زعيم من زعماء الجماعات والطوائف وطواقمها السياسية، وأي من محازبيها في الجامعات. وهذا ما كرس أولويات الإنسان الفرد، حقوقه وحريته، مجردًا من دينه وطائفته وجماعته وحزبه.

"الثورة نمّت عندي الرغبه بالحرية والعدالة. لم نعد نخاف من شيء، ولم يعد هناك (تابو)، مثلا لم نكن نجرأ على تسمية حسن نصرالله. الآن اختلف الوضع. انكسر الكثير من الحواجز. هذا سببه بأننا انتبهنا بأننا لم نكن أحرارًا، والثورة أعطتنا الحرية وفتحت لنا عيوننا على كل شيء. انا الآن لم أعد خائفة من أي شيء، ولن نسكت عن حقنا بعد اليوم ولا شيء يستطتيع اسكاتنا." – طالبة من الجامعة اليسوعية، 18 سنة، من المتن.

انخرط كثرة من الطلاب/ات في مجموعات ونوادي وشبكات راحت تنشأ بكثافة في جامعاتهم، وتابعوا نشاطهم فيها وانتسبوا إليها، ووجدوا مساحتهم العامة والشخصية للتعبير.

"أنا لم أكن من النوع الذي لديه علاقات كثيرة، ولم يكن تلفوني يرن كل النهار. بعد 17 تشرين دخلت على مجموعات، وكلها مجموعات ناشطة على الأرض. الآن تلفوني لا يهدأ، لدرجة أن بعض الاتصالات لا يكمنني حتى الرد عليها. الفكرة هي ان هذه الثورة وهذه المساحة التي وجدتها سمحت لي ان أدخل إلى شبكات علاقات ولقد تمرست بهذا العمل. الآن، أنا موجود بكل الاجتماعات بينما لم أكن احضر أي اجتماعات من قبل. هذا التمرس سمح لي أن أتواصل مع الغير بسهولة، ان كان خلال الانتفاضة او خارج الانتفاضة، وهذا ما اكتسبته على الصعيد الشخصي. لقد أصبح عندي هدف، وهذا الهدف أعطاني الجلد والدافع لأن انخرط بالعالم." - طالب في الجامعة اللبنانية الفنار، 20 سنة، من بشري.

"تعلمنا أن نتحمل المسؤولية في مجتمع نعيش به لأنه يخصنا، وأن نتابع ماذا يحدث، وألا ندع الأمور تمر دون الاعتراض عليها. كما اننا اصبحنا معنيين أكثر بالانتخابات وسنشارك بها لنوصل اصواتنا بغض النظر اذا كنا سنتمكن من التغيير ام لا، على الاقل نحن مواطنون وعلينا واجبات تجاه وطننا." - طالبة في الجامعة اليسوعية، 19 سنة، من المتن، سكان بيروت.

وجدت الأقليات أو الفئات المهمّشة/المغيّبة؛ من طلاب ذوي احتياجات خاصة، والمجموعات المثلية، والمطالبات بحقوق المرأة، والمحجّبات والفئات الفقيرة - مساحة ومكانًا جديدين لها. وهذا ما أكسب هؤلاء ثقة بأنفسهم، فتجرأوا على المطالبة بحقوقهم. وتضامن شطر من الطلاب مع حقوق هذه الفئات المهمشة وناصروها.

"ما قبل 17 تشرين ليس كما بعده. أنظروا إلى نتائج الانتخابات في الجامعات كيف تغيّرت. بدأنا نسمع بالنادي العلماني الذي ليس له علاقة بالأحزاب. أنا من ذوي الاحتياجات الخاصة وكنت قد فقدت الأمل. 17 تشرين أرجعت لي الحماس بالمشاركة." - طالب من جامعة البلمند، 21 سنة، من الكورة.

"التغيرات الإيجابية التي منحتني إياها الثورة هي انني تمكنت من الخروج من قوقعتي ووجدت مكانا أنتمي إليه. وجدت أشخاصا يشبهونيي. يوم حملت علم القوس قزح في الساحات كان يوما مفصليا في حياتي، شعور مفاجئ في داخلي، وكأنني تحررت." - طالبة من جامعة الانطونية، 22 سنة، من بعبدا.

أدى احتكاك أبناء الطبقات الاجتماعية الميسورة بالفئات الفقيرة إلى أن يمتلك الشبان/ات والطلاب الميسورين وعيًا بأوضاع الطبقات الفقيرة التي احتكوا بأبنائها خلال الانتفاضة، فأعلنوا عن تضامنهم معهم، ومنهم من نشط في مجال تقديم المساعدات لهم، خصوصًا مع تمادي الأزمة الاقتصادية.

"بعد الثورة، عندما بدأت اتعرف على أناس آخرين وأحكي معهم، صرت أراهم بطريقة أخرى. صرت أعرف أن هناك ناس غير قادرة على تأمين طعامها، يتقاسمون ربطة الخبز بين خمس عائلات." - طالبة من الجامعة اللبنانية، 23 سنة، من زغرتا.

"بسبب 17 تشرين بدأت أعي أمورًا لم أكن أعيها من قبل، كالفقر مثلا. كنت أعرف أن هناك فقرًا في لبنان لكنه كان بعيدًا عني خاصة وأن أكثرية العائلات في المدرسة التي أرتادها هم من طبقة ميسورة. عندما عرفت أن هناك عائلات عاجزة عن اطعام أطفالها أصبح لدي الدافع أن أساعدهم قدر المستطاع، حتى أساعد المجتمع." - طالبة من الجامعة اليسوعية، 18 سنة، من المتن .

أثّرت شبكات العلاقات الجديدة وثقافاتها المتباينة على شخصيات الشبّان/ات والطلاب وتوجهاتهم، فبدأ بعضهم/هن في حاجة إلى المطالعة والقراءة والاطلاع أكثر فأكثر، إلى جانب تقبّلهم الاختلاف، فتناقص الخوف من الآخرين المختلفين.

"أنا تغيرت كثيرا بعد الثورة. صحيح كنت أقرأ ولدي اطلاع، لكن رغبتي الآن في القراءة زادت كثيرا وذاد فضولي أن أقرأ عن كل الأحزاب، وأن أحاول فهم تاريخ الحرب الأهلية والطائف. حتى أصبحت أتناقش مع أصحابي بأمور كهذه، أصحابي نفسهم التي كانت كل حياتهم السهرات والانستغرام." - طالبة في الجامعة العربية، 21 سنة، من صيدا.

بدأ شبان/ات من الفئات المتحزّبة يطرحون أسئلة على أنفسهم فيما يتعلق بأحزابهم ومواقفها. ومنهم/هن من ابتعد قليلا من تلك الأحزاب، وأخذ يفكر في انتمائه الحزبي ويراجعه، مترددًا حيال موقفه من حزبه. وهناك من بقي في حزبه، لكنه أصبح لا يتقبل المواقف الحزبية من دون التفكير فيها والاقتناع بها. وهكذا نشأت موجة من النقد داخل بعض البيئات الحزبية. والبعض عبّر عن رغبته في عدم الانصياع أو التصويت لحزبه، إذا لم يقتنع بمواقفه.

"بعد 17 تشرين بدأت أطرح على نفسي أسئلة حول التيار العوني طبعًا. لذا بعدت عنهم في آخر فترة. كان عندي احباط بسببهم. أنا لا أحملهم كامل المسؤولية وحدهم، وما زالت هناك أشياء أتعاطف فيها معهم. لكن بنفس الوقت، أعتقد أنهم لا يستطيعون اثبات أي شيء حتى لو كان الحق معهم." - طالب من جامعة نوتردام اللويزة، 20 سنة، من بسكنتا.

"لم ينقص جمهور القوات بسبب الثورة، لكنهم بدأوا بطرح الأسئلة أكثر وأرادوا أن يفهموا أكثر عن بعض القصص التي لم يسألوا عنها من قبل. بدأ أصحابي بالضغط عليي أن أترك القوات لأن لا خير للبلد بكل هذه الأحزاب. وكان من الصعب على مناصري القوات أن يجيبوا على أسئلة كتيرة. كانوا يقولون نحن نحب القوات لكن لا يعرفون كيف يتمسكون بهم. كنت أحاول دائما أن أوضح لهم بألا يخجلوا من الممارسة الحزبية. وأن شغلنا وممارستنا ونظافتنا (وأغلاطنا بنفس الوقت) هم الاساس. لقد تعذبت كثيرا معهم هذه السنة في الجامعة واشتغلت معهم. من قبل كانوا قوات وكفى. الآن يطرحون الأسئلة ويريدون أن يعرفوا لماذا نحن قوات." - شابة من القوات، 23 سنة، الجامعة اللبنانية من زغرتا.

هناك كثرة من الطلاب/ات تغيرت ميولهم السياسية، فتخلوا تمامًا عن أحزابهم، وما عادوا يركزون نقدهم على طرف واحد دون الأطراف الأخرى. واكتشفوا أنهم كانوا متحيّزين في آرائهم وأحكامهم السياسية، لأنهم كانوا يجهلون التوجهات الفعلية للأحزاب القائمة خارج بيئاتهم، أو قليلي المعرفة بها.

"أنا كنت مع فريق ٨ أذار قبل الثورة. هذه الثورة أو هذا الحراك فتّح عيوننا على مطالب معينة كنا ننظر إليها بطريقة مختلفة. وجدت أن الجيل الجديد يفكر بطريقة مختلفة عن الجيل القديم، وينادي بمطالب كان محرما التعبير عنها والجميع كان راضخا للأمر الواقع. أي الرضوخ لتركيبة البلد ولهذا النظام ولأفكار الأهل السياسية. ساعدنا الحراك وحرية التعبير في الجامعات على أن نسمع آراء الجميع ضد الجميع، لأن داخل بيئتنا لا نسمع اطلاقا أي نقد للسياسيين الذين يتبعهم الأهل. صار كل شيء على المكشوف. وهذا ما جعلني أن أراجع أفكاري وأرى كل الفرقاء السياسيين بمنظار واحد وأنتقدهم." - طالب من الجامعة الاميركية، 20 سنة، من الجنوب.

"أنا كنت مع حزب اسلامي معين وخلال الثورة بدأت أحس بأنني أتقبل الاخرين، ولم اعد أتشبث برأيي للحزب في الماضي. صرت أكثر وعيا، وأحاول دائما ان أنصح الاخرين بانه يجب ألا نتعلق بأحزابنا. انا كنت بحزب إسلامي وما زلت، والتغير الذي حصل هو أننا سنغير الحزب من الداخل ونقوم بإعادة مراجعة لقراراتنا." - طالب من الجامعة اللبنانية، 22 سنة، من صيدا.

III- محاور الدراسة

المحور الثاني:

التحدّيات في خضم الانهيار الاقتصادي وجائحة كورونا وانفجار مرفأ بيروت وآراء الطلّاب حول انكفاء الانتفاضة

يتألف المحور الثاني من قسمين:

القسم الأول: التحدّيات أمام الشباب والطلاب في ظل كوارث كبرى ثلاث

1.1- كورونا والعزل والدراسة عن بعد

2.1- الأزمة المالية والاقتصادية

3.1- انفجار مرفأ بيروت

4.1- الإحباط؛ الصراع بين البقاء أو السفر والهجرة

القسم الثاني: آراء الطلاب في أسباب انكفاء انتفاضة 17 تشرين

1.2- فئات المشاركين وأهدافهم الجامعة والمتباينة

2.2- أسباب الخروج من الشارع

3.2- المعوقات أمام الخروج عن الطوائف وزعاماتها

القسم الأول:

التحدّيات أمام الشباب والطلاب في ظل كوارث كبرى ثلاث

كوارث ثلاث غير مسبوقة حلّت بلبنان تزامنًا مع الانتفاضة؛ تفشّي جائحة كورونا والعزل الاجتماعي الشامل محليًا وعالميًا، والانهيار المالي والاقتصادي الحاد الذي طال شرائح المجتمع كافة باستثناء قلّة من أهل السلطة وأزلامهم، وانفجار مرفأ بيروت الذي دمّر نصف العاصمة وروّع أهلها وأذهل العالم بأسره.

هذه الحوادث - الكوارث الكبرى الثلاث أثّرت بقوة على الانتفاضة وعلى الطلاب في أشكال مختلفة.

1.1- كورونا والعزل والدراسة عن بعد (أون لاين)

خسارة الأماكن العامة: لم يكن تفشّي وباء كورونا أمرًا سهلًا على الناس كافة، لكنّه كان أكثر ثقلًا على الشباب والطلاب، إذ صعّب عليهم الخروج من منازلهم، وأفقدهم المساحات العامة التي كانوا يلتقون بها للتحرّكات والاحتجاجات المطلبية أو تلك الأماكن التي يرتادونها للسهر والترفيه، خصوصًا قبل تدهور الأحوال الاقتصادية.

في حضن العائلة: بالنسبة لكثرة من الشبّان/ات، سمحت أيام الحجر المنزلي والإقفال العام بإعادة تمتين الروابط العائلية وتخفيف الشعور بالوحدة والعزلة التي عانوا منها. لكن بالنسبة للذين يسكنون في بيوت ضيقة، خلق الحجر المنزلي مضايقات وتشجنات بين أفراد الأسرة، خصوصًا لمن يكثر عدد أفرادها، بسبب فقدان المساحة الكافية الضرورية لمتابعة أعمالهم ودراستهم على الإنترنت.

> "خلال حجر الكورونا، لم أتمكن من التقرب من عائلتي كثيرا، وعانينا من التوتر والصدامات. فأنا أدرس أون لاين، وحين أدرس لا أريد أن أسمع اي صوت ولا اي ضجة. أريد أن يطفئوا كل شيء. أنا لا أحب الخلافات لكن أهلي كانوا في البيت لا يعملون، وكان الضغط علي كبيرا. وأحيانا يكون الضجر قاتلا واليوم لا ينتهي، فتصدر منا بعض التصرفات مما يزيد التشنج بيننا. لقد كانت أجواء البيت مشدودة دائما." - طالبة في الجامعة اللبنانية، 23 سنة، زغرتا.

> "الكورونا كانت مشكلة كبيرة، فبالإضافة الى صعوبة حركتي التي تعوقني من الخروج من المنزل (ذوي احتياجات خاصة)، أتت الكورونا لتقضي على أدنى احتمال لي بالخروج من المنزل. لكن الروابط العائلية التي زادت خلال هذه الفترة قاستطاعت أن تعوّض علي قليلا وتخفف من الوحدة التي اعانيها." - طالب في جامعة البلمند، 21 سنة، من كسروان.

أثر الحجر: تحدّث بعض الشبّان/ات عن تعوُّدهم/هن على الوحدة، وتناقص رغبتهم/هن بالخروج من المنزل للقاء الأصحاب بعد فترات الحجر الكوروني. منهم/هن من استغل وقته في ممارسة نشاطات لم يكن يمارسها من قبل أو لم يكن لديه الوقت الكافي لذلك، كالقراءة والرسم والرياضة. واعتبر هؤلاء أن الحجر كان مفيدًا لهم على الصعيد الشخصي. ومنهم/هن من استفاد من الوحدة للتفكير بشؤونه الذاتية ولتمرين نفسه على

مواجهة أموره دون أن يهرب منها. ومنهم/هن من رأى أن الحجر كان ضروريًا لفهم الأحداث العامة واستيعابها وتحديد موقفه منها والتفكير في إمكاناته وقدراته على مواجهتها ومواجهة الواقع الجديد في لبنان.

"البقاء في المنزل طيلة النهار أمر صعب، خاصة وأننا مع أهلنا الذين لا يتوقفون عن انتقادنا والتذمر مننا. بدأت أختلف حتى مع أخي. لكن خلال الحجر، صار لدي متسع من الوقت لأقوم بأشياء جديدة. لقد خلقت صفحة لمعمل أبي على وسائل التواصل الاجتماعي، كما بدأت بتعلم اللغة الإيطالية من خلال دورات على الانترنت." - طالب من جامعة نوتردام اللويزة، 20 سنة، من بسكنتا.

"الحجر في المنزل جعلني أكتب. كنت دائما أفكر أني لدي قصصا كثيرة لأرويها لكنني لم أعرف كيف أعبر عنها بالكتابة. البقاء في البيت جعلني أكتشف أنني قادرة على التعبير بالكتابة وأهوى ذلك. أخاف الآن كثيرا أنه بعد أن صار بامكاننا الخروج، أن أفقد قدرتي على التعبير لأنني في العادة لا أعرف التحدث عن أموري الشخصية ولا أعبر عنها." - طالبة من الجامعة اللبنانية، 23 سنة، زغرتا.

صعوبات الدراسة عن بعد: في مجال الدراسة عن بعد (أون لاين)، عانى معظم الطلاب من مشكلة أساسية متعلّقة بضعف الأنترنت وانقطاعه وانقطاع التيار الكهربائي لأوقات طويلة، إذ لم يكن الطلاب ولا الأساتذة جاهزين للدراسة عن بعد، ما استلزم بعض الوقت للتأقلم على ذلك.

وحول التأقلم مع الدراسة عن بعد، برز الفرق بين طلاب الفئات النخبوية والميسورة في الجامعات الخاصة وبين طلّاب الجامعات الأخرى كالجامعة اللبنانية الرسمية مثلًا، إذ كانت مشكلات الطلاب في الجامعات الخاصة أقل وأساتذتهم أكثر تنظيمًا ومتابعة.

25% من الطلاب المشاركين في هذا البحث واجهوا مشاكل في التركيز الذهني أثناء الدراسة عن بعد، أما الأغلبية استطاعوا التركيز أكثر من المعتاد.

"سيئات الدراسة أونلاين كتيرة وليست قليلة، أما انقطاع الإنترنت والكهربا هما أساس المعاناة. أيضا، يشعر الطالب أنه منقطع عن العالم. عندما كنا نذهب إلى الجامعة، كنا نتواصل مع الآخرين ونتعرف أكثر على الطلاب. الآن ندخل إلى المحاضرة أونلاين، تنتهي ونخرج. لا نتعرف إلى بعضنا. حتى على الصعيد الصحي، عيوننا صارت تؤلمنا." - طالب في الجامعة اللبنانية العالمية، 24 عاما، من الضاحية الجنوبية في بيروت.

وعانى طلاب السنة الجامعية الأولى أكثر من غيرهم من طلاب السنوات الأخرى. فالحجر لم يسمح لهم بالذهاب إلى الجامعة، وبالتالي لم يختبروا الحياة الجامعية ولم يتعرّفوا على أجوائها ولا على زملائهم في الصف. أمّا طلاب السنوات الأعلى، ذكروا أنهم بقيوا على اتصال بزملائهم عبر مجموعات الواتس آب، لكن الحجر والدراسة عن بعد حدًّا من التفاعل فيما بينهم ومع أساتذتهم.

"بما إني في أول سنة جامعية، لا أعرف أحدا في الجامعة ومثلي كل الطلاب، لا نعرف بعضنا. الكل يشعر بنفس التوتر، لذا نحاول أن نتساعد، ونبذل جهدًا كي نختلط ونتعرف إلى بعض." - طالبة في الجامعة اللبنانية الاميركية، 18 سنة، من الشوف.

ميزات الدراسة عن بعد: الميزة الأبرز التي استفاد منها معظم طلاب الجامعات الخاصة هي مقدرتهم على تسجيل المحاضرات وتمكّنهم من إعادة الاستماع إليها خارج أوقات الدوام ولأكثر من مرة. وهذا ما افتقده

معظم طلاب الجامعة اللبنانية الذين كانوا أيضًا مجبرين على الحضور الشخصي لإجراء الامتحانات في مبنى الجامعة اللبنانية، ما شكّل عائقًا لهم في ظل انتشار الوباء.

الميزة الأخرى التي تحدّث عنها جميع الطلاب هي كسبهم للوقت الذي كانوا يهدرونه على الطريق خلال زحمة السير للذهاب إلى جامعاتهم. أما الطلاب الذين يقيمون في مناطق بعيدة عن العاصمة، استطاعوا إلى جانب توفير الوقت، الاستغناء عن دفع تكاليف التنقل والمواصلات، وكلفة الإيجارات في غرف السكن الجامعية أثناء الدراسة الحضورية.

2.1- الأزمة المالية والاقتصادية

تغيير في نمط الحياة: ألقت الأزمة الاقتصادية بثقلها على جميع الطلاب بلا استثناء، والهموم المادية والمالية أصبحت ضاغطة عليهم. البعض منهم اضّطر إلى تغيير نمط استهلاكه فاختزله إلى حدود السلع الأساسية، والبعض الآخر قلّل من خروجه وسهره أو عزف عن ذلك كلّيًا، وتحديدًا إلى المطاعم ومرابع السهر التي أقفل العديد منها أبوابها أو أفلست، ومنهم من استبدل عاداته تلك بالاستجمام في رحلات إلى الطبيعة أو بارتياده حانات ومقاه أقل كلفة مادية.

"الكورونا خففت من ثقل الانفجار الاقتصادي برأيي. نحن اليوم لا نشعر بالتغيير الجذري بنمط حياتنا لأننا مضطرون على البقاء في المنزل وليس لدينا الخيار بالخروج. لكننا فعليا نحن لا نخرج بسبب الأزمة الاقتصادية."
- طالبة من الجامعة اللبنانية كلية الحدث، 24 سنة، من الجنوب.

تغيير في المشاريع المستقبلية: زادت حدّة الأزمة المالية والاقتصادية لدى كثرة من الطلاب الإحساس بالمسؤولية عن أنفسهم وعن ذويهم. وهذا ما دفع عددًا منهم إلى القيام بأعمال موسمية أو البحث عن عمل. كما ضاعفت الأزمة إياها قلق كثيرين حيال مستقبلهم، فتحدّثوا عن عدم تمكّنهم من السفر إلى الخارج لمتابعة دراساتهم كما كانوا يخططون سابقًا. بعض الطلاب أجّلوا مشاريع السفر وبحثوا عن فرصة عمل في لبنان بانتظار ظروف مستجدة تتيح لهم إمكانية السفر والدراسة في الخارج، علمًا أن غالبيتهم ترى أن أجور العمل في لبنان لا تكفي حتى لتغطية الحاجات الأساسية بسبب التضخم والانهيار المالي والاقتصادي.

القلق على مواصلة الدراسة: عبّر طلاب الجامعات الخاصة عن قلقهم من عدم قدرتهم على متابعة دراستهم في ظل ارتفاع الأقساط الجامعية، علمًا أن هذا البحث قد أظهر أن أكثر من نصف طلاب الجامعات الخاصة لديهم منح دراسية تفوق 50 بالمئة من أقساطهم. أما طلاب الجامعة اللبنانية، لا سيما في الاختصاصات التي تحتاج إلى لوازم دراسية (كالطب والفنون)، فأعربوا عن تخوّفهم من عدم تمكّنهم من تأمين هذه اللوازم وشرائها. كما عبّر الطلاب المقيمون في مناطق بعيدة عن جامعاتهم عن صعوبة تأمين تكاليف النقل أو استئجار غرف جامعية أو شقق مشتركة قريبة من جامعاتهم للسكن فيها.

"طلاب الكليات بالجامعة اللبنانية في مجمع الحدث تضرّروا كثيرا خاصة كليات العلوم الطبية. فبالإضافة إلى الامتحانات الحضورية وعائق الأزمة الصحية، هناك عائق الأزمة الاقتصادية لأن كلفة النقل أصبحت مضاعفة،

وكلفة السكن مضاعفة، أما في كلية العلوم الطبية، فوق الأزمة الاقتصادية، كان علينا شراء المعدات بالدولار." - طالبة من الجامعة اللبنانية كلية الحدث، 24 سنة، من الجنوب.

3.1- انفجار مرفأ بيروت

الصدمة: تركت كارثة انفجار مرفأ بيروت آثارها النفسية القاسية لدى الجميع، وشكّلت صدمة جماعية وفردية حتى عند أولئك الذين لم يتضرّروا منها بشكل مباشر كخسارة حياة أحد أفراد الأسرة أو الأصحاب أو إصابتهم، أو تدمير منزلهم أو مكان عملهم. انفجار المرفأ كان الحدث الأكثر عنفًا ودموية الذي يشهده جيل الطلاب والشباب. فمعظمهم كانوا أطفالا حين توقفت الحرب الأهلية (1975-1990) أو لم يولدوا بعد، ولا يعرفون ما اختبره أهاليهم من مآسٍ ورعب.

"انفجار المرفأ جعلني افكر كثيرا في الاشخاص الذين أصيبوا وأصبح لديهم معوقات. كيف سيواجهون هذه الفكرة، هل سيتقبلون انفسهم؟ هل سيكملون بناء مستقبلهم؟ أقلقتني هذه الفكرة كثيرا، وحمدت ربي أنني من ذوي الاحتياجات الخاصة منذ الولادة ولم أتعرض لحادث." - طالب من جامعة البلمند، 21 سنة، من الكورة .

عجز معظم الطلاب عن التعبيرعن رعبهم ومشاعرهم حين استعادوا لحظات الانفجار في شهاداتهم، متسائلين كيف يكمن لهم وصف تلك اللحظات العصيبة. وتمامًا كعبارة "ما قبل 17 تشرين ليس كما بعده" التي ردّدوها كثيرًا أيام الانتفاضة، ردّدوا كذلك عبارة "ما قبل 4 آب ليس كما بعده". فالتوأمة بين هاتين العبارتين تأتي من أن انفجار المرفأ أكّد لكثيرين صواب نظرتهم إلى السلطة السياسية أو المنظومة الحاكمة التي ثاروا عليها في 17 تشرين.

"بعد الانفجار، حاولت قدر الإمكان ألا أتكلم بالموضوع. لكن مهما حاولت، هناك أفكار لا أعرف كيف تنبع من رأسي ولا أستطيع السيطرة عليها. أحيانا أقول لأمي أريد أن أكلمك ثم أسكت. أحيانا كثيرا أنا وأشاهد التلتفزيون أو أقلب التلفون في الليل، فجأة أرى بقعة سوداء وتصبح أفكاري في مكان ثاني. أشعر بخوف وقلق دائم." - طالبة من الجامعة الاميركية في بيروت، 18 سنة، من المتن، سكان بيروت.

"الانفجار سبب لي صدمة كبيرة، انا كنت تقريبا في منطقة الصيفي، أي قرب منطقة الانفجار. مشهد الدمار كان مرعبا. عندما أفقت من الصدمة، بدأت بمساعدة المتطوعين. لكن بعد الانفجار أحسست أن لا أمل بهذا البلد. نحن ممكن أن نموت باي لحظة، هكذا، بسبب الفساد أو الجهل." - طالب من الجامعة اللبنانية العالمية، 21 سنة من بيروت.

"الحمدلله أنا لم أتضرر ماديا ب 4 آب، ولم أخسر أحدا من أقاربي، لكن الانفجار ترك عندي خوف دائما أينما ذهبت. قلق دائم لا يرحل عني. أعيش كل الوقت دون أي احساس بالأمان. أصبحنا نودع أهلنا قبل الخروج من البيت حتى ولو في مشوار بسيط لأننا لا ندري ماذا سيحل بنا. نتواصل كل الوقت على الطريق على الواتساب لنطمئن على بعضنا. انا هنا، أنا هنا." - طالبة من الجامعة اللبنانية العالمية، 21 سنة، من سكان الحدث.

بتر العلاقة مع الأماكن: دمّر انفجار مرفأ بيروت نصف العاصمة، ووقعت الأضرار العمرانية الهائلة في أحياء عديدة أشدّها في مار مخايل والجميزة ووسط بيروت، أي تلك الأحياء التي أنشأ الطلاب والشباب معها علاقة جديدة وحميمة إبّان الانتفاضة، حيث اعتادوا على ارتياد مقاهيها وحاناتها الليلية، فضلًا عن علاقتهم السابقة بمطاعم ودور السينما في وسط بيروت. لكن بتر العلاقة مع هذه الأماكن لم يحدث مباشرة

بعد وقوع الانفجار بل على العكس، فالدمار الكبير دفع شريحة واسعة من الشباب والطلاب المشاركين بالانتفاضة، ومعهم جمعيات عديدة، إلى التنادي مساء 4 آب 2021 للقيام بأعمال النجدة والإسعاف والإغاثة في ظل غياب تام لمؤسسات الدولة.

"انفجار المرفأ هو الذي جعلني اقتنع بأنه لم يعد بإمكاني البقاء والعيش في هذا البلد. الجميزة ومار مخايل كانوا بالنسبة لي بيتي، مرجعي، حياتي وسهراتي ومكاني الذي أحس فيه بالامان. بعد الانفجار، وكأنه لم يبقَ لي شيء، ولم يعد هناك اي مكان آمن بالنسبة لي. لم اعد احس بالامان لا في بيتي ولا في الشارع ولا في اي مكان اخر، ولا يمر يوم الا وافكر هل يمكن ان يحصل انفجار؟ اصبحت احيانا اصاب بهوس رغم انني لم اكن هناك حينها. ساحة الشهداء بالنسبة لي اصبحت كايقونة للثورة ولم أعد اقصدها بعد انتهاء الثورة. كأنها انتهت وأصبحت شيئا بعيدا، صارت ذكرى. لا شك بان الثورة كانت جميلة، الا ان الذكرى بدت لي مؤلمة، ساحة الشهداء اصبحت موحشة وكئيبة وفارغة، تجلب لي الحزن اكثر من الذكرى الجميلة." - طالبة من الجامعة الاميركية في بيروت، 23 سنة، من بيروت.

المبادرات الفردية: ازدادت الحماسة بين شبّان/ات الانتفاضة، وتوطّدت علاقات التضامن والتعاون والتآزر بينهم، فبادروا إلى تنظيم حملات واسعة للإغاثة ولإزالة الردم والركام من مار مخايل والجميزة والمدور والكرنتينا والدورة وبرج حمود. وكانت انتفاضة تشرين قد رسّخت قناعة عامة لدى الفئات الشابة بأن الطبقة السياسية الحاكمة (التي أسموها بالمافيا) هي التي أوصلت البلاد إلى الإفلاس المالي والسياسي، وأن إهمالها وتواطؤها هما ما تسبّب بانفجار المرفأ. لذا لم يعوّل أحد على مبادرة أجهزة الدولة الرسمية في تنفيذ واجباتها ومسؤولياتها. والحق يقال أن العامل الحاسم في سرعة مبادرة الفئات الشابة والطلابية إلى أعمال الإغاثة وإزالة الركام هو علاقتهم الحميمة بتلك الأحياء سواء قبل 17 تشرين أو خلال الانتفاضة.

وبالرغم من وجود عشرات الجمعيات العاملة في المناطق المتضررة، كانت المبادرات الفردية الشبابية تحديدًا هي الطاغية على المشهد. فأغلب الطلاب المشاركين في هذا البحث، بصرف النظر عن انتماءاتهم الطائفية أو الحزبية أو المناطقية، ساهموا بأعمال الإغاثة ومساعدة أهالي الأحياء المتضررة وإزالة الردم والركام. كما التحق بعضهم/هن لاحقًا بمجموعات أو جمعيات كانت تنشط على الأرض، وتقوم بتنظيم الأعمال وتوزيع المهام والمعدّات والموارد المطلوبة. وفي هذا الإطار، استرجعت مجموعات ثورية عدّة علاقاتها الحميمة السابقة التي عاشتها إبّان الانتفاضة، وانضم إليها أفراد جدد. كما نشأت مجموعات جديدة أثناء التعاون في أعمال الإغاثة ومساعدة المنكوبين وإيوائهم.

"بعد الانفجار، شعرت أن علي أن آخذ إجراءات عملية، مثلي مثل كثيرين. علي مثلا أن أساعد، أن أوزع مساعدات، وهذا ما خفف عني الشعور بالذنب. بعد الانفجار، الناس شعرت بالغضب، نزلنا إلى الشارع من جديد. حتى أولئك الذين كانوا ينزلون للتسلية نزلوا بعد الانفجار لهدف آخر. شعرنا أننا نكمل الجزء الثاني من الثورة. لكن كان هناك ناس لم ينزلوا أبدا لشعورهم بفقدان الأمل." - طالبة في الجامعة اليسوعية، 18 سنة، من المتن، سكان بيروت.

"كنا قد وصلنا قبل انفجار المرفأ إلى حالة من اليأس، وبتنا نسأل أنفسنا ما الذي نفعله بعد في هذا البلد وإذا صار علينا الرحيل. لكن انفجار المرفأ والشعور بالصدمة والخوف عزز فينا الفكر الجماعي وليس الفردي. شعرنا من جديد بالتكاتف والانصهار، كما أن خوفنا على الأهل و الأقارب و الأحباء و على المدينة التي نحب دفعنا أكثر إلى التمسك بالبلد والمساعدة في مناطق بيروت المتضررة ... و ايضا إلى الإصرار والعمل على اسقاط سلطة ٤ اب. انفجار المرفأ عزز لدي فكرة ان لبنان هو بلدي ولن اتركه. لم يعد بامكاننا الجلوس جانبا والتفرج على أزماتنا، يجب أن نكون فاعلين في هذا المجتمع بشكل أو بآخر. لذا شاركنا في اعمال الاغاثة والتنظيف وأحسسنا بأننا لدينا دور و واجب يجب القيام به خلال هذه الازمة." - طالب من الجامعة اللبنانية، 19 سنة، من الجنوب.

ضربة قاضية أخرى: تفجّر غضب الناس إزاء جريمة العصر في مظاهرة 8 آب، أي بعد أيام أربعة فقط من انفجار المرفأ. فنزلوا إلى "ساحة الثورة" للتعبير عن رفضهم القاطع لمنظومة السلطة الحاكمة، لكن القوى الأمنية أمطرت المعتصمين بوابل من القنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطي. وكانت نتيجة عنف السلطة المفرط ووحشيتها بعد حدث كانفجار المرفأ أن ضاعف من إحباط الفئات الشابة والطلابية وفقدانها الأمل بالبلد أو بإحداث أي تغيير فيه، وهذا ما عبّر عنه بشدّة غالبية من جمعت شهاداتهم لهذه الدراسة.

في الخلاصة، يمكن ذكر النقاط التالية عن تداعيات انفجار المرفأ في نفوس الطلاب ووربطه بأسباب احباطهم:

- عاش معظمهم صدمة قاسية بعد الانفجار واستمرت كالكابوس بعد ذلك لفترة طويلة. نوبات من الأرق والبكاء، وشعور بالذنب واليأس، والإحساس المضني باستحالة استعادة الحياة الطبيعية. وكل ذلك **مصحوبًا بالقهر من توقف الانتفاضة** وفشلها في تحقيق المطالب، ما أدّى إلى رضة نفسية عنيفة لدى كثيرين منهم.

- لم يكن الجرح المعنوي والنفسي الذي خلّفه الانفجار واضح المعالم حين أقبل الطلاب بكثافة على أعمال الإغاثة وإزالة الردم والركام. فخلال قيامهم بتلك الأعمال، غمرهم نوع من التفاؤل الأليم إذ شعروا بأنهم يمسكون زمام الأمور في ظل غياب أجهزة الدولة، كما استعادوا شيئًا من علاقتهم بتلك الأماكن التي كانت مسرحًا لاحتجاجاتهم أثناء الانتفاضة أو لحياتهم الليلية قبل 17 تشرين. لكن هذا الشعور سرعان ما انطفأ. **فالانتفاضة لم تتجدد،** ونمط العيش ازداد سوءًا مع الانهيار المالي والاقتصادي وفشل السلطة في الحد من تفاقم الأزمة.

- اعتبر بعض الطلاب أن عدد الضحايا الكبير وحجم الدمار الهائل الناجمين عن الانفجار، إضافة إلى غضب الناس من إهمال أو تواطئ السلطة الحاكمة واستهتارها بحياة المواطنين أسباب كفيلة **بإشعال الثورة من جديد. لكن هذا لم يتحقق عمليًا،** وخلّف بالتالي إحباطًا ويأسًا في نفوس كثيرين.

- شعرت الأغلبية الساحقة من الطلاب بفقدان الأمن و الأمان في هذا البلد، وشعرت بالعجز وانعدام الأمل بالتغيير والقدرة وفقدان الجدوى من البقاء في لبنان في ظل إجرام المنظومة الحاكمة.

4.1- الإحباط؛ بين السفر والهجرة والبقاء

كثيرة هي الأسباب التي ولّدت الإحباط لدى الفئات الشبابية والطلاب، وجميعها أتت بحجم كوارث غير مسبوقة بحدّتها وأضرارها وتداعياتها.

"الآن هدفنا الوحيد هو السفر إلى حيث يمكننا العيش والعمل والبقاء. لكننا مسجونين هنا بسبب الغلاء وانهيار العملة. أملنا الوحيد هو أن نجد امكانية للحصول على منحة." - طالبة في الجامعة اللبنانية، 19 سنة، من الضاحية الجنوبية.

أولى هذه الأسباب تكمن في عدم تحقيق انتفاضة 17 تشرين أيًّا من مطالبها، والتي لم تترجم إلى خارطة طريق سياسية واضحة ومحدّدة ومتفق عليها. عدم الإنجاز هذا أدّى إلى خيبة أمل وإحباط لدى جيل كامل من الشبّان/ات، خصوصًا أولئك الذين شكّلت الانتفاضة أولى تجاربهم الاحتجاجية والسياسية.

والمفارقة هنا أن أكثر الأشخاص الذين أصابتهم الخيبة الشديدة واليأس العميق هم الطلاب الذين لم ينخرطوا في مجموعات الثورة، وظلّوا أفرادًا مستقلّين غير منضوين في أي أنشطة أو أطر جماعية محددة. أما الطلاب الذين نشطوا في الثورة وانخرطوا في مجموعات أو كانت لديهم تجارب احتجاجية سابقة عن 17 تشرين، كان أثر الصدمة أضعف وأخف عليهم، فتمكنّوا نسبيًا من التماسك النفسي، وحافظوا على شيء من التفاؤل والحماسة معتبرين أن انتفاضة 17 تشرين تجربة مهمّة في حياتهم وليست نهاية مطاف نشاطهم السياسي.

"لقد بقينا في الشارع بطريقة متواصلة لمدة شهرين انا وأصدقائي، لم نكن نذهب الى البيت الا نادرا، الا انها خفت وانقطعت تدريجيا وخصوصا بعدما ذهبت المواضيع الى نحو ثان، فخفت الوتيرة بعد أن وصلنا إلى مطرح فيه أزمات وجودية ويأس عن كيفية حياتنا، وزاد الاحباط حتى انفجار ٤ آب. لكن بعد الانفجار بدأنا بالتفكير بطريقة أخرى، وبدأنا نتموضع بطريقة سياسية، ونتحرك ونأسس أنفسنا كمجموعات. المظاهرات العفوية انتهت، وصار آن دور العمل الاستراتيجي." - طالب من الجامعة اللبنانية الحدث، 20 سنة، من الجنوب.

تخلّلت أيام الانتفاضة سلسلة من الكوارث، بدءًا من انهيار القطاع المصرفي وحجز أموال المودعين ومدّخراتهم، ثم تهاوي القيمة الشرائية للّيرة اللبنانية في ظل أزمة مالية واقتصادية حادّة صنّفت من بين أخطر ثلاث أزمات اقتصادية في العالم أجمع منذ 150 سنة، مرورًا بجائحة كورونا وتداعياتها النفسية والصحية والاقتصادية على الجميع، وصولًا إلى انفجار المرفأ الذي قضى على البشر والحجر وما زالت جريمة العصر لغاية اليوم بلا محاسبة. كل تلك المصائب المتتالية، وخصوصًا انفجار المرفأ، خلّفت اليأس والكآبة لدى الطلاب والفئات الشابة حسبما أظهرته معظم شهادات هذا البحث. فقد وجد الطلاب أنفسهم سجناء في هذا البلد، يرزحون تحت أوضاع اقتصادية سيئة لا يمكنهم التعايش معها، كما لا يسعهم بالمقابل مغادرته نتيجة انهيار الليرة ونهب الودائع.

سيطر الاكتئاب على فئة كبيرة من الطلاب، وبدأ البعض منهم بالتردّد على عيادات الطب النفسي والعصبي سعيًا للعلاج (10 طلاب من العينة). أما الآخرون، فحالت إمكاناتهم المادية القليلة دون ذلك رغم حاجتهم الكبيرة لتلقّي العلاج. في المقابل، أعربت قلّة من الطلاب عدم استساغتها للطب النفسي، إما لاعتبارهم أن لا جدوى منه أو لنظرتهم التقليدية إليه والمبنية على خلفياتهم الثقافية والاجتماعية.

"مرات عديدة، أكون جالسة مع أهلي وفجأة تنتابني موجات بكاء حاد بلا سبب ولا أحد يمكنه أن يهدأ من روعي. بدات نوبات البكاء تنتابني بعد أن انتهت التظاهرات وانتهى معها الفرح والأمل. بعد انفجار المرفأ نزلت أول يومين ووقفت. المصيبة أنني لم أشعر بأي شيء. ولم أقوَ على فعل شيء. طرحت على أهلي فكرة أن أزور معالج نفسي. المشكلة هي في امكاناتنا المادية، لكن أهلي رفضوا الفكرة بحجة أنني لا أشكو من شيء. لم يستوعبوا انني بحاجة ان اتكلم مع أحد غيرهم، وظنوا أنني لا أحبهم." - طالبة في جامعة الألبا، 19 سنة، من الجنوب مقيمة في بيروت.

توالي الصدمات والأزمات في لبنان والتي حدثت بالتزامن مع تراجع انتفاضة 17 تشرين، أثبت للشباب بأن لا شيء في هذا البلد يبعث الأمل، وبأن مستقبلهم غير مضمون في لبنان ومن الأجدى لهم أن يحزموا أمتعتهم ويرحلوا.

"كنت أفكر أنني سأجد عملا في الخارج، وأذهب وأجيء إلى لبنان بشكل دائم. الآن أريد أن أهاجر. يجب عليي أن أؤمن نفسي وأؤمن أهلي أيضا. أتفهم أصحابي حين يقولون أنه علينا البقاء جنب أهلنا في لبنان وأن يكون نفسنا طويل. أنا أهاجر لأنني أفكر بأهلي أيضا، وعندما أؤسس وضعي سأجلبهم واهتم بهم." - طالبة في الجامعة اللبنانية العالمية،21 سنة، من سكان الحدث.

فقط في عينة البحث هذه، لم يكن سوى 12 طالبًا عازم على السفر قبل 17 تشرين 2019 لاستكمال الدراسة في الخارج والباقون إما متردّدين أو غير راغبين بالسفر. أما اليوم، وبعد سلسلة الأزمات والمآسي الاجتماعية والاقتصادية الأمنية التي هدّدت لبنان، فالغالبية العظمى من العينة تسعى للسفر أو الهجرة بشتى الطرق، علمًا أن نسبة كبيرة منهم غير قادرة فعليًا على ذلك بسبب الأوضاع المادية. أما القادرون على الرحيل لاستكمال شهاداتهم العليا، يعتمدون على مساعدة الأهل أو الأقارب في الخارج أو على المنح الدراسية أو على إيجاد فرصة عمل للقيام بالأمرين معًا.

قلّة قليلة من الطلاب لا تود السفر، منهم من قرّر البقاء في لبنان لشعوره بالواجب تجاهه، فالتحق بالأندية الجامعية مستكملًا نشاطه المطلبي. ومنهم من فضّل البقاء في لبنان لأنه غير متقبّل لنمط الحياة في الخارج بسبب خلفيته المحافظة اجتماعيًا وثقافيًا.

"أقولها بكل صدق، لا أريد السفر لأنه إن حدث أمر ما في لبنان أثناء سفري سأشعر بالذنب. لا أستطيع تحمل فكرة أنني أنا قادرة على السفر وعلى الخلاص وغيري لا يستطيع. لا يمكنني تفسير ذلك، أنا أحب الانصاف، وأجد نفسي مذنبة إن سافرت وتركت الآخرين عالقين هنا. عليي أن أكون معهم." - طالبة في الجامعة اليسوعية، 18 سنة، من المتن، سكان بيروت.

القسم الثاني:

آراء الطلاب في أسباب انكفاء انتفاضة 17 تشرين

جمعت الانتفاضة في الأسبوعين الأولين في ساحاتها وشوارعها، خصوصًا في بيروت، فئات المجتمع اللبناني كافة تقريبًا، أشخاصًا من بيئات اجتماعية وطائفية متنوعة، ناشطين في مجموعات، مستقلين، ومناصرين لبيئاتهم ومنتمين لأحزابها، باستثناء المناصرين للتيار الوطني الحر الذين شاركوا في أماكن ومناسبات وتظاهرات محددة، خصوصًا أمام المصرف المركزي وقصر العدل.

لكن هذا الإجماع العام لم يدم طويلا، فبدأت تظهر خلافات في الساحات بين المتحزّبين ومناصري الأحزاب، خصوصًا محازبي "حركة أمل" و"حزب الله" الذين خرجوا من الساحات وارتدوا عليها ارتدادًا صداميًا عنيفًا ضد الفئات الأخرى المستمرة في الاحتجاج والتظاهر. وقد حدث ذلك على رغم مراعاة المتظاهرين للمتحزبين ليظلوا إلى جانبهم في الشوارع والساحات، محاولين احتواء ما حصل من شجارات في بدايات الانتفاضة.

وبعد أيام الإجماع الكبير والحشود الكبرى في الساحات، وتكرار موجات الهجوم العنيفة على المتظاهرين (من قبل حركة أمل وحزب الله)، بدأت أعداد كبيرة من الفئات العمرية المتباينة والاجتماعية الوسطى، والشبابية منها، تتكفئ عن المشاركة في الاحتجاجات المتواترة. وكانت أسباب ذلك كثيرة:

1.2- فئات المشاركين وأهدافهم الجامعة والمتباينة

بيّنت مقابلات الطلاب وشهاداتهم أن كثرة من المشاركين في ثورة 17 تشرين مازالوا على حماسة لها، خصوصًا مَنْ كان أهلُهم مستقلين غير حزبيين. أما الذين شاركوا في بدايات الانتفاضة على نحو متقطع، والذين أيّدوها من دون أن يتظاهروا إلا فيما ندر، وكانوا يناصرون أحزابًا أو ينتمون إلى عائلات متحزّبة، فقد انقلبوا على الواقع الحزبي في بيئاتهم، باستثناء حالات نادرة وفردية.

لكن عددًا كبيرًا من الذين شاركوا في التظاهرات ومكثوا في الساحات، لم يخرجوا فعليًا من ولاءاتهم الحزبية والطائفية. وهناك فئات من هؤلاء كانت لهم منطلقاتهم وأهدافهم ومناسباتهم المتباينة التي شاركوا على أساسها، ولا تخلو من دوافع محازبة وطائفية، منادين بفكرة عامة وغائمة للوطن.

الفئات المنتمية إلى الأحزاب التي كانت معارضة للثورة، المناصرة للبئية الشيعية أو المناصرة للتيار الوطني الحر، والتي شاركت في التظاهرات في البداية، انسحبت من الثورة وانقلبت عليها بعد فترة وجيزة، بحجة أنها مسيّسة.

> "في الأيام الأولى، كل الناس كانت في الشارع، من كل المناطق وحتى مؤيدين للأحزاب. لاحقا صار هناك شعارات قد تعيدنا إلى الحرب أهلية. بعض الشتائم وبعض الشعارات من الممكن أن تجرح فئة معينة. وصار أيضا أشياء تستفز شوارع معينة او أحزاب معينة، ووصل الأمر إلى حد مخيف. كنت أتمنى أن تبقى المطالب معيشية وألا تصبح سياسية." – طالب في جامعة LIU، من حركة أمل.

> "التحركات كانت **مسيّسة**، وكانت الاحزاب هي من يحركها تدعو الناس إلى النزول. كانوا يهتفون "كلهم يعني كلهم،" ولما فتاة بالمظاهرة جابت سيرة سمير جعجع، ضربوها. ولما انفجرت الازمة الاقتصادية بدأت الناس تنسحب وتبتعد. المظاهرات كانت أيضا من أسباب الأزمة. كنا حكما سنصل إلى هذا الانهيار لكن المظاهرات سرّعت ذلك.

صحيح انه في البداية كانت تحركات عفوية من كل الطوائف والمناطق بالساحات لكنها تسيّست فيما بعد." - طالب في جامعة نوتردام، 20 سنة، من بسكنتا، مع التيار الوطني الحر.

"في الفترة الأولى كنت أشعر أن كل الناس في الساحات تشبهني، لكن بعد ذلك ظهرت أمور سيئة و(زعرنات) كما الكل يعرف، وتعدّي على القوى الأمنية. وأنا للصراحة لا يمكنني أن أقبل إطلاقا بأي تعدّي على الجيش ولو على قطع رأسي. هذا الجيش الذي يحميني ويدافع عن بلادي. هذا السبب الأبرز الذي جعلني أوقف عن النزول إلى الشارع. بالإضافة إلى ان الناس صارت تنزل كي تتسلّى ونسيوا الهدف الأساسي." - طالب فيLIU، من الجنوب، حركة أمل.

جزء من الفئات الشابة السنّية تراجعت عن المشاركة بعدما أعلن سعد الحريري استقالة الحكومة. واعتبر هؤلاء أن الانتفاضة لم تحقق شيئًا سوى إقالة زعيم سني. وهذا ما جعلهم يقتنعون بأن الانتفاضة كانت ضد زعيمهم وطائفتهم.

"أنا أعتبر انها كانت أقل من ثورة وأكبر من حراك. شاركت بالثورة وكان شعور جميل جدا، لكن عندما استقالت الحكومة تغير الجو كثيرا وأحسست أنها لفئة واحدة من الناس فقط." – طالب في الجامعة العربية، سنّي من المصيطبة.

"لما استقالت الحكومة انتهت الثورة هنا. لم يكن هناك نية بأن يكملوا، كانوا يريدون هذا الهدف لا أكثر. وكل أساليب الثورة كانت خاطئة. ما النفع من تسكير الطرقات؟ لماذا قطع الطرقات على مواطن متلي؟ هذه ليست ثورة." - طالب في الجامعة العربية، سنّي من طريق الجديدة.

غالبية الطلاب الذين شاركوا في هذه الدراسة عايشوا الانتفاضة يومًا بيوم، وشهدوا كيف تراجع بعض أصحابهم وأصدقائهم الشبّان والشابات عن قناعاتهم، على الرغم من رغبتهم الحقيقية بالخروج من بيئاتهم وقيمها وذهنية أهلهم. لكنهم لم يجرؤوا على ذلك لئلا يصيرون في عراء غامض، بلا انتماء ولا حماية. لذا تراجعوا عن قناعاتهم أو كتموها. وغالبًا بتأثير من أهلهم أو من الجيل الذي يكبرهم سنًا. والمتحزبون منهم أغلبهم لم يتركوا أحزابهم، لأن الحياة الحزبية شبكة علاقات ونمط عيش لا يقدرون على التخلّي عنهما. وقد تكمن وراء ذلك كلّه مصالح معينة أو مكانة معينة أو عمل معين تؤمنه العلاقات الطائفية أو الحزبية.

"أنا نزلت إلى ساحة ايليا منذ أول الثورة، كنت أنتظر هذا الشيء لأتحرك. كانت أمي ضد أن أنزل، وعندنا احباط بسبب نتائج الثورات العربية. شاركت بتسكير الطرقات على الطريق البحرية، وكان في أناس محزّبين. كنت أريد أن أبقى وألا أترك الساحة لهم، وأن أثبت للجميع أن هناك أيضا أناس مستقلين في صيدا. أصدقائي ومعارفي كانوا ينزلون إلى الطريق في الأول، ثم توقفوا عن ذلك لأن الأجواء لم تعجبهم وهم محافظون." – طالبة في الجامعة اللبنانية، الحدث، 19 سنة من صيدا

الذين خرجوا عن بيئاتهم، قلة منهم كانت تنتمي إلى إحزابها وتنشط فيها على نحو فاعل. والشطر الأكبر منهم كانت لديهم ميول خفيفة غير محددة لحزب ما، أو مترددين في انتمائهم للأحزاب. وغالبا ما انخرطوا في مجموعات مستقلة خلال الثورة.

الشبّان/ات المستقلون الذين لم ينخرطوا في مجموعات ناشطة، خفتت عزيمتهم بعد تشكيل حكومة حسان دياب، ورأوا أن الثورة غير مجدية، ولا تؤدي إلى نتيجة ملموسة، وأن الوضع أصبح اسوأ مما كان عليه

في بداية الانتفاضة، بعدما كانوا يعتقدون أن النتائج ستكون سريعة.

هناك فئة من المستقلون/ات الذين لم يكونوا ناشطين من قبل، وليس لديهم ما يكفي من الاهتمام بالشان العام، وشاركوا في التظاهرات، ظلوا على حالهم، ولم يجدوا أجواء ولا مجموعات كي ينخرطوا فيها. ففي بدايات الانتفاضة غلب الاهتمام العام على الاهتمامات الفئوية. لكن استمرار الانتفاضة وخفوت المشاركة العامة فيها، غلّبت عليها اهتمامات وانقسامات المجموعات الفئوية.

الطلاب والطالبات الناشطون قبل الثورة، والمستقلون الذين انخرطوا في أجواء جديدة في الانتفاضة وانتموا اليها، استمروا في نشاطهم على أمل إحداث تغيير ما، وداوموا على الحضور في الساحات وفي المظاهرات الجزئية المتفرقة.

2.2- أسباب الخروج من الشارع

اختلفت آراء الطلاب في تسمية حدث 17 تشرين، وفي وصفهم أجواء الانتفاضة، وذلك حسب الخلفيات السياسية والبيئات التي صدروا عنها، واختلفت أيضًا أسباب خروجهم/هن من الشوارع.

في هذا الباب يمكن رصد التبريرات التالية:

- كثرة من الناس بأطيافهم المتباينة وبعضهم من الطلاب، يرون أن 17 تشرين كانت ثورة في أيامها الأولى، وكانت للجميع. لكنهم يرون أنها أصبحت تحركات مسيّسة بعد ذلك لأنها لم تعد تضم الناس جميعًا والمناطق كلها. وراح كل من الأحزاب والمتموّلين – بحسبهم - يتحكّمون بها، وبدأت الشتائم في الساحات تطال فئات معينة وزعماء محدّدين فقط. والبعض قال إن "الزعرنات" بدأت، وصار البعض يشاركون من باب التسلية والترفيه وتسجية الوقت. وهناك من يرى أن متظاهرين راحوا يعتدون على القوى الأمنية، وهم لا يقبلون بهذا السلوك. وهذا كلّه حمل أفرادًا من الشبّان/ات الطلاب الذين انسجموا مع الانتفاضة في البداية إلى الانسحاب منها بعد مدة، وعادوا الى انتماءاتهم.
- الطلاب الذين يميلون أو ينتمون إلى أحزاب، وخصوصًا إلى حركة أمل والتيار الوطني الحر، لديهم دائمًا الوصف نفسه لحدث 17 تشرين. وهم يقولون إنها كانت محقّة في بدايتها، والناس كانوا يطالبون بحقوقهم. لكن الانتفاضة - بحسبهم - انحرفت عن أهدافها فيما بعد، لتصبح مطالبها سياسية، لأن الأحزاب انخرطت فيها وسيّستها. لذا سرعان ما انسحب من الساحات مناصرو حركة أمل، وارتدوا عليها، فيما لم يشارك محازبو التيار الوطني الحر أصلًا في التظاهرات، إلا منفصلين وفي أوقات محددة.

الطلاب الموالون **لتيار المستقبل** شاركوا في بدايات الانتفاضة، ثم انسحبوا بعد استقالة الحريري معتبرين أن الانتفاضة كان هدفها إسقاط الحريري في الأساس. لذا راح أنصار المستقبل يتظاهرون على نحو منفصل دعمًا للحريري وزعامته بعد استقالته. وهم يرون أنها كانت ثورة في البداية، لكن تبيّن - بحسبهم - أنها حراك لفئات معينة من الناس وموجهة ضد رئيس الحكومة. وعندما استقال انكفأ الشطر الأكبر من المتظاهرين إلى بيوتهم.

الطلاب الناشطون أو المناصرون **للقوات اللبنانية** والذين شاركوا/ن بالانتفاضة بصفتهم غير الحزبية، يرون أن الانتفاضة بدأت تحت شعارات اقتصادية واجتماعية واختزنت مطالب سياسية. ولهذا بدأت بشعار

"كلن يعني كلن". كان موقف القوات اللبنانية الرسمي المعلن مؤيدًا للانتفاضة، لكنها لم تعلن انخراطها فيها رسميًا، باعتبارها انتفاضة غير حزبية. وكان ناشطو القوات يشاركون بكثافة في جل الديب وزوق مكايل وفرن الشباك. وهم استمروا في نشاطهم المتفاوت حسب منعطفات الانتفاضة حتى نهايتها.

الأحزاب اليسارية واليساريون المستقلون المشاركون في تحركات احتجاجية سابقة، كثيرون منهم رأوا أن حدث 17 تشرين لا يمكن تسميته "ثورة"، بل هو تحركات أو انتفاضة شعبية كبيرة حصلت نتيجة تراكم التحركات في السنوات الماضية، وأدّت الى انتفاض الشعب على الطبقة الحاكمة. فالثورات - بحسبهم - تتطلب وقتًا وتنظيمًا وجهدا طويلًا، ولا يمكن أن تبقى سلمية "بلا دم" يقول بعضهم. وهذه الفئة من الشبّان/ات والطلاب شاركوا على نحو متفاوت في الانتفاضة وفي مناسبات وأماكن وأهداف محددة.

فئة من **المحافظين والمتديّنين** رأت أن هناك أشياء غير سليمة دينيًا كانت تحدث في الانتفاضة. وغالبية هذه الفئة تحدثت عن مجموعات نسوية وبنات يلبسن لباسًا غير محتشم، رحن يرقصن في الساحات. وتحدثوا أيضًا عن مجموعات "شاذة" من الشبّان، وأخرى تشرب الكحول. لذا سرعان ما انكفأوا عن المشاركة في الانتفاضة بعدما أحسّوا في البداية أنها "ثورة"، كما سمّوها قبل أن تندس فيها تلك المجموعات غير المحتشمة التي لا تشبههم.

العديد من مجموعات الناشطين/ات أسمت ما حصل في 17 تشرين بـ **"الثورة"**، لأنها كانت لحظة مفصلية على الصعيد السياسي والاجتماعي في لبنان، وأيضًا على مستوى نشاط المجموعات والحياة الشخصية للناشطين/ات. وهم يرون أن الثورة إيجابية حتى ولو لم تفضِ إلى نتائج مرجوة. وكثرة من هؤلاء الطلاب أحدثت 17 تشرين فيهم تغييرًا في خياراتهم وفي حياتهم العامة والشخصية، وانخرطوا في الانتفاضة بقوة ولأوقات طويلة.

3.2- المعوقات أمام الخروج عن الطوائف وزعاماتها

معوّقات كثيرة واجهها الطلاب وحدّت من قدرتهم على الانفصال عن بيئاتهم وزعاماتها الحزبية والطائفية، أهمها عدم وجود البديل السياسي "الناضج" والقادر على جذبهم وحمايتهم، يليه الضغط الممارس على أهاليهم من قبل الأحزاب المهيمنة والتهديد بحرمانهم من شبكات أمان الاستزلام السياسي.

فيما يلي، جملة من الشهادات حول أسباب العودة إلى الانتماءات السابقة ولو بدرجات مختلفة بقوتها.

> "لا شك بأن عددًا كبيرًا من الفئات الشابة والطلابية لم يتمكّنوا من الانفصال عن أحزابهم واتخاذ قرار استراتيجي في هذا الشأن، وربما لا يزالون ينظرون إلى "الحركات البديلة" - إذا أمكن القول - أو القوى المغايرة وكأنها لم تصل بعد إلى درجة عالية من النضج بالرغم من ظهور "ثورة 17 تشرين". وبالتالي هم لم يصلوا بعد إلى درجة الشعور بالأمان تجاه هذه الحركات التغييرية التي لا يزال النظام قادرًا على قمعها، على الرغم من انتشارها ومن القبول الذي تحظى به بين الناس." - طالب من الجامعة اللبنانية، 25 سنة، من بيروت.

> "في البداية كل الناس حاولت أن تخرج من الأحزاب وأجواء أهلها، لكن ربما لأنهم لم يجدوا البديل المنظم، عادوا نوعا ما إلى أهلهم والأحزاب. التقصير كان من الجهتين، الحركة الطلابية و الحركة في الشارع، لأنه كان من المفترض

تجميع قدراتهم بشكل افضل وإيجاد أرضية مشتركة. في الصراع مع السلطة، كان على الجميع أن يكون أكثر عطاء من أنفسهم لنصل إلى نتيجة. أيضًا، الأشخاص الذين عادوا إلى الأحزاب، ربما عادوا لمصلحة زبائنية لم يجدوها في الطرف المقابل." - طالب في الجامعة اللبنانية الفنار، 20 سنة، من بشري.

"الناس لم تخرج عن طوائفها لأن البرنامج السياسي البديل المفترض أن يقتنعوا به لم يكن موجودا. لا نستطيع أن نجزم أن كل من نزل إلى الشارع كان عنده الاستعداد للانسلاخ عن طائفته لكنه بلا شك كان لديه الغضب. وهذا الغضب لم يوظف بشكل صحيح. السلطة اليوم هيكل قوي وضخم ولكي نتمكن من كسره علينا بناء هيكل بالمقابل، وهذا لم يحصل." - طالبة بالتكتل الطلابي من الجنوب، 24 سنة، الجامعة اللبنانية.

"الشباب و الصبايا متأثرين ببيئاتهم وخائفين من الخروج عنها لأن البديل غير موجود. المشكلة في لبنان أننا نقيّم حسب السيء والأقل سوءا ولا نبحث عن خيار آخر جديد. عندما نزلنا في 17 تشرين، كنا كلنا مشحونين ونريد الحرية، ونطالب بالتغيير من كل قلبنا. عندما بدأنا جديا بخوض المعركة، وكلما انتقدنا حزب ما، يتغير الهدف والبعض ينسحب ولا نجده معنا. 17 تشرين غيّرت أفكاري. لكن لم يعد عندي نفس الايمان بالمجموعة المستقلة التي انتميت لها. لم أجد البديل المستقل الذي أؤمن به، انما ايماني بالقضية مستمر." - طالبة في الجامعة اللبنانية دير القمر، 21 سنة، من الشوف.

III- محاور الدراسة

المحور الثالث:

الحركة الطلابية في الجامعات، والنهوض بعد انتفاضة 17 تشرين

يتناول المحور الثالث المواضيع التالية:

1. هيمنة المنظّمات الحزبية على الجامعات قبل 17 تشرين
2. نشوء المجموعات الطلابية المستقلّة في الجامعات وتوهجها مع الانتفاضة

من آثار انتفاضة تشرين الشبابية/الطلابية ظهور مجموعات جديدة من طلاب/ات الجامعات، عابرة للطوائف ومستقلة عن المجموعات والمنظمات الطلابية الحزبية. وهذا ما أثّر إيجابًا على النشاطات الثقافية والاجتماعية والسياسية في الجامعات، وانعكس على انتخابات مجالسها الطلابية، وفي بروز شبكات ومجالس طلابية وشبابية ونوادي مستقلّة جديدة في الحياة الجامعية والطلابية العامة.

1- هيمنة المنظّمات الحزبية على الجامعات قبل 17 تشرين

حسب غالبية الطلاب، لم يكن الوضع في الجامعات يختلف كثيرًا عمّا هو في البلاد من حيث الاستقطابات الحزبية والطائفية. فغالبًا ما كان كل فريق حزبي يسيطر على الجامعات الموجودة في مناطق نفوذه، وينسحب ذلك على الجامعات الخاصة وفروع الجامعة اللبنانية الرسمية.

" صحيح أن السيطرة كانت لحركة أمل، وكأنها دويلة، تماما كما قسّموا الدولة ولكل واحد حصّته. لكن كنت أشعر أن حزب الله او الاشتراكي أو العوني كانوا كلهن راضين بذلك. وإذا تكلمت أو أعطيت رأيي بالموضوع، يقومون كلهم ضدي. وكأنها تقسيمات الدولة لكن بالجامعة." طالبة في جامعة عبد الرحيم مراد LIU، 24 سنة، من بيروت

الجامعات الخاصة

قد تكون **الجامعة الأميركية** في رأس بيروت أقل من سواها اندراجًا تحت هيمنة هذه الاستقطابات بوجهها الحزبي - الطائفي على طلابها. وذلك لأسباب متعددة؛ منها الخليط الطائفي لطلابها، وانتماؤهم إلى النخب الميسورة في الطوائف، وظهور مجموعات ناشطة ومستقلة سياسيًا ويسارية مدنية، منذ أواسط تسعينات القرن العشرين. لكن هذا لم يلغي حضور المنظمات الحزبية ونشاطاتها والاصطفافات الطائفية في الجامعة الأميركية التي سرعان ما انهارت في خضم انتفاضة تشرين.

أما في **جامعة القديس يوسف (اليسوعية)**، فإن طبيعة منطقتها المتجانسة طائفيًا، أي مسيحيًا في التباريس وشارع مونو وعلى طريق الشام، وغلبة النخب المسيحية تاريخيًا على طلابها، كانت من أسباب غلبة الاصطفافات الحزبية المسيحية فيها (تيار وطني حر وقوّات لبنانية)، إضافة إلى احتدام المنازعات والصدامات الحزبية والطائفية الناجمة عن تكاثر الطلاب المنتمين إلى حركة أمل وحزب الله فيها. ولكن بعض مجموعات الناشطين المستقلّين أو يساريّي الهوى والثقافة والمختلطين طائفيًا، كانت قد ظهرت في الجامعة اليسوعية في النصف الثاني من تسعينات القرن العشرين، أسوة بالجامعة الأميركية. وقد ظلت تجري انتخابات للمجالس الطلابية في هاتين الجامعتين، على خلاف غيرهما من الجامعات الخاصة.

الجامعة العربية في منطقة الطريق الجديدة في بيروت، **وجامعة الروح القدس** في الكسليك، وغيرهما من الجامعات الخاصة الأخرى في بيروت والمناطق، منعت إداراتها الطلاب من إجراء انتخابات طلابية بحجة عدم سماحها بالعمل السياسي والحزبي فيها. وكان حضور ونشاط الطلاب الحزبيين أو المناصرين للأحزاب في هذه الجامعات يستظل مظلة نوادي غير حزبية. واختلفت طريقة السيطرة على الجامعات، كما اختلف هامش حرية التعبير بين جامعة واخرى، حسب المنطقة والأحزاب المسيطرة. وهذا ما أدى الى نشوء شبكات حماية وزبائنية في بعض الجامعات الخاصة.

وبيّنت نتائج البحث أن ما يعادل نصف الطلاب في الجامعات الخاصة حصلوا على منح أو مساعدات في أقساطهم بين 20 - 80 في المئة لتصل إلى 100 في المئة في بعض الحالات. وهذه المنح إما تقدّمها إدارة الجامعة أو أحزاب أو مؤسسات دينية ورعائية.

وهذا يشير إلى أن الولاءات الحزبية والطائفية حاضرة بين طلاب الجامعات الخاصة. وهم يتمسّكون بطائفتهم كهوية مجتمعية، ويعتبرون الانتماء الحزبي عاملًا يساعدهم ماديًا في تحمل أعباء الأقساط. وغالبًا ما يستفيدون من الخدمات التي تقدّمها الهيئات أو النوادي الطلابية. والبعض يجاهر بهويته الحزبية من دون أن يكون مقتنعًا بها. فهي وسيلة للترقّي والوصول إلى المناصب حتى الأكاديمية في الجامعة. والزبائنية التي بنتها أحزاب السلطة تشمل الجامعات، وجعلت حقوق الطلاب البديهية صعبة المنال. وربطت حصولهم على هذه الحقوق بالتبعية أو الولاء للأحزاب.

الجامعة اللبنانية

كانت قد أُنشئت للجامعة اللبنانية خلال الحرب الأهلية (1975 -1990) فروع في مختلف المناطق والمدن اللبنانية بسبب عدم قدرة التنقل بين المناطق في زمن الحرب الطويل. وتزايد عدد هذه الفروع بعد الحرب. وهذا عزز الانقسامات والنزاعات السياسية والمناطقية والطائفية في هذه الجامعة. وساهمت سطوة الأحزاب المتفشية بين الأساتذة والطلاب في هيمنة الأجهزة الحزبية على الجامعة اللبنانية، إدارة وأساتذة وطلابًا، فتعطلت فيها الانتخابات الطلابية منذ العام 2008، بعدما صدر قرار عن رئيس الجامعة بتأجيل الانتخابات بحجة الأجواء الجامعية المتشنجة بين الطلاب الحزبيين، على أسس طائفية. ومذاك عمدت المجالس الطلابية الحزبية - حسب كل منطقة وغلبة الجماعات الحزبية الطائفية فيها - إلى توارث السلطة بالتزكية أو بالتمديد لنفسها. وبقيت فروع الجامعة تحت نفوذ الأحزاب المسيطرة حسب المناطق. وطغت التقسيمات السياسية في النوادي داخل الكليات، فغاب المسار الديمقراطي في الجامعة. واستمر هذا الواقع في الجامعة اللبنانية على حاله من دون أن يختلف كثيرا عن المشهد السياسي في لبنان. وتوزعت السيطرة في المجالس الطلابية بين "حزب الله" و"حركة أمل" و"التيار الوطني الحر" و"القوات اللبنانية" حسب نفوذ كل حزب في المنطقة التي توجد فيها الكليات. ومعظم طلاب الجامعة اللبنانية تذمروا من أوضاع جامعتهم، ومن سيطرة الأحزاب عليها قبل 17 تشرين، ومن العلاقات الزبائنية في الجامعة التي كانت طاغية في ظل غياب الانتخابات الطلابية، وممارسة المنظمات الحزبية القمع والتعسف ضد المستقلين والخارجين عن الولاء للمنظمات التابعة للأحزاب. أما الحزبين منهم فتذمروا من عدم وجود أدنى مقومات الشروط الملائمة للطلاب في البنية التحتية للجامعة. ولا شك في أن أحزاب السلطة تهيمن على فروع الجامعة اللبنانية، وتفرض أحيانًا سيطرة ثقيلة عليها بالترهيب والقوة والقمع، من غير أن يكون للطلاب غير الحزبيين والمستقلين الحق في التعبير عن آرائهم أو رفضهم للأحزاب. ومن أقوى أساليب الأحزاب لاستمرارية سيطرتها على الجامعة، إقامتها نشاطات سياسية وأحيانا دينية؛ مهرجانات حزبية، ونشر صور القيادات والشعارات الحزبية في الحرم الجامعي للتأكيد على سيطرتها وقمع الآخرين، وإلحاق هوية الجامعة بالهويات الحزبية. فتسجيل الطلاب لا يمكن أن يحصل من دون مرور الكليات على مجالس الطلاب الحزبيين - كلية الحقوق مثلا - بحيث لا يتمكن الطالب من الحصول على المعلومات المتعلّقة بالجامعة إلا عبر هذه المجالس المهيمنة على الحياة الطلابية عبر هذه الأساليب. لذا يتضاءل هامش الحرية في أوساط طلاب الجامعة اللبنانية حسب انتماءاتهم وأحزابهم. والطلاب المعارضون للأحزاب المسيطرة غالبا ما يتعرضون للقمع ويطغى على

الجو العام في الجامعة طابع ممارسات دولة بوليسية ونظام استخباراتي. وقد يختلف الوضع قليلا في بعض الفروع والكليات في الجامعة اللبنانية. ففي بعض الفروع تجري انتخابات مندوبين للصفوف، لكن المجالس الطلابية تتبع دائما الأحزاب وتمارس المحسوبيات.

2- نشوء المجموعات الطلابية المستقلّة في الجامعات وتوهّجها مع الانتفاضة

على وجه الإجمال، لم تكن الفئات الشابة والطلابية تهتم بأحوال البلاد السياسية قبل انتفاضة 17 تشرين. وكان هذا نتيجة انغلاق حياتهم على بيئاتهم أو جماعاتهم الأهلية والمناطقية والطائفية، وضعف اهتمامهم بأوضاع المجتمع العامة. وكانوا يتأقلمون في أجواء جامعاتهم كحال تاقلمهم مع أوضاع البلاد، معتبرين أن الانتماءات والولاءت الحزبية على المثال الطائفي والزبائني، أمر مسلم به ويكاد يكون قدرًا عاديًا تقريبًا، فيتعايشون معه. وبما أنهم من جيل تفتّح وعيه وتفتحت مداركه في زمن ما بعد الحرب التي رسّخت الولاءات الطائفية وتوزيع السلطة ومناصبها على أسس طائفية - حزبية، لم تتشكل لدى العدد الأكبر منهم ثقافة مدنية للمطالبة بحقوقهم كطلاب وكمواطنين. وكادت تنحصر اهتماماتهم ورغباتهم في التخرج والانتهاء من الدراسة. فكثرة منهم كانوا ينتظرون تخرجهم من الجامعة لمغادرة البلاد، وخاصة المقتدرين على ذلك.

"الحركة المفصلية التي شهدناها على صعيد لبنان انعكست شخصيا علي، لأنني لم أكن اهتم بالسياسة، سواء بالمجتمع او بالجامعة. لم يكن يهمني الوضع العام بالبلد. 17 تشرين كان الحدث الذي جعلني أهتم بالأوضاع والاحداث التي تحدث في لبنان، وجعلتني أعي الاوضاع السياسية. حتى الحركة الطلابية لم أكن منخرطة فيها من قبل. 17 تشرين جعلتني اندفع للحركة التغيرية والاستقلالية التي كانت تحصل في الجامعات. طالبة في الجامعة الاميركية، 20 سنة من الجنوب، سكان بيروت.

"17 تشرين أثرت عليي كتير وجعلتني اتخذ قرارات مهمة بحياتي. جعلتني أؤمن أنني لا أستطيع المشاركة بالثورة إلا إذا كانت نابعة من ذاني، أي أن أقوم أيضا بثورة على نفسي. 17 تشرين رسمت لي طريق حياتي بالعمل السياسي الطلابي." - طالبة في الجامعة الاميركية، 20 سنة، من الجنوب سكان بيروت .

"ما قبل 17 تشرين ليس كما بعده، أقلّه لناحية النتائج التي بدأنا نلمسها على صعيد الحركة الطلابية في الجامعات. جعلت الطلاب أكثر اهتماما بالسياسة ورفعت السقف قليلا. بدأنا نناقش المواضيع السياسية أكثر وننفتح على مواضيع أخرى مثل الحركة النسوية وحقوق الأقليات في المجتمع. وبالتالي صار في نوع من توعية لطلاب الجامعات وانا شخصيا شهدت على هذه التوعية في هذه المرحلة. وأظن اننا لمسنا هذه النتائج من خلال الانتخابات الجامعية. 17 تشرين أحييت الحركة الطلابية وأعطت الطلاب دفعة كي تتحرك وتعبّر عن رأيها." – طالبة في الجامعة الاميركية 20 سنة، من الجنوب سكان بيروت.

لكن لحظة 17 تشرين 2019 غيّرت هذا كلّه في مدارك الطلاب ووعيهم، بل كانت منعطفًا مفصليًا في حياتهم. بدأ ذلك بتحفيز الانتفاضة وتحرّكاتها رغبتهم في التعرّف على ما يحدث في البلاد وعلى صعيد السلطة الحاكمة، وفهم الأوضاع والمشكلات في جامعاتهم. وانتجت الانتفاضة وعيًا سياسيًا طلابيًا تختلف درجاته بينهم، فحفزت شطرًا كبيرًا منهم على القراءة ومتابعة الشؤون السياسية ومواكبتها على مستوى لبنان وجامعاته. وقد يكون أهم ما أجمع عليه شطر كبير من الطلاب/ات هو نفورهم من الأحزاب وهيمنتها على الحياة الجامعية والطلابية، وولادة أمل لديهم بإمكان الخروج على هذه الهيمنة، بل كسرها والتحرر منها.

وكانت 17 تشرين اللحظة المناسبة للتحرك خارج الأطر القائمة وكسر الخوف واستعادة حرية التعبير في الجامعات. وبدأ الطلاب يفكرون في كيفية التضامن فيما بينهم، ضد الهيمنة الحزبية وتحسين ظروف جامعاتهم. وكشفت 17 تشرين عن إمكان كسر الحواجز الطائفية والحزبية والمناطقية بين الناس، وأنها قد تكون من صنع الطبقة السياسية وأحزابها، وخصوصًا في الجامعة اللبنانية، حيث قبضة الأجهزة الحزبية أثقل منها في سواها من الجامعات، على الصعيد الإداري والأكاديمي والحياة الطلابية. فالجامعة اللبنانية جزء من هذا النظام اللبناني. واكتشف الطلاب أن مشكلاتهم ومعاناتهم من النظام السياسي مشتركة. لذا شرع شطر كبير منهم في المشاركة في التظاهر في جامعاتهم، وبدأوا يكتشفون القواسم المشتركة بينهم.

في 26 تشرين الأول 2019 تظاهر طلاب الجامعة اللبنانية والجامعات الخاصة متكاتفين متضامنين للمطالبة بحقوقهم المشتركة، من دون أن يخلو الأمر من بعض التوتر بين الطلاب في عدد من الجامعات. خلال التظاهرات حصلت بعض المواجهات بين غالبية الطلاب المستقلين والحزبيين المصرّين على الولاء لأحزابهم ضد الإرادة الطلابية الجامعة أو المشتركة. فمعظم الطلاب كان يتوق للخلاص من الهيمنة الحزبية على الحياة الجامعية.

وفي 7 تشرين الثاني حصلت إضرابات في المدينة الجامعية أو مبنى الجامعة اللبنانية الموحد للفرع الأول في الحدث. وشكل ذلك حدثًا هامًا نظرًا لعدد الطلاب الكبير الذين تجمّعوا متضامنين، رغم محاولات الأحزاب المسيطرة (حركة أمل وحزب الله) منع المظاهرات. لكن كان واضحًا أن الطلاب كانوا مصمّمين على المواجهة لكسر الطوق الحزبي المفروض على جامعتهم. أما في الجامعات الخاصة، فقد تداعت المنظمات الحزبية، إذ تخلّى عنها كثرة من المحازبين وانضموا إلى الانتفاضة.

بدأت المجموعات الطلابية القائمة قبل 17 تشرين تنشط بفاعلية وقوة لافتة. ونشأت مجموعات طلابية كثيرة جديدة في الساحات والمناطق. وحسب شهادات كثرة منهم، فوجئ الطلاب بأنفسهم وقدرتهم على الفعل، وبأن الانتفاضة جرفتهم تلقائيًا في تيارها النابض، وحملتهم على التلاقي والتعارف وتوسيع مساحتهما، وعلى اهتمامهم الجديد غير المسبوق بالشأن السياسي العام في البلاد، بعيدًا من الولاءات الأهلية والطائفية والمناطقية.

لقد كانت 17 تشرين منعطفًا في حياة فئات واسعة من الطلاب والطالبات على المستويين العام والشخصي. فكثافة الحدث وقوته وعفويته والمشاركة الكثيفة في التظاهرات، بدأت تغيّر وعي كثرة من الطلاب ونظرتهم لأنفسهم وللعمل والنشاط السياسيّين في الساحات. لكن بالدرجة الأولى نظرتهم إلى أحزاب السلطة التي كانت تحتكر النشاط السياسي وتصادره، وتنفّر غير الحزبيين منه. لذا فوجئ غير المنخرطين بأي عمل سياسي من قبل بأنفسهم، وفوجئوا بزملائهم من أمثالهم حين التقوا بهم في التظاهرات وانخرطوا فيها معًا، بعدما كانوا غير مهتمين بالعمل الطلابي. وهناك شطر كبير من الطلاب شاركوا في التظاهرات، عدا المحزبين الذين غادر كثيرون منهم أحزابهم أو انقلبوا عليها وانضموا إلى الانتفاضة.

واستطاع طلاب من التنسيق في ما بينهم وتبادل الأفكار والرأي، وأنشأوا مجموعات مستقلة راحت تنسّق فيما بينها. وهذا ما نجم عنه نشاط سياسي عام دفع عدد كبير من الطلاب إلى الانخراط في حركات تغييرية مستقلة في جامعاتهم.

وبينت المقابلات مع الطلاب أن عددا كبيرا منهم انخرط في مجموعات مستقلة للمرة الأولى في 17 تشرين وما بعدها. وكانت المجموعات التي ظهرت في الجامعات كثيرة العدد، وعلى رأسها "شبكة مدى" و"النوادي العلمانية" و"التكتل الطلابي في الجامعة اللبنانية"، ومجموعات أخرى مستقلة في سائر الجامعات. وهناك بعض المجموعات التي دعمت النوادي في الجامعات وعملت على مساعدتها في تنظيم نشاطاتها، ومنها، "لحقي" و"بيروت مدينتي" و"مواطنون ومواطنات في دولة" و"منتشرين".

وانطلقت أثناء الانتفاضة مبادرات إعلامية مستقلة بديلة تتنقل أخبار الأنشطة في الساحات وأصبحت المصدر الأساسي للطلاب لمتابعة الأحداث والتظاهرات. وأكثر ما ذكر الطلاب في مقابلاتهم، أنهم يتابعون "دليل ثورة" و"ميغافون" و"political pen ".

وعلى الرغم من كل التباينات فيما بينها، عملت المجموعات الطلابية الناشطة على تنسيق خطوات عملها وتوحيدها، وظهر هذا التنسيق والتوحيد في تحقيق المستقلين اختراقات في الانتخابات الطلابية في جامعات عدة، إضافة إلى فوز هذه المجموعات في انتخابات نقابة المهندسين أخيرًا.

وجمعت الحماسة معظم الطلاب، فولد لديهم أمل بعد الانتخابات الجامعية التي أظهرت التغيير الحاصل لديهم نتيجة 17 تشرين، وعدد كبير منهم يتوقع فوز الحركات المستقلة مجددا في السنة القادمة.

IV- دراسة حالة

الحالة الاولى: 17 تشرين تحرر لبنانية بلا جنسية من وصمتها "الكردية- السورية"

الحالة الثانية: طالب سني بيروتي تخرجه 17 تشرين من تيار المستقبل

الحالة الثالثة: طالبة شيعية تفصلها 17 تشرين عن بيئتها في الضاحية الجنوبية

الحالة الرابعة: طالبة قواتية من كسروان والانفتاح على طرابلس وبيروت

الحالة الخامسة: طالب في جامعة الروح القدس يساهم في تأسيس النادي العلماني

دراسة حالة - عدد 1

17 تشرين تحرّر لبنانية بلا جنسية وصمتها "الكردية-السورية"

سورية لبنانية بلا جنسية

عمري 25 سنة. أمي تحمل الجنسية اللبنانية. والدي كردي سوري، وهو بلا جنسية لبنانية. أمي وأبي التقيا وتعارفا واقترنا في بيروت، وأنا ولدت وعشت عمري كله في لبنان، وهو مكان حياتي، بصرف النظر عن أنه لم يمنحني جنسيته، وعن مسألة الانتماء.

انفصل أبي وأمي عندما كنت في نحو الخامسة عشرة من عمري. ومنذ طلاقهما لا أرى والدي سوى مرة في السنة. والدتي أمية وعملت خياطة لتعيلنا، نحن الأخوات الأربع اللواتي أنا أكبرهن. وفي إقامتنا وسكننا تنقلنا في أحياء بيروتية كثيرة: طريق الجديدة، مخيم شاتيلا، خلف المدينة الرياضية في بئر حسن. وفي الرابعة عشرة من عمري بدأت أعمل مدرّسة خاصة للتلامذة، لأساعد في مصاريف البيت. وأقيم اليوم وحدي في فرن الشباك.

الأصل السوري وتشتت الإقامة طريقًا إلى الاستقلال الشخصي

في مدرسة طريق الجديدة الرسمية حيث تعلمت، قليلًا ما كنا نتحدث في شؤون أو مسائل سياسية. وما انتبهت إلا عابرًا أو طفيفًا إلى ميولي السياسية. أمي كانت تتعاطف مع تيار المستقبل، سعيًا منها لنحصل، نحن بناتها، على الجنسية اللبنانية. ففي وقت من الأوقات شاع أن تيار المستقبل قد يساعد أمثالنا في ذلك. لذا ترددت أمي إلى مقره، فيما كانت حياتنا البيتية تخلو من السياسة والتدين.

لما كبرت وأصبحت في المرحلة الثانوية من دراستي في ثانوية جبران أندراوس تويني في بئر حسن الرسمية، اكتشفت أنها تضم عددًا كبيرًا من الطلاب والطالبات الشيعة، واكتشفت الفرق الكبير بيني وبينهم، وبدأنا نتحدث في السياسة والانتماءات الطائفية. وانتبهت إلى أننا مختلفون، وأن أحاديثنا في البيت مختلفة تمامًا عنها في المدرسة.

لكنني سرعان ما بدأت أبتعد عن تلك الأحاديث والانتماءات. فتلك الفروقات وذلك المناخ السائد في الثانوية، أشعراني بعدم الرغبة في أن أكون منتمية أو ملحقة بحزب ما أو جماعة ما، لأنني انتبهت إلى أن ذلك لم يكن يعنيني. ومذاك ابتعدت عن الأحزاب. ولحسن حظي أن تجربتي كانت أفضل من تجارب سواي. فلاحقًا عرفتُ كثيرين من المنتمين إلى أحزاب وجماعات، خافوا أو صعُب عليهم مغادرة انتماءاتهم، وما زالوا أسراها حتى الآن.

أعلم أن أصولي السورية، وانتقالنا من حيّ إلى آخر، وتنوع الأجواء التي عشت فيها، ساعدتني في ألا أنتمي إلى الأحزاب وأتحزب. فأثناء إقامتنا في مخيم شاتيلا - لأن والدتي لم تكن قادرة على دفع بدل سكننا في أحياء أخرى - كان لدي أصحاب فلسطينيون. قبل ذلك، حينما كنا نقيم في طريق الجديدة، كانت الأكثرية

من حولنا سنيّة بيروتية. ولما صرت في المرحلة الثانوية، صارت الغالبية في المدرسة شيعية، وسكننا خلف المدينة الرياضية حيث خليط سني بيروتي وفلسطيني وشيعي فقير. وفي السادسة عشرة من عمري عملت في مطعم ماكدونالدز في الحازمية، حيث الأغلبية مسيحية. ثم أننا في العائلة غير متدينين ولا متعصبين أصلًا وفي الأساس. وأظن أن هذا كله حررني من الانتماء والتحزب، فلم أضطر إلى أن أكون محتاجة إلى الأحزاب.

الانتماء المثلوم إلى بلد لا يمنح جنسيته لغير "الأصليين"

وها بلغت الخامسة والعشرين، ولا أزال أحاول الانتماء إلى هذا البلد الذي لم يقبلني بعد. الدوائر والأجهزة الرسمية تعاملني دائمًا معاملةً لا تخلو من التمييز: على الدوام عليّ الانتباه لأوراقي الثبوتية، وتجديد إقامتي، وأنا أدفع الضرائب ولا أستفيد من الضمان الاجتماعي والصحي. وأثناء مروري على الحواجز الأمنية الرسمية، أعامَل دائمًا بطريقة مختلفة عن الآخرين. وكثرة من الناس ينظرون إليّ نظرة مختلفة ما أن يكتشفوا أصلي السوري.

أنا شخصياً أعتبر أن الأحزاب القائمة والنظام القائم يعززان التمييز ضدي، وضد أمثالي ممن هم في مثل وضعي وظروفي. وهذا يعوّق انتمائي إلى البلد الذي ولدتُ وعشت فيه، وهو بلدي. فأنا لا انتمي إلى بلد آخر ولا إلى مكان آخر. وبيروت هي المكان الوحيد لحياتي.

قبل 17 تشرين 2019 لم أكن أتجرأ قط على المشاركة في نشاط سياسي احتجاجي. كنت واعية وبلغت العشرين سنة 2015، لما انطلق الحراك ضد السلطة السياسية تحت شعار "طلعت ريحتكن" احتجاجًا على تراكم النفايات في الشوارع والأحياء، لكنني لم أتجرأ على المشاركة في المظاهرات. فأنا لبنانية ومظهري يدل على أنني لبنانية، لكن عندما يعلم كثيرون أن أصولي سورية، يعاملونني بطريقة مختلفة. فياما سمعت من يقولون لي: "آه، كنا مفكرينك لبنانية"، عندما يعلمون عن أصلي، ثم يقولون أيضًا: "بس أنتِ ما خصّك!". وهذا يعني أن هناك دائمًا قصة أو وصمة ما في حياتي: أنا لست من هذا البلد.

لم أشارك في تظاهرات 2015 لأنني كنت دائما أخاف من أن يُنظر إلي بهذه الطريقة وأصنّف في خانة لا أريدها. كنت موقنة من أنني سوف أُسأل لماذا أشارك في التظاهر، ولا أعلم ماذا أُجيب، أو أُحرج وأرتبك في إجابتي، وفي كيفية إقناع الآخرين بحقي في التظاهر.

لكن أمي اصطحبتنا إلى حيث كانوا يتظاهرون في وسط بيروت، وراحت توقفنا خلفها بعيدًا، وتقول لنا: أنا لا أريد أن يحدث شيء في هذا البلد من دون معرفتكن. لذا شاهدت تلك التظاهرات من خارجها، من بعيد، ومن دون أن أشعر بمشاركتي فيها وانتمائي إليها.

الثنائي الشيعي في جامعة "عبد الرحيم مراد" LIU

لما بدأت ثورة 17 تشرين 2019، كانت أفكاري قد تبلورت تقريبًا، في استقلال عن الأحزاب التي لا تعني لي شيئًا، وأعلم أن لا أحد منها يمثلني ويمثل الصورة التي أرغب أن يكون هذا البلد عليها. وكنت أدرك تمامًا أن الأحزاب لا يمكن أن تسهل أموري. ومتقبلة أنني مقيمة في لبنان، ولا أحمل الجنسية اللبنانية. والأحزاب القائمة في هذا البلد منذ أكثر من 30 سنة، تمنعه من التطور. وكنت أكره هذه الأحزاب وأحقد عليها، من دون أن أهتدي إلى سبيل للتعبير عن كراهيتي وحقدي هذين. فقبل 17 تشرين، لم نكن نحن

الأخوات وأمي نتحادث في السياسة وعن السياسيين إلا في ما ندر.

ولما صرت طالبة جامعية في "الجامعة اللبنانية الدولية"، (لعبد الرحيم مراد)، راحت تُثار المسائل والانتماءات السياسية والحزبية، لكنها لم تكن تريحني، فأتجنبها. وكان الثنائي الشيعي (حزب الله وحركة أمل) يهيمن على الجامعة، والأحرى "حركة أمل". وكان بعض الدكاترة من مدرسيها غير مريحين. وعندما كنا نعلن آراءنا نحن غير المنتمين للثنائي، كان الصف ينقلب علينا. لم يكن المناخ السائد في الجامعة يتقبل الاختلاف والمناقشة. وكان ذلك مزعجًا. وياما سمعت أن 3 أو 4 من طلاب صفي يحصلون من إدارة الجامعة على منحٍ تغطي كامل أقساطهم الجامعية السنوية أو 80 في المئة منها، لا لشيء إلا لأنهم من حركة أمل. وهذا فيما أنا أعمل عملين بدوامين لأتمكن من سداد القسط الجامعي.

وكان الثنائي مسيطرًا على الحياة الطلابية في الجامعة. ولديهم نوادٍ لإحياء الاحتفالات في المناسبات والأعياد الدينية. وإذا احتجنا لشيء ما من إدارة الجامعة، كان الأفضل أن نتصل بها بواسطة طالب حزبي. وهذه مشكلة: على من يتكلم ويحصل على ما يريد أن يكون منتميًا إلى حركة أمل، وإلا عليه الامتناع عن الكلام وإبداء الرأي. ثم إن الموظفين وكثرة من الأساتذة في الجامعة محسوبون على الحركة إياها.

لم يكن المناخ الطاغي على الجامعة يشبهني. لذا لم أعش حياة طلابية جامعية. فرحت أتابع المحاضرات وأغادر الجامعة، متجنبة الاحتكاك بالطلاب أو التواصل معهم.

وفي خضم ثورة 17 تشرين، أراد بعض الأساتذة أن يستمر التدريس في الصفوف كالمعتاد، على الرغم من أن التظاهرات ملأت الشوارع. واتضح ذلك أكثر فأكثر لما حاول طلاب المشاركة في الثورة كجماعة أو مجموعة طلابية، وليس كأفراد. فعندما أردنا التظاهر أمام وزارة التربية، تصدى لنا طلاب من مناصري الثنائي، وحاولوا الاعتداء علينا، فلم تحرّك إدارة الجامعة ساكنًا. ثم تدخّل الجيش، واضطررنا إلى التجمع في مكان بعيد من الجامعة، خشية تعرضنا لاعتداءاتهم. وكان أحدهم قد تسلق عمود الإنارة أمام مدخل الجامعة ونصب عليه علم حركة أمل. وقد يكون العلم لا يزال في موضعه، لأن أحدًا لا يتجرأ على نزعه.

ذوبان في 17 تشرين.. انتماء بلا خوف: أريد جنسية أمي

في ليلة 17 تشرين 2019 لم أشارك في التظاهر. كنت خائفة وعاودني الشعور إياه، ذاك الذي راودني في العام 2015. في صباح 18 تشرين لم أدرك كغيري من الناس ما الذي يحصل. ذهبت باكراً إلى عملي مندوبة علاقات عامة في شركة اتصالات. وفجأة علمنا أن ساحة الشهداء تغص بالناس، وأن ما حصل مساء أمس لم ينته. فاتصلنا بصاحب المحل وقلنا له إننا سنقفل ونشارك في الاحتجاجات، فرحب بذلك. كنت أنا وأصحابي من موظفي الشركة، وأحدهم كان ناشطاً منذ 2015، وأخبرني أنه كان في الشارع مساء أمس، وروى لي ما حدث. ولما وصلنا إلى ساحة الشهداء، رأيناها تغصُّ بالناس، تراءى لي أن ما يحدث كبير جدًا من دون أن أعي حدوده ومعناه. لكن ارتباكي وخوفي تضاءلا وسط كثافة الناس والحشد. ورحتُ أتنقل بين مجموعات المتظاهرين متفرجة مستطلعة، كأنني في مدينة ملاهي. من مكانٍ إلى آخر في الساحة تنقلت محدقة في ما أراه وأقرأه من شعارات، وما أسمعه من أحاديث وهتافات. والتقيت بأشخاص كثيرين أعرفهم. وشعرت أنني مثل ولد يكتشف ويستطلع، متفاجئًا بما يراه ويسمعه، وشعرت أن كل شيء أكبر مني. مكثت مأخوذة على هذه الحال حتى حلّ الليل، وغمرني شعور رائع، من دون أن أستوعب تمامًا لماذا. كنت مرتاحة ومطمئنة وسط الحشد الذي يحتويني، وأستطيع أن أكون فيه وأنتمي إليه.

في النهار التالي جئت إلى الساحة حاملة لافتة كرتونية كتبتُ عليها: "ما فيني أحمل جنسية أمي، بس فيني

شارك بثورتها". كثرة من الناس استوقفوني وسألوني عن معنى العبارة. فشرحتُ لهم، وفوجئت لتفاجئهم بأنهم لا يعلمون أن الأم اللبنانية لا تستطيع منح جنسيتها لأولادها. وفيما كنت أحملُ تلك اللافتة وأشرح لسائليّ، أحسست أن هذه الثورة ثورتي. وهناك أشخاص لا أعرفهم ولا يعرفوني أخذوا يحتضنونني، ويقولون لي: نحن أيضًا نعيش المشكلة نفسها. لست وحدي إذًا - فكرتُ - وهناك من هم مثلي، وهناك سواهم تهمهم هذه المشكلة. وحتى اليوم هناك مظاهرات تطالب بأن تمنح الأم جنسيتها لأولادها، وبأن تكون للاجئين والمقيمين حقوق مدنية واجتماعية واقتصادية، كسواهم من الناس. والشعارات هذه برزت كسواها من الشعارت المختلفة في الثورة. وأنا رحت أشعر أنني لست متطفلة ولا دخيلة، وكان شعورًا رائعًا وجديدًا عليّ.

وصرت شخصًا في قلب الحدث، وما من أحد قادر على اقناعي بعدُ بأنني لست في قلب ما يحدث. وصرت مستعدة للمواجهة. مواجهة كل حزب وسلطة يرفضان منحي الجنسية. لقد امتلأت بقوة تمكنني من مواجهة كل من يسألني: من أنتِ، ولماذا أنتِ هنا؟ لقد أحسست أن هذه فرصتي، وأنني أنتمي لهذه الثورة التي لا بد أن تغيّر وتحقق ما أصبو إليه. وأخواتي اللواتي كانوا مثلي غير متحزبات ولا ناشطات، ها هنَّ إلى جانبي في الثورة.

وما عشته ورأيته في أيام 17 تشرين كان جديدًا تمامًا علي. كنت وسط أناس يشبهونني، ونتكلم لغة مشتركة. في حضوري بين الجموع لم أشعر بأي إزعاج أو حرج، ولم أبذل جهدًا لأشعر بوجودي، وما احتجت لتبرير حضوري بين ناس لا أعرفهم وأتعرف بسهولة عليهم، وأكون مقبولة كما أنا بينهم. كنت شخصًا عاديًا كالآخرين. هم يطالبون وأنا أطالب مثلهم: تعليم، طبابة، حقوق فئوية متنوعة، ومنها الحق في الجنسية...إلخ. ومثل الجميع لي مطلبي، ومرحب بي وبما أطالب به، ويشاركني إياه الجميع. وهي المرة الأولى في حياتي التي أكون وسط جمعٍ كبير، بلا حاجة إلى تبرير نفسي.

في البداية ظللت اتنقل وحدي في الساحات لوقت طويل، وأحيانًا مع أصحابي. ولاحقًا، في حراك الطلاب، لما سرنا في تظاهرة نحو وسط بيروت، التقيت بمجموعة طلاب من جامعتي، وصرنا أصدقاء في التردد إلى الساحات والمشاركة في المسيرات. وما من مرة وصلت إلى ساحة الشهداء إلا والتقيت أحداً أعرفه. ومنهم من كنت قد انقطعت عن رؤيتهم منذ صغري، وجدّدتْ اللقاءات في الساحة صحبتنا. وتكاثر أصدقائي وصديقاتي. وبدأت أتعرف على منظمات تهتم بقضايا المجتمع المدني ومجموعات نشأت في الثورة.

الانتماء إلى "شبكة مدى"

وتعرّفتُ إلى المجموعات النسوية وصرتُ أشارك في تحركاتها كلها: المطالبة بحق المرأة في منح الجنسية لأولادها، إلغاء نظام الكفالة للعاملات المنزليات، وكل ما له علاقة بحقوق النساء. لكن المجموعات كلها في الساحة كانت متضامنة، رغم تنوع مطالبها وهتافاتها وشعاراتها، وبصرف النظر عن الأولويات. وهذا جديد تمامًا علي: التعرف على مطالب الآخرين، مناقشتها والتضامن مع أصحابها. وحضرت ندوات لمجموعة "مواطنون ومواطنات" وشاركت في الأسئلة وإبداء الرأي. وفي الجلسات الحوارية الموزعة في الساحات حصل تعارفٌ بين كثيرين. واتسعت دائرة أصحابي، واتصل بي شخص من "شبكة مدى" عبر فيسبوك، فأطلعني على نشاط الشبكة. وتعرفتُ على بعض ناشطيها وأحسست بشبه ما بيني وبينهم. وحضرتُ اجتماعًا معهم منتبهةً لتفاصيل كلامهم ومطالبهم. شدني إليهم - قبل أن يعلموا أنني لا أحمل الجنسية اللبنانية - عدم قولهم تلك اللازمة الشائعة: اللبنانيين واللبنانيات، واستعمالهم كلمتي المقيمين

والمقيمات، وكلامهم عن اللاجئين وحقوقهم. ارتحتُ لطروحاتهم، وشعرت أنني في أمان بينهم، وأصبحت ناشطة في المجموعة السياسية ومجموعة الاستقطاب في "شبكة مدى". وكنت للمرة الأولى في حياتي أنضم إلى مجموعة سياسية.

وفيما كنت أكتشف تطابق تفكيري مع طروحات "مدى"، ظهرت الفروق بين المجموعات وراحت تتبلور طروحاتها ومواقفها، فبدأت أشعر أنني ضدها، ومنتمية إلى "مدى" التي قد يكون تأثري بطروحاتها نبهني إلى عدم استساغتي الانتماء إلى مجموعة ضد المثلية والمتحولين جنسيًا، أو مجموعة عنصرية لا تؤمن بالمساواة في الحقوق بين فئات المجتمع، ولا بحقوق العاملات الأجنبيات.

تأسيس نادٍ علماني في جامعة عبد الرحيم مراد

وعلمتُ بوجود نواديَ علمانية في بعض الجامعات الخاصة، وفكرت بإنشاء نادٍ مماثل في جامعتي. فشجعني على ذلك مَن أجتمع معهم في "مدى" وأبدوا استعدادهم لمساعدتي. وبدأت أتواصل وأنسق مع مجموعة الطلاب المستقلّين في جامعتي. وسرعان ما شعرنا أننا في حلم لمّا اكتشفنا طلابًا وطالبات يحملون أفكارًا تطابق أفكارنا. وكان أشبه بحلم تأسيسنا النادي، على غرار النوادي التي تضمها "شبكة مدى" في جامعات أخرى. فمن قبل كنا نرى أننا أفرادٌ معزولون في الجامعة، وفجأة اكتشفنا أن عددنا ليس بقليل فيها. ولم نعد نشعر أننا ضدها، بل صرنا من صلبها. وأظن أن ذلك حدث لأن هيمنة الثنائي الشيعي على أجواء الجامعة خفتت نسبيًا، وخفتت حدة التشبيح والزعرنات وعنفها، أثناء انتفاضة 17 تشرين. لكن بعد ظهور النادي العلماني الذي أسّسناه، استعادوا شراستهم، لأنهم غير معتادين على تنوع الانتماءات والآراء، بل على الهيمنة والسيطرة.

لا أدري ما إذا كان مناصرو الأحزاب قد قبلوا في البداية وفي ذروة الثورة ظهور سواهم في الجامعة، ثم عادوا بعد ذلك إلى سيرتهم وممارساتهم السابقة. أعرف طلابًا كانوا يناصرون أحزابًا بلا تعصّب ولا انتساب إليها، وشاركوا في الثورة، لكنهم لم يتابعوا نشاطهم. وهناك بعض محازبين شاركوا، لكنهم عادوا إلى أحزابهم بعد نحو شهر. أما الطلاب/ات الذين نشطوا وانضووا في النادي العلماني، فلم يكونوا من مناصري الأحزاب، وهذه حال أهلهم من قبلهم.

وللأسف لم يستمر الجو صحيًا في ما بيننا نحن من أردنا تأسيس النادي العلماني ومجموعة المستقلين في جامعتنا. فبعد اتفاقنا على المبادئ العلمانية والنسوية ومناصرتنا لمجتمع الميم (المثليين والمثليات)، عقدنا اجتماعًا موسعًا لوضع النظام الداخلي للنادي، فخاف بعض المستقلين، ثم قال أحدهم أنه ليس مع العلمانية. وآخرون قالوا إنهم لا يناصرون مجتمع الميم، ويريدون إصلاحه وإعادته إلى جادة الصواب. ولم يعد الجو مريحًا ولا ديموقراطيًا في المجموعة، ودبّت الخلافات فيها وانسحب منها المستقلون. وأظن أنهم لم يكونوا مستقلين استقلالًا كاملًا. وأنقلب آخرون ضدي، وراحوا يشوّهون سمعتي.

ونظّمنا نحن أعضاء النادي العلماني غير الرسمي وغير المسجل في جامعتنا، انتخابات للجان أربع: لجنة سياسية، وأخرى للتواصل، وثالثة للاستقطاب، ورابعة إدارية. ورحنا ننسّق مع نوادي مجموعات علمانية أخرى. وشارك في الانتخابات 27 طالبًا/ـة في الجامعة منتميين/ات إلى النادي العلماني. وأنشأنا مجموعة على الواتساب، ونتواصل مع النوادي الأخرى في الجامعات، وأنا أمثلُ النادي في جامعتي.

التغير الشخصي: اكتشاف الاختلاف وإعلانه

أفادتني هذه التجربة في صوغ مطالب وتحركات على صعيد الحركة الطلابية و"اتحاد طلاب لبنان"، الذي دعت النوادي العلمانية والمستقلون في الجامعات إلى تأسيسه في كانون الأول 2020، وضمَّ مجموعات طلابية كثيرة على صعيد لبنان. ونشطتُ عبر "مدى" في الاتحاد، فتعرفت إلى كثيرين، وشاركت في نقاشات كثيرة. ثم تعمّقتْ تجربتي في المشاركة بصوغ بيانات وكتابتها. وتشعبت علاقاتي وصداقاتي وتوسّعت مع طلاب/ات في الجامعات الأخرى، ومنهم في النادي العلماني في الأنطونية وفي صور.

لكنني في المقابل خسرت صداقة آخرين/ات أختلفُ معهم/هن في التفكير. وللأسف صارت الخلافات كبيرة ومؤذية مع كثيرين، متشبثين بتأييد زعمائهم وولائهم لهم ولأحزابهم. وهذا ما لم أعد أتحمله وأشعر أن المنتمين على هذا النحو يزعجونني بوقاحتهم، وكل يوم يساهمون بقتلي. لقد تطور وعيي، وصرت انتقائية في صِلاتي وعلاقاتي، ومع من أتصل وأنشط، وكم أشبه من أحادثهم ويحادثوني، وكم أنا قريبة أو بعيدة منهم.

وبعد 17 تشرين صرت أعلم على ماذا أختلف مع الأشخاص الآخرين، وصارت أفكاري واضحة. وأنا اليوم أحتمي بـ 17 تشرين، وانتمي إليها. لقد صرت جزءًا من شيء موجود وأستند إليه. والانتماء هذا الذي غيرني يبقى فيَّ ويستمر. وفوق ما أحببت الناس الثائرين والساحة التي جمعتني بهم، أراحني أنني تغيرتُ وتغيرتْ نظرتي إلى البلد وعلاقتي به. كنت أفكر أن أهاجر لأن لا مستقبل لي في لبنان. لكنني اليوم أشعر أنني أخسر شيئًا لا يستهان به لو هاجرت. كنت بلا أمل قبل الثورة، وصار الناس يتعاملون معي بطريقة مختلفة في أثنائها، وأنا، بدوري، اختلفت بعدها نظرتي إلى نفسي وحياتي. وهذا شعور جديد علي، صار صعبًا أن أتخلى عنه. وها أنا أسعى للحصول على جنسية أمي. ومن 17 تشرين حتى إنشاء النادي في جامعتي، كنت ناشطة في الساحات، وحاضرة جسديًا فيها، وأشارك في الشغب وشتم الزعماء. لكنني انخرطت بعد ذلك في نشاط منظّم، على مستوى طلابي نقابي وضمن مجموعات. وصرت أشعر أن لبنان بلدي ومرجعي، حتى لو غادرته. وعلى الرغم من إحباطي اليوم، ليس همي الوحيد أن أهاجر. وطالما أنا هنا سأظل ناشطة وجزءًا من التغيير.

الأزمة الاقتصادية: عمل غير منتظم وتفكير بالهجرة

بدأت الأزمة اقتصادية تلقي بتبعاتها بشدة علي، عندما راح أصحاب المؤسسة التي أعمل فيها يقولون إنهم لن يستطيعوا أن يدفعوا رواتبنا الشهرية، نحن الموظفين. فأنا من أسكن وحدي، وأعتمد على راتبي في مصاريفي كلها، من سكن وقسط جامعي ومواصلات، وأساعد شقيقاتي لأنهن يعشن ويسكن أيضًا مستقلات عن أمي. ثم صار عملي في تلك المؤسسة بدوام جزئي، إلى جانب عملي نادلة بدوام كامل في حانة ليلية في الجميزة، قبل أن تقفل الحانة أبوابها.

والأزمة دفعتني إلى التفكير في الهجرة، كما كنت أفكر منذ العاشرة من عمري، ولكن لأسباب مختلفة في كل مرحلة: في صغري كانت الأسباب مادية، عندما كنا عائلة فقيرة. وفي صباي صرت أشعر أن لبنان ليس البلد المناسب لأكمل تعليمي الجامعي. وفي الجامعة صرت أفكر بالهجرة لأنني لن أتمكن من الحصول على عمل بعد إنهاء دراستي الجامعية. فمعظم المهن لا يحق لي العمل فيها لأنني لا أحمل الجنسية اللبنانية. واليوم أضيف إلى هذا كله أن الظروف الاقتصادية والسياسية جعلت العيش في هذا البلد لا يحتمل.

في يوميات ثورة 17 تشرين فقط أقلعت عن التفكير في الهجرة. والأحرى أنني نسيت، لأن عقلي وجوارحي

وأحاسيسي صارت مأخوذة تمامًا بذلك الحدث الكبير الذي لم يترك لي مجالًا ولا وقتًا للتفكير في أي شيء آخر. وربما لأصبت بتأنيب الضمير طوال حياتي لو غادرت لبنان، من دون أن أشارك في ذلك الحدث الكبير.

اليوم لدي مساعدة تمكنني من دفع القسط الجامعي. فهناك منحة أتقاضاها لأنني ورثت الجنسية السورية عن والدي. فالفلسطينيون والسوريون يحصلون على مساعدة في أقساطهم.وهناك جزء آخر أتقاضاه لأن أمي وأبي مطلقان، وجزء ثالث لأن علاماتي الدراسية جيدة.

صدمة انفجار المرفأ: الحاجة إلى علاج نفسي

أشعرني انفجار المرفأ بأنني أرخص بكثير مما كنت أتصور، من قبل: لست سوى رقم في هذا البلد، وليس من أحد يهتم بي كإنسان. لكنني لم أكن أتخيل أن حياتي يمكن أن تنتهي هدرًا، كما هُدرت حيوات مَن قتلوا في الانفجار، من دون أن يشعر أحد من المسؤولين بالذنب. وأنا أصلاً لم أكن أتوقع أن يساعدني أحد، لكنني ما كنت أظن أن الخراب سهل والموت سهل إلى هذه الدرجة.

فعندما وقع الانفجار مساء 4 آب، كنت في الحانة حيث أعمل في الجميزة، فتحطم فيها كل شيء، ولم أصب بأذى. تركت كل شي على حاله وخرجت إلى الشارع هلعة وبوعيي الكامل. رأيت الدمار والدماء، وتنقلت بين مستشفيات كثيرة أبحث عن رفيقتي الضائعة. كنت في قلب مشاهدٍ حية تشبه الصور في الأفلام. وفي مستشفى الروم رأيتهم يقطّبون جراح المصابين على أضواء الهواتف المحمولة. وفيما كنت أطالب بحقي في تظاهرة 8 آب، أطلقوا علينا القنابل المسيلة للدموع. ما من كلام يستطيع التعبير عن حزني وغضبي في ذاك النهار، وجفت دموعي لكثرة ما بكيت. وصوت أختي التي أخبرتني هاتفيًا أن سقف منزلها تساقط، لا يمحى من ذاكرتي. وعند الساعة الثانية والنصف فجراً عثرت على صديقتي في المستشفى.

طوال شهرين بعد الانفجار ظللت أُبصر منامات مروعة عن اختبائي، فيما أنا حبيسة بيتي. وعندما شبَّ حريق في المرفأ المدمر كان عملي قد توقف وكذلك دراستي في الجامعة، وصرت أمشي في البيت جيئة وذهابًا. فأنا لم أعش حربًا من قبل ولا أعلم عن الحروب شيئًا، ولا متى يمكن أن يقع انفجار آخر، وأين يمكن أن أكون لحظة وقوعه كي لا أموت سريعًا: أعلى الشرفة أم في الكوريدور أم داخل غرفتي، كي يصلون إلي تحت الردم وينقذوني في لحظة انهيار المبنى؟

وها أنا الآن شخص مدمر، بسبب طبقة حاكمة. وحين أسمع صوت طائرة في الجو، أروح أمشي في البيت مفكرة في المكان الذي سأموت فيه.

قد أكون في حاجة إلى علاج نفسي. لكنني أفكر أن سواي من الذين تعرضوا لهول الانفجار، يحتاجون إلى علاج أكثر مني، فأؤجل الذهاب إلى طبيب. وهناك أيضًا دور للعامل المادي في هذا التأجيل.

كورونا والعزل: وحدة وإحباط

وأثرّ الحجر أيضًا على صحتي النفسية. فأنا شخص منفتح وأحب الناس والاختلاط بهم، ودراستي الجامعية هي العلاقات العامة، وعملي في المؤسسة هو التواصل، وحياتي في معظمها كانت خارج البيت، ولقاءات وتنقل مع الأصحاب ومليئة بالتجارب. وهذا كله قضى عليه الحجر الصحي. وصار علي أن أجد طريقة جديدة لحياتي، وسط هذه المصائب المتلاحقة.

في الحقيقة لم أعثر على ما يمكن أن يسليني في أيام الحجر المنزلي. لكنني اكتشفت قدرتي على العيش وحدي في العزلة بلا خروج من البيت، من دون أن تكون حياتي هذه صحية على الصعيد النفسي. واكتشفت أيضًا أن بيتي لا يصلح قط لا للحجر ولا للشغل ولا للدرس. فأنا أقيم في سكنٍ طلابي، ويشاركني البيت عدد من الطلاب، وهناك شخص يساكنني غرفتي التي لا مكان فيها لغير النوم. وهذا ما لم أكن أنتبه له في السابق، عندما كانت حياتي اليومية تتوزع بين الجامعة والعمل ولقاءات الأصحاب خارج البيت، الذي أعود وأنام في غرفتي.

وما كنت أتوقع أن تصير حياتي على هذا النحو، بلا عائلة ولا أصدقاء. فالفتيات مساكناتي في البيت الطالبي عدن للإقامة مع أهلهن في بلداتهن، وبقيت وحدي لا مكان أعود إليه مثلهن. فأمي تقيم في بيروت، لكنها تسافر في أوقات كثيرة إلى تركيا وتمكث هناك ومعها أختي الصغرى. كما إن علاقتي بأمي ليست على مايرام.

وهكذا صرت أنام كثيرًا. ويخيفني أن تكون هذه الحال استغراقًا في إحباطي. فمنذ آذار 2020 كنت أداوي الحجر بأعمال بيتية ولا أتوقف عن الانشغال بأمور كثيرة، لكنها غير مبدعة أو مجدية. وكل ما أنشغل به لا يثير حماستي، بل يشعرني بالثقل، وأقوم به بصعوبة. حتى الكلام صار صعبًا وثقيلًا علي. في الصيف الماضي كنت أخرج مع بعض أصحابي إلى البحر الذي أحبه كثيرًا، حتى في الشتاء. وقد يكون نشاطي في "شبكة مدى" ساعدني لأ كون فاعلة، وهناك عمل أشارك فيه.

في المحصلة العامة يمكنني القول إن تجربة 17 تشرين وما تلاها أثّرت إيجابًا في شخصيتي. صرت أرى الأوضاع بوضوح، وامتلكت مبادئ محددة، لكنني أمسيت متطرفة. وهذا يجعلني أخسر أصحابًا وأصدقاء، بلا كثير من الندم، وعلى حساب صحتي النفسية. ووضوح رؤيتي يمكنني من التعبير عن نفسي بشفافية، وبت مدركة ما أريد أكثر من السابق.

ثم أنني أمسيت ناشطة سياسيًا واجتماعيًا، وأحيانًا أشارك في نشاطات تطوعية وتوزيع مساعدات، من خلال شبكات التضامن التي ولّدتها ثورة 17 تشرين. ومنها مبادرة "كتفي بكتفك" التي ابتكرتها "مدى". قبل ذلك لم يكن وقتي في العمل يسمح لي بذلك. وأكسبتني تجربتي الجديدة مقدرة على التنظيم، في التفكير والعمل. لكنني صرت سريعة الغضب ولأسباب كثيرة. وأشعر أن صحتي النفسية متقلبة وتتدهور.

تعبُ أن تكون مستقلًا بلا مرجع ولا سند

بكيتُ كثيرًا في السنتين الأخيرتين، لكنني أبكي ولا أرتاح. وأشعر أنني أفتقد الأمان، لأنني بلا عائلة وأصدقاء، يشكلون لي مرجعًا وسندًا. لدي دائرة واسعة من المعارف والأصحاب، ولكن ليس بينهم أشخاص يمنحونني الأمان ويشكلون مرجعًا ثابتًا، وأستطيع الاعتماد عليهم وموجودين في حياتي. وهذه حال متعبة. أهتم بأمور وقضايا كثيرة، وأحتاج إلى من ينتبه لوجودي ويهتم بي. وقد يكون هذا من آثار الصدمة، وأنني صرت مستقلة زيادة عن اللزوم. مستقلة إلى حد أنني لم أعد قادرة على أن أترك نفسي لأحد ما ليهتم بي. كأنني صرت لا أستطيع أن أحمّل شخصًا ماجزءًا مما أنا فيه، وهذا يرهقني.

دراسة حالة عدد 2

طالب سني بيروتي تُخرجه 17 تشرين من تيار المستقبل

أنا من رأس بيروت، وفيها ولدت سنة 1998 (عمري 24 سنة)، وأقيم في الحمراء. وأدرس الحقوق، سنة ثالثة، في جامعة بيروت العربية. وتلقيت تعليمي الابتدائي في مدرسة بال أدفانتس بمار الياس، وانتقلت إلى مدرسة شكيب أرسلان الرسمية في رأس بيروت، ثم في فردان بعدما صارت ثانوية.

خروج من المستقبل

قبل انتفاضة 17 تشرين الأول 2019، كنت ناشطًا منطلقًا متحمسًا في تيار المستقبل. وقبل انتسابي إليه كنت أميل إلى الجماعة الإسلامية، أو مقربًا منها. لكنني لم أحب ولا استسغتُ أجواء الأحزاب الإسلامية عامة، فاتجهت نحو الأحزاب السنية الوطنية أو الحيادية. وكان تيار المستقبل ملجأي الوحيد والأقرب إلى جوّي وميول عائلتي. فأنا من عائلة سنية بيروتية تؤمن بالتوجه السياسي السني، وبأن السنة جزء من هذا البلد. وهذه حال بئتي في رأس بيروت المعروفة بانتمائها تاريخيًا للأحزاب السنية، وكذلك أجواء المدارس التي تعلمت فيها: الأدفانتس الخاصة بمار الياس، ومدرسة وثانوية شكيب أرسلان في رأس بيروت وفردان.

ولا يمكنني أن أنسى الرئيس الشهيد رفيق الحريري، فهو علّم كثيرين ونوّرهم وبدأ مسيرة الإعمار بعد الحرب. ورغم صغر سني يوم اغتيال الرئيس الحريري في العام 2005، فقد رأيت وعشت أجواء ما حدث. وفي ذكرى 14 شباط وثورة الأرز السنوية بعد 2005، لم تتوقف أمي عن اصطحابنا صغارًا، أنا وإخوتي وأخواتي إلى ساحة الشهداء. فوقفنا في الساحة وهتفنا مرددين شعارات ثورة الأرز. وما حدث في بيروت في 7 آيار 2008 زاد من عاطفتنا نحو تيار المستقبل، ومن تمسكنا برسالته في تلك الحقبة. فانخرطت في هذا التيار. وكنا موقنين أن ابن الحريري سوف يكمل مسيرة الإعمار الذي بدأها والده.

لكن في ثورة 17 تشرين تبلورت الأمور، وظهرت على حقيقتها. فكثرة من الناس الذين شاركوا في الثورة خرجوا من أحزابهم، بعدما بدا لهم أن عليهم أن يكونوا وطنيين أكثر منهم حزبيين. وهذا ما لم نفكر فيه سابقًا. مثلًا شعار لبنان أولًا كان مطروحًا لكننا لم نعيه على حقيقته. لم نكن ندرك معنى التبعية للأحزاب، وما هو المعنى الحقيقي لجملة لبنان أولًا. في 17 تشرين تزايد الانتماء للوطن، ولمدينة بيروت على وجه الخصوص بالنسبة إليّ. و17 تشرين هو عندي يوم مجيد، يوم التحرر. لقد انكسر القيد الذي يشدني إلى تيار المستقبل في بيروت، فقدمت استقالتي منه في 19 تشرين وانضممت إلى الثورة، وداومت يوميًا تقريبًا على البقاء في الشارع. كان يوم 17 تشرين مفصليًا في حياتي، وأستطيع القول أنه كان مفصليًا في تاريخ شباب لبنان، وفي انطلاقة لبنان الجديد.

في ليلة 17 تشرين خرجت إلى الشارع بصفتي الشخصية، وظللت على هذه الحال أيام 18 و 19 و 20 تشرين، لكن بلا هدف محدد، سوى الهدف الذي خرج الناس للاحتجاج عليه: غلاء المعيشة، وفرض ضريبة 6 دولارات في الشهر على الواتس أب، وللمطالبة بالعيش بكرامة. وكنت من أوائل الذين نصبوا خيمًا في ساحة الشهداء. وبعد الأيام الثلاثة الأولى، عندما أخذ كثيرون يمكثون في الساحة ويداومون على البقاء في الخيم، رحت للمرة الأولى أجالس وأحادث أشخاصًا كثيرين من طوائف وأحزاب وأفكار مختلفة، أنا من كنت ابن بيئة بيروت ورأس بيروت تحديدًا، ويقتصر معارفي على أبناء هذه البيئة، وكذلك علاقاتي. ويومًا

بعد يوم صرت أستمع إلى كلمات وأفكار متباينة من هنا وهناك، فراحت تختلط الأمور في ذهني وتتضح شيئًا فشيئًا. وهذا ما أتاح لي أن أبني تفكيري الخاص. لقد تعلمت من 17 تشرين ألا يتشبث الإنسان بأفكار البيئة التي تربى ونشأ فيها. تعلمت أن تكون لدي أفكاري الخاصة التي لا تشبه أفكار بيئتي ومحيطي. مثلًا، صار يمكنني القول إنني مسلم سني ولبناني. وابن بيئي لا يشبهي إلا في كونه شخصًا مثلي، وليس بالضرورة أن يتطابق تفكيرنا.

وفي هذا السياق أعتذر سلفًا عن اضطراري إلى الكلام من منطلق طائفي: فأنا كسني لم أكن راضيًا عن أداء سعد الحريري حزبه السني. فابن الحريري لم يكمل مسيرة والده في ما يتعلق بالتوجه السني الذي يخص طائفتي. وعلى صعيد المبادئ التي اكتسبتها في 17 تشرين، بدأت أعي أن الفساد يشمل تيار المستقبل طولًا وعرضًا، وقد يكون في أساسها، أو كسواه من الأحزاب اللبنانية. وبصفتي مواطنًا لبنانيًا لم يعد ترضيني الانتماء لحزب فاقد الأهلية وساهم ويساهم في انهيار لبنان.

بيروت: حرية الانتماءات، تعددها وانغلاقها

لكنني لا أزال أنتمي إلى أهلي وأهل منطقتي التي تربيت فيها، على الرغم من انتماءاتهم الحزبية القعائدية المتباينة، ومن أنني صرت مختلفًا عن كتيرين في منطقتي بعد ثورة 17 تشرين. وقد تكونت لدي قناعة تمكنني من أن أحمل أفكارًا وأناضل من أجلها، وأساعد الناس أكانوا يشبهونني ويحملون أفكاري، أو لا يشبهونني ولا يحملون أفكاري. فرفاقي ومعارفي وأقاربي اللذين تربيت معهم وأجالسهم يوميًا في رأس بيروت، ما زالوا على انتماءاتهم القديمة. لكننا تمكنا من الاستمرار في التواصل والتعاون، يجمعنا انتماؤنا إلى المنطقة وحفظ كرامتها، تاركين انتماءاتنا الحزبية والفكرية جانبًا. ففي منطقتنا لكل انتماؤه، لا يفرضه على الآخرين، فلا يؤدي تعدد الانتماءات إلى خلافات ومنازعات، مادامت المصلحة العامة محفوظة. ثم إن الجوع أو ومطالب 17 تشرين لا تمسني وحدي، بل تمس الجميع. لكن الفرق بيني وبينهم هو تحرري من ما كنت فيه وعليه، فيما ظلوا هم مقتنعين أن الثورة ضد شريحة معينة من المجتمع، أو هي لعبة دولية، أو تدعمها سفارات لضرب محور معين أو طائفة معينة. أما أنا فرأيت أن الثورة ليست على هذه الصورة، بل هي مطالب شعب. وهم ظلوا مصرين على تصوراتهم، رغم أوجاعهم.

لذا أشعر أنني وحدي وبمفري، صرت مختلفًا عن بيئتي، وظل الباقون على حالهم وانتماءاتهم. وقد يكون سبب ذلك أنني متمرد بطبيعتي ومنذ صغري. وأحب التعرف على الجديد واختباره. الأديان مثلًا قرأت عنها من باب الفضول. وهناك أشخاص لديهم رغبة في فهم العالم، والتعرف إلى بيئات أخرى. وهناك احتمال أن يزدادوا اقتناعًا ببيئتهم، أو أن تجذبهم البيئة الجديدة فيخرجون من بيئتهم. وأنا من هؤلاء الأشخاص.

أمي وأختي اقتربتا من محور الثورة، ولديهما حساسية وطنية وقابلية للتغيير. أما أنا فأميل إلى التمرد. فيما والدي عقلية قديمة وتقليدية: من البيت إلى عمله، ومنه إلى البيت، وهمه عائلته، ولا يؤيد طرفًا سياسيًا ضد طرف آخر، ولا يبالي إن أيّدت أنا هذا الطرف أو ذاك.

وبعدما أمضيت الأسبوع الأول في الساحة بدأت أحب الثورة أكثر فأكثر، وأحب وجودي في الساحة وتنوع الحاضرين فيها، أنا من عشت في بيئة منغلقة، وبالكاد كنت أخرج من رأس بيروت، بيئتي الخاضنة: البيت، رفاقي، المدرسة ودرسي، والبحر. وعلى نحو متقطع انخرطت سابقًا في عمل اجتماعي في بيئتي. لكنني في يوميات الثورة تعرفت إلى مجتمع واسع متعدد ومتنوع، وامتلكت نظرة أخرى إلى المجتمع،

ورأيت التنوع مجتمعًا في بالساحة، وفكرت أن هذا يؤدي إلى ولادة بلد جديد.

تعرّف إلى المجموعات وتنقل بينها

في البداية صرت ناشطًا في مجموعة من مجموعات الساحة، ثم أسسنا معًا مجموعة "أوعى". وهي تكتل لمحاربة الفساد الفاسدين، وهدفه الأول استقلال القضاء. عملت مدة في "أوعى"، لكنني تركتها، بعدما ملتُ إلى المجموعات السيادية: تكتل " Lebanese DNA" و"المنتدى" و"الملتقى السيادي 128". وهؤلاء يؤمنون بالحياد اللبناني والحرية والسيادة والاستقلال. وشعرت أنهم يتقبلونني وأتقبلهم أكثر من سواهم، وأستطيع العمل معهم. لكن علاقتي استمرت جيدة مع معظم المجموعات الثورية في بيروت خصوصًا ولبنان عمومًا، وحتى المجموعات الكثيرة التي أختلفُ معها في بعض الآراء، مثل الحزب الشيوعي أو المجموعات التي تؤيد المقاومة وترفع شعار "جيش وشعب ومقاومة". وهذه أتقبلها على الرغم من اختلافي معها في أمور كثيرة، وكذلك مع من يقولون "كلهم ما عدا فلان". وهؤلاء كانوا كثيرين في الساحة. وهذا كله كان جديدًا علي. وكذلك تواصلتُ مع المجموعات التي تطالب بالعلمانية وحقوق المثليين. كنت أعلم بوجود هؤلاء، لكن معرفتي بهم وتواصلي معم كانا بمنزلة الصفر. لقد لفتوا نظري في الساحة فتقربت منهم واتصلت بهم وتفهمت وجهة نظرهم، فرأيت أن الإعلام يشيع عنهم صورة مختلفة عن صورتهم الحقيقية. ومعظم المجموعات التي تعرفت إليها، اكتشفت أنها على غير صورتها في الإعلام. ولفتتني أيضًا كثافة النساء اللواتي كنّ مكونًا أساسيًا في الثورة وساحاتها. وحضور النساء الكثيف خفف من شدة العنف في الشارع والساحات، خصوصًا في الخطوط الأمامية، في المواجهات بين قوى الأمن والمتظاهرين. وغيرت علاقتي بالمجموعات اهتماماتي وفهمي للعلاقات تغيرًا كبيرًا، ولا أزال حتى اليوم على تواصل مع عدد كبير منها.

تبدل مطالب الثورة وزخمها: خروج على الطوائف وأحزابها؟

تغيرت مطالب 17 تشرين وتبدلت، وتفاوت زخم الثورة في أيامها ومنعطفاتها. في البداية قلنا إننا لن نرضى بأي حكومة، إلا إذا كانت الطبقة السياسية كلها خارجها. ومع تدهور الوضع الاقتصادي والمالي وصلنا إلى القول: يا جماعة خلص، كلهم خير وبركة، وخلوهم يمّشوا البلد، بس ما يسرقوا. ذلك أنهم عندما تظاهرنا ضدهم تشبثوا بكراسيهم، وغرّقونا معهم أكتر فأكثر. أفكارنا ومطالبنا التي رفعناها في بداية 17 تشرين 2019 تغيرت كليًا لاحقًا، خصوصًا بعد التدهور الرهيب للوضع الاقتصادي وانفجار المرفأ. وتراجع الزخم الثوري كثيرًا وتفشى الإحباط على نحو غير مألوف في لبنان. فمشهد الناس السائرين في الشوارع اليوم، يبدو على ملامحهم الوضع المزري: وجوه مصفرّة، ذابلة وخائفة ومستاءة.

وأنا اليوم أشدد على الفكرة التالية: الناس الذين شاركوا في التظاهرات ومكثوا في الساحات لم يخرجوا من ولاءاتهم الحزبية والطائفية. والذين عاشوا وناموا في الساحات يدركون ما أقول.

فما من أحد استطاع أن يشتم زعيمًا ما محددًا في الساحة، إلا ووقف الآخرون ضده. وفيما كنا نتحاور في حلقات، كنت أقول مثلًا: رفيق الحريري عمّر البلد، فيسارع الشيعي إلى القول: لا، وحسن نصرالله لا علاقة له بالفساد. وربما تحرر مرتادوا الساحات جزئيًا وقليلًا من ولاءاتهم، لكن الشطر الأكبر من شخصياتهم ظل على ولائه السابق ولم يتحررمنها. وهناك من يقول: حرام، هذا الزعيم أو ذاك، لا علاقة له في ما حصل، وهو مغلوب على أمره.

وهناك أشخاص ومجموعات خرجت من انتماءاتها الحزبية والطائفية، وهناك أشخاص ومجموعات كانت تتظاهر وتشارك في الثورة من دون تخليها عن تلك الانتماءات. فالقوات اللبنانية مثلًا لم تشارك في الفساد كغيرها، لكنها شاركت في الحكومة الأخيرة، ثم استقالت منها، صار أنصارها يشاركون في المظاهرات. وهناك أشخاص صاروا ينادون بفكرة الوطن، لكنهم لم يتخلوا عن أحزابهم. وأنا أرى أن المدينة الأقوى والأوسع مشاركة في الثورة هي طرابلس، وهي الخزان السني اللبناني. فرفيق وسعد الحريري كان يقول إن القلب على الشمال، وهو يقصد طرابلس. والأكيد أن طرابلس شاركت في الثورة بعزم أقوى بكثير من البيئة الشيعية والمسيحية والدرزية.

والمشاركون في 17 تشرين متنوعو الأهواء والانتماءات: هناك من خرجو عن احزابهم متلي. وهناك من كانوا أصلًا خارج الأحزاب، لكنهم غير قادرين على التعبير، أو لديهم مصالح معينة أو مكانة معينة أو شغل معين في الأحزاب. وهناك من شاركوا في التظاهرات، وظلوا يقيمون اعتبارات لرؤساء أحزبهم أو طوائفهم. وهناك أيضًا من خرجوا من الأحزاب لكنهم لم يشاركوا في التظاهرات، ومكثوا في بيوتهم.

السني المنتمي إلى تيار المستقبل مثلًا، ما أن تدعوه إلى المشاركة في الثورة بعد استقالة سعد الحريري، يقول لك: عندما كانوا يريدون إسقاط الحريري خرجوا جحافل إلى الشوارع. وبعد أسقاطه استنكفوا عن التظاهر. هذا يعني أن هناك حرب على السنة، ولن نشارك فيها. وهنا أقول لهم يجب إسقاط رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب أيضًا، فهيا إلى الساحة. وبعدها هناك انتخابات وتختارون. ومن ينجح في الانتخابات صحتين على قلبه، ومن يفشل يكون في المعارضة. وهذا هو الشكل الطبيعي للديمقراطية في العالم كله: هناك موالاة تحكم، ومعارضة تعارض وتراقب الحكم. ويجب أن تنتهي مقولة أنا أو لا أحد.

لكنني بصراحة أنا شديد الخوف رغم حماستي للانتخابات المقبلة، إذا حصلت. فلا شيء واضح بعد، حتى في مجموعات الثورة هناك مشاكل كثيرة. فكل من شارك ومكث يومًا أو يومين في الساحة يريد أن يكون مرشح الثورة في الانتخابات، وهذا مخيف.

أما أنا، فبخروجي من تيار المستقبل، حاسبت سعد الحريري كزعيم سني وكرئيس حكومة في المرحلة الماضية. وإذا برز زعيم سني يريد أن يعمل لمصلحة البلد، فله الأفضلية، ويجب أن يكون خاضعًا للمحاسبة من جمهوره السني، لأن النظام الطائفي في لبنان قائم منذ قيام دولة لبنان الكبير. والطوائف ليست نقمة، بل الطائفية هي النقمة. لا مشكلة في أن يكون الشخص سنيًا مثلًا، المشكلة أن يكون سنيًا فقط، وينفي انتماءه للبنان. أو تطغى مصلحة السنة لديه على مصلحة لبنان. فالانتماءات السنية والدرزية والشيعية والمسيحية يجب أن تكون مقومات لبناء وطن مشترك.

وأعتقد أن الزخم في الشارع خفت لبسببين: يقظة العصبيات الطائفية يقظة شديدة القوة. والضغوط المعيشية التي تعرضت فئات كثيرة من أصحاب المداخيل المحدودة. فهؤلاء ما عادوا قادرين على تعطيل أشغالهم والاستمرار في التظاهرات، وخصوصًا من يتقاضون الحد الأدنى للأجور. وهذا ما لمسته شخصيًا في حالات كثيرة.

وفي ما يتعلق بيقظة العصبيات، أعتقد أننا في 17 تشرين انتفضنا على أحزاب كبرى ومتجذرة منذ ما بين 20 و40 سنة في لبنان. وهي أحزاب لديها خبرات مديدة في كيفية شحذ العصبيات الطائفية، وحمل الناس على الخروج من الشارع. أما نحن الجيل الشاب من طلاب الجامعات والمتعلمين والمنفتحين ذهنيًا، فمبتدئين في العمل السياسي وتحريك الشارع، على خلاف الأحزاب المتجذرة منذ سنوات الحرب الأهلية الدموية، ولديها خبرات واسعة في تحريك الناس وإدارتها في الشارع.

آثار 17 تشرين على العلاقات والوعي الشخصي

لا أزال على تواصل مع مجموعات في الثورة: DNA Lebanese و128 والملتقى السيادي والمنتدى. وكذلك على علاقة مع حزب الأحرار والحزب الشيوعي، وسواهم من مجموعات.

لم يتبدل أصحابي وأصدقائي، لكن عددهم تزايد. وهناك من صارت لهم أفضلية وأهمية أكثر في حياتي أكثر من الآخرين. فمن عشت معهم يوميات الانتفاضة، وتعرضنا معًا قنابل الغاز، ومن سكب على وجهي المياه، بعدما أغمي علي واستيقظت لأجده قربي، ومن تعرفت إليه وهو يسحبني من أيدي عناصر مكافحة الشغب، ومن أكلنا معًا المناقيش تحت زخات المطر في ساحة الشهداء، هؤلاء جميعًا تعرفت إليهم وصرت أكن لهم معزة خاصة، وصاروا أصدقاء النضال ولهم أفضلية في حياتي.

لقد فتحت 17 تشرين عيوني على حياة وعلاقات جديدة، لم أكن أعرفها. وقبل 17 تشرين لم يكن عدد رفاقي المسيحيين يتجاوز عدد أصابع يد واحدة، وكانوا بعيدين ولا أعلم شيئًا تقريبًا عنهم. لكنني بعد 17 تشرين تعرفت إلى الدرزي والمسيحي والشيعي والعلماني. وصرت عندما أجالس الشيعي مثلًا، أعلم كيف يفكر ويتكلم. وأستطيع القول إنني أدركت كيف يمكن أن نفكر ونتكلم معًا عندما نلتقى ونتحادث، نحن أبناء الطوائف، بعدما كنت منطويًا على نفسي وبيئتي. وقد يكون أهم ما اكتسبته هو أنني صرت قادرًا على أن أقول لا عندما أرى خطأ ما، وأتحدى الآخرين. وهذا لأنني تحديت منظومة كاملة في البلاد. ويتهيأ لي أنني وقفت وقلت لا للمجتمع القائم منذ نشوء دولة لبنان الكبير. وهذا ما أعتبره نقلة نوعية في حياتي، بعدما صرت أميز الصح من الخطأ، لأنني انخرطت في الحياة السياسية والاجتماعية في لبنان. واقتنعت بأن الشخص الواحد، متنوع الانتماءات في المجتمع، وهو جزء من هذا المجتمع. مثلا لقد أتقبل المجموعات المثلية، وأقر بأن ذلك موضوعًا شخصيًا يتعلق بحياة الأفراد الشخصية. وأقصد أنني صرت أتقبل الآخرين، مهما اختلفوا عني.

ومن نتائج 17 تشرين علي أنها أشعرتني بانتماء أقوى إلى لبنان، وقوّت إرادتي للحفاظ عليه. فأنا من الذين صار يزعجهم ويحزنهم أن يتحطم حجر أو زجاج في وسط بيروت. وبعدما كنت لا أبالي برمي ما أحمله من مهملات في الشارع، صرت آنف من رميها وكذلك النفايات على الأراضي اللبنانية التي أشعر أنها كلها وطني.

ونشأت لدي علاقة جديدة بساحة الشهداء، التي كانت في لبنان تاريخياً ساحة الحريات أو ساحة التعبير. وفي 17 تشرين صارت منبرًا لكل من لديه رأي يريد أطلاقة. فهي الساحة الأقرب للمجلس النيابي والسرايا الحكومية. وتمنيت لو أن هناك ساحة متلها على طريق بعبدا لنمكث فيها قريبً من القصر الجمهوري... وكم أود الآن أن نعقد الليلة اجتماعًا في ساحة الشهداء أو في ساحة رياض الصلح. وكلما أمرُّ اليوم في أي من الساحتين وأرى 10- 15 شخصًا جالسين يتبادلون أفكارًا في ما بينهم، تعاودني مشاهد 17 تشرين، متمنيًا لو يعود الزمن إلى ما كنا عليه آنذاك.

اكتئاب مابعد الانتفاضة والأزمة الاقتصادية والتفكير في الهجرة

اليوم أشعر أن بيروت مصابة بحسرة أو بغصة، وكأنها مبنّجة. وأملي صار ضعيفًا أو خفت كثيرًا، لكن لا يسعني القول إنني دخلت في مرحلة الاكتئاب أو الإحباط، بل ربما دخلت فيها، لأننا لم نستطع تحقيق ما نريد. ولدي مع كثيرين شعور - ولو ضعيف - أن هناك من يتهمنا في أننا نحن السبب في ما وصلنا إليه اليوم. وهؤلاء يقولون: لو لم تحدث 17 تشرين لظل الدولار على حاله، أو وصل إلى ألفي ليرة مثلًا، ولظلت

أحوالنا المعيشية مستورة. لكن قناعتنا بان هذا الكلام غير صحيح، لا تقلل أو تخفف من تقويض عزيمتنا، لكثرة التهم الموجهة إلى الثورة.

وغيرت الأزمة الاقتصادية نمط حياتي في جوانب ومجالات كثيرة. فأمي لا تعمل، ووالدي يعمل ميكانيكي تصليح أجهزة التكييف والمولدات. ونحن 6 أخوة وأخوات، تزوج منهم اثنين، والأربعة الباقون مقيمين في البيت. وأنا دخلت مبكرًا إلى سوق العمل، فتأخرت في دراستي الجامعية في جامعة بيروت العربية. وأعمل اليوم مسؤول توظيف في شركة أمنية خاصةsecurity . واضطررت إلى العمل أكثر فأكثر، لأساعد والدي في هذه الأزمة، التي حملت الكبير والصغير في بيتنا غلى تحمل المسؤولية. وكل منا في البيت اتبع ترشيدًا في المصاريف. لقد تغير نمط الحياة الشبابية العادية الذي كنا نعيشه. فخروجنا مرة أو اثنتين للترفيه والسهر في الأسبوع، صار يقتصر على مرة أو اثنتين في الشهر

وأنا من كنت ضد الهجرة، ودرست الحقوق لأبقى وأعمل في لبنان، بدأت تراودني فكرة الهجرة منذ بداية سنة 2021، رغم أنني غير راغب فيها ولا أحبها. فإذا هاجرت وهاجر أمثالي من الذين ما زالوا يناضلون في البلد، فإنه سوف يُترك للأسود المفترسة التي تعيش فيه. وإذا قررت الهجرة لن أرضى أن يساعدني أحد في ذلك، بل سأهاجر بمجهودي الشخصي، فأسس حياتي في الخارج، مدركًا أن ذلك يتطلب مصاريف كثيرة.

انفجار المرفأ: الانكسار والأمل والتأقلم

أستطيع القول إن انفجار المرفأ كان الكابوس. كنت في وسط بيروت لحظة الانفجار. وحتى اليوم أشعر أنني لم استعد تماسكي بعد ذلك الارتجاج الذي أصابني. بصمة الانفجار متشبثة بقلبي وعقلي وشخصيتي. لا يزال الانفجار يأتيني في المنام. وكلما سمعت صوتًا قويًا أجفل. وما حدث يشعرني أنني مكسور. وكلما مررت في الجميزة أو مار مخايل أو الأشرفية وقرب المرفأ يراودني هذا الشعور بالانكسار. والجرح الذي نجم عن انفجار المرفأ يحتاج إلى أكثر من سنوات عشر كي يلتئم. وأقول إن مأساة الانفجار ستواكبني وتواكب أولادي وأولاد أولادي.

كنت في وسط بيروت لحظة الانفجار، وبعدما اطمأنيت على زملائي في المكتب، بدات أساعد في عمليات إنقاذ الجرحى ونقل جثث القتلى. والساعات الـ 24 التي تلت الانفجار هي التي تركت أثرها الكبير علي، قبل البدء بحملات إزالة الردم والركام في الأيام التالية. ورغم الانكسار الذي ألمّ بي، راودني الأمل إياه الذي أحسست به في 17 تشرين، لما رأيت جموع الشبان والشابات مندفعين للمشاركة في حملات إزالة الردم والركام.

وترك الانفجار إحساسًا بعدم الأمان لدي. فكلما مررت ليلًا في عتمة مار مخايل لا أزال أفكر أن انفجارًا سيحدث. ومنذ 17 تشرين 2019 أشعر بعدم الأمان، لأن كثرة ممن شاركوا في الثورة من أصحابي ضربوا أثناء مرورهم في بعض المناطق. وبعضهم ما كان قادرًا على الخروج من بيته للمشاركة في الثورة، لأن هناك من يلومه. وقد يقتل كما قتل لقمان سليم. ذلك أننا نعيش بين مافيا السلطة الحاكمة والميليشيا.

أفكر أن التأقلم من طبيعة اللبناني. فهو يتأقلم سريعًا مع الاوضاع والأحوال التي يعيشها. وهو لا يكمل الثورة التي بدأها وانخرط فيها، ثم يتأقلم مع الوضع الذي ياتي بعدها. مثلا، تضايقنا لما بلغ سعر الدولار 10 آلاف اليرة، لكننا الآن تأقلمنا، كأنما الأمور صارت عادية. ويردد اللبنانيون يوميًا مستائين: الوضع صعب الوضع صعب، لكنهم يتأقلمون. وطبيعة الإنسان اللبناني هذه لم تساعدنا في متابعة الثورة.

كورونا والعزل: ضعف في العلاقات وترابط عائلي

لم يؤثر العزل علي كثيرًا، ولم يخفني وباء كورونا لحظة واحدة، ولم أعره أهمية كبيرة. طبعًا التزمنا بالوقاية ووضع الكمامات. لكن الوضع الذي نحن فيه في لبنان، تعتبر كورونا أهون مساوئه. لكن الدراسة أونلاين كانت تكسير عظام. فدراسة الحقوق صعبة جدًا، وفي الدراسة الحضورية بالكاد نستوعب موادها، فيف تكون حالنا طوال ساعات ثلاث متواصلة قبالة شاشة الكبيوتر أو الهاتف؟! وهناك انقطاعات التيار الكهربائي وتوقف الانترنت على نحو متقطع. وأنا معظم أوقات الدراسة أنلاين، كنت أتابعها أثناء عملي. وعنما عدنا إلى الدراسة الحضورية قال لنا الدكتور أنه يعلم أننا لم نفهم شيئًا مما شرحه أونلاين، ثم تابع: لكنني مضطر لأن أكمل من حيث وصلنا. فائدة الدراسة أونلاين تقتصر على أننا جربنا شيئًا جديدًا، أو على أننا اختبرنا كيف يكون العالم في المستقبل. وقالت لي طالبة سنة أولى حقوق أنها لا تعرف أحدًا من زملائها وزميلاتها من الطلاب. ونحن طلاب السنوات الأخيرة ضعف التواصل بيننا.

ولأنني أعمل وطالب جامعي، كانت حياتي اليومية خارج البيت تقريبًا، لكن العزل ألزمني بالبقاء في المنزل مع العائلة. ونحن أصلًا عائلة مترابطة ومتماسكة، ويعلم كل منا مشكلات الآخر، ونتساعد في معالجتها.

الانتخابات الطلابية تبعث الأمل

أنشأنا، نحن مجموعة من الطلاب في جامعة بيروت العربية، ما سميناه "ثوار الجامعة العربية". ونحن من الذين شاركنا في 17 تشرين، ولم نستطع التظاهر لا في الجامعة ولا على مدخلها. كنا خائفين من أن نتعرض لاعتداءات من شبان الطريق الجديدة. وتظاهرنا مرة فقط على مدخل الجامعة، لان إدارة جامعتنا قررت أن تباشر التدريس في عز الثورة، فتظاهرنا رفضًا لهذا القرار. وأنشأنا مجموعات تواصل عبر الواتس آب، ونتداعى للتظاهرات. وإدارة جامعتنا تمنع النشاط السياسي والانتخابات الطلابية، ويُفتقد بين الطلاب النشاط الاجتماعي. لكنني تابعت الانتحابات في الجامعات الأخرى ودعمت مرشحين، عبر علاقاتي وصداقاتي التي نشأت في الثورة.

وتجربة الانتخابات الطلابية في الجامعات بعد ثورة 17 تشرين هذه الانتخابات ونتائجها، بعثتا أملًا في نفوس طلاب كثيرين بعد الإحباط. وتجربة الطلاب هذه تشبه تجربة نقابة المحامين أثناء الثورة.

وعلى الرغم من قسوة حوادث السنة ونصف السنة اللتين عبرتا، أعتبر أنهما جعلتا مني شخصًا جديدًا.

دراسة حالة عدد 3

طالبة شيعية في الجامعة اللبنانية تفصلها 17 تشرين عن بيئتها في الضاحية الجنوبية

قبل 17 تشرين: حياد وبيئة مغلقة

عمري 21 سنة، وأنا من الجنوب، لكنني ولدت في ضاحية بيروت الجنوبية، وفيها عشت طوال عمري. أدرس الفيزياء في الجامعة اللبنانية - الحدث، في السنة الثالثة. يعمل أبي في محله الخاص لميكانيك السيارات. وأمي لا تعمل. وأهلي لا يؤيدون أحزابًا سياسية، أو لا يعلنون آراءهم السياسية، ويلتزمون الحياد دائمًا، رغم وعيهم بمشاكل البلد.

وقبل ثورة 17 تشرين 2019 لا يمكنني القول أنني كنت أمتلك وعيًا سياسيًا، ولم يكن لديّ ميل لمتابعة الأحداث السياسية، إضافة إلى أنني كنت أعيش في بيئة منغلقة. وكنت أخالط أحيانا أشخاصًا من خارج بيئتي في الضاحية الجنوبية، التي لم يكن أحد في محيطي يعبر بوضوح عما يجري خارجها.

في صغري كنت أميل إلى تبني آراء محيطي وبيئتي. ولما بلغت الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، بدأت بالانفكاك تدريجياً عن معتقدات بيئتي. وكلما كبرت رحت أبتعد أكثر فأكثر عنها من دون أن أنحاز إلى أية فئة سياسية أو حزبية.

ثورة الأمل: اختلاط وانتماء لبيروت ولبنان

عندما بدأت ثورة 17 تشرين، وبدأت الفئات الشابة تشارك بكثافة في التظاهرات متطلعةً إلى التغيير، أحسست وأصحابي في بيئتي أن هناك ثورة، لما رأينا الناس في الشوارع. شعرنا بالسعادة والفخر، وصار لدينا أمل بان ثورة بدأت وستكمل طريقها، ويجب أن تنجح. ورحنا نفكر بالتغيير الذي يمكن أن تحدثه هذه الثورة. فأنا بصفتي طالبة على أبواب التخرج من الجامعة، كنت أعلم تماما أنه لا يمكنني إيجاد عمل في اختصاصي بدون واسطة واستجداء هذا الزعيم أو ذاك. لكن أصبح لدينا أمل بأن الأوضاع هذه قد تتغير، ويصير بإمكاني إيجاد عمل، بلا واسطة ولا استجداء أحد، ويمكننا إيجاد حلول للمشاكل التي نعانيها نحن الشبان والشابات، ونكف عن تفكيرنا الدائم بالهجرة.

ولكنني لم أستطع الخروج إلى الساحات إلا نادرًا، لأنني متطوعة في منظمة دولية، ولا يحق لي المشاركة في التظاهرات. تحمست كثيرا ورغبت في أن أكون في الساحات، وفكرت في الاستقالة من المنظمة لأتمكن من المشاركة في الثورة. لكن أصدقاء نصحوني بالتريث والتروي. وقالوا إن كل شخص يستطيع المشاركة في الثورة على طريقته، حتى ولو لم يخرج إلى الساحات. أعرف شبانًا وشابات أعضاء في منظمات دولية دفعتهم حماستهم/هن إلى التظاهر في ساحة الشهداء، مخفين وجوههم/هن بأقنعة. وبعضهم/هن أدّت مشاهدتم/هن في التظاهرات إلى طردهم/هن من منظمات يعملون وتعملن فيها.

تعويضًا عن عدم مشاركتي الكاملة في الثورة، رحت أشجع إخوتي وأخواتي وأصدقائي على الخروج إلى الساحات. وبدأت أتابع أخبار الثورة في مواقع التواصل الاجتماعي، وتحديدًا أنستغرام. تابعت أشخاصًا لا

أعرفهم، وتحركاتهم على الأرض. وفي مواقع وصفحات إلكترونية، شاهدت بثًّا مباشرًا عن وقائع التحركات اليومية والأحداث من الساحات.

قليلة هي مرات مشاركتي في تظاهرات وارتيادي ساحات الثورة. لكن ما شعرت به كان جديدًا وجميلًا: شعور بالفخر، بنفسي، وبالناس من حولي. وفاجأتني مشاركة الناس من أطياف ومناطق وطوائف وطبقات متعددة وكثيرة ومختلفة. ترددت إلى وسط بيروت متفرجةً على الناس في الثورة. وأحببت بيروت من كل قلبي ورأيتها جميلة جدًا ورائعة. ناس من مختلف المناطق تجتمع في ساحاتها. وهذا أشعرني بالانتماء إلى لبنان، وإلى بيروت تحديدًا.

ورأيت مجموعات مختلفة ومتنوعة تطالب بحقوقها الفئوية. فعندما يشارك الناس في ثورة مفتوحة، من الطبيعي أن تطرح كل فئة مطالبها ومظالمها. وكان هناك حضور لمجموعات المثليين والمثليات، وللنساء من الفئات المغيبة والمهمشة حقوقهن بسبب طبيعة المجتمع والقوانين في لبنان.

ورأينا أن الثورة فرصة ذهبية للمطالبة بالتغيير، ولن تتكرر. وكنت أتوقع اللقاء بهذه الفئات، لأنها من صلب المجتمع اللبناني. ولا شك في أن من كانوا ضد الثورة جعلوا حضور هذه الفئات سبباً للطعن بالثورة، وركزوا على مشاهد الرقص والغناء ولباس الشابات، لتشويه صورتها والتحريض للانقلاب عليها.

ولم يكن يخلو الأمر من بعض التكسير والتخريب. وأحيانًا رحت أقول: "ليست هذه مشكلة، الثورة لا تزال سلمية، وبعض العنف لا يضرّ بها".

الشباب وجيل الحرب والضاحية الجنوبية

عندما انطلقت الثورة كان المواطن اللبناني قد تعب من الأوضاع التي وصل اليها ووصلت إليها البلاد: تعب من الغلاء، من الفقر، من البطالة، ومن تأمين مستلزمات الحياة الضرورية. وأنا متأكدة ورأيت أن الثورة أخرجت الفئات الشابة التي شاركت فيها من طوائفها ومن ولائها للزعامات في مناطقها. وأقصد بذلك الفئة العمرية ما دون الـ 40 سنة.

وأرى أن جيل الحرب الأهلية ما زال يعيش في الماضي، بهذا المقدار أوذاك. وهو الجيل الذي أثر سلبًا على جيلنا الشاب. في عائلتي شخص ينتمي إلى ذلك الماضي. وهو لم يكف عن انتقاد الثورة. أحيانا تأثرت بكلامه وسألت نفسي: "ما الذي أفعله، إلى أين تأخذنا هذه الثورة، هل ما أفعله صواب أم خطأ؟"

وأعلم أن سكان الضاحية الجنوبية شاركوا في الثورة عند انطلاقتها. فما يحدث في لبنان يحدث في الضاحية. وهي ليست منفصلة عن لبنان، ومصادر عيشها ليست مختلفة. وأعتقد أن أوضاعها وأحوالها أصعب وأسوأ. وشعر أهل الضاحية بضرورة المشاركة في الثورة، لأن أوضاعهم لم تعد تُحتمل. لكن بدا أنهم مع التغيير وضد كل الزعماء، باستثناء زعيم واحد أو اثنين. لذا عزفوا عن المشاركة، وانقلبوا ضد الثورة، وضد المشاركين فيها، وصاروا يعتبرون أن من هو مع الثورة ضدهم. ولكن حال الضاحية الجنوبية لم تكن على هذه الصورة، سوى في بعض أحيائها. وفي أحياء أخرى كان الصبايا والشبان الذين شاركوا في التظاهرات يخبئون الأعلام في خروجهم من تلك الأحياء وعودتهم إليها، خشية تعرضهم لمضايقات في أحيائهم.

التجانس والشِّقاق في الضاحية والخروج من الثورة

واليوم صرت أشعر أن مجتمع الضاحية الجنوبية يعيش في حال من الضياع تقريبًا. وأشعر أنني أعيش في مجتمع متجانس في نمط العيش والتفكير. وأنا من كنت أعتبر أنني مختلفة عنه وعن أهله، من دون أن أعي ذلك وأعبّر عنه، صار ينتابني شعور بأنني دخيلة عليه وعلى أهله المتجانسين. وأعرف أشخاصًا وفئة من الناس يشبهونني وأشبههم. والأرجح أن معظمهم مثلي كانوا يؤيدون الثورة أو شاركوا فيها. لكن المشكلة أن الانقسام الذي حصل في بدايات الثورة، بدا لي غير مفهوم، ولم يحدث داخل فئة محددة، بل حلّ الانقسام في كل مكان، وداخل البيوت. مثلا، في أسرتي وبين أبناء عائلتي الموسعة هناك أشخاص يؤيدون الثورة وآخرون ضدها. لكنني أعتقد أن الفئة الشبابية عامة كانت مع الثورة، والجيل الأكبر أو المسنين كانوا ضدها.

لذا أنا ضد النظرة النمطية التعميمية للضاحية. وأهل الضاحية ليسوا ضد الجميع كما يجري تصويرهم. أنا مثلا من سكان الضاحية، ويمكنني أن أتصرف بحرية وأقول رأيي بحرية تامة. لكنني في الوقت نفسه أشعر أن المجتمع مختلف عني، ولا أستطيع أن أكون كما أنا وأجاهر بآرائي المختلفة عن آراء الأكثرية الساحقة. هم يعتبرون أنني أخطئ تقدير وفهم الأمور، ويجب أن أحترم آراءهم. وحين أجاهر بآرائي أمامهم، أقول: "اصطفلوا هيدا رأيي"، وعليّ أن أناقشهم بدبلوماسية. أستمع إلى آرائهم وأحترمها، لأن الفجوة كبيرة جدًا في التفكير بيني وبينهم. يعلمون أنني لا أفكر مثلهم - وهذا ينطبق على قسم كبير من عائلتي - لكنهم يتركونني وشأني ويقرُّون بأن تفكيري مختلف عن تفكيرهم.

وقد تتلخص قصة ثورة 17 تشرين في الضاحية على النحو التالي: شطر كبير من شبانها وشاباتها كانوا متحمسين جدًا للثورة، ولديهم رغبة حقيقية في الخروج من محيطهم وبيئتهم وقيم وذهنية أهلهم. لكن الأهل خافوا ولم يقتنعوا بطروحات أبنائهم، وحصل شرخ بين الطرفين. لكن هذا لم يدم طويلاً. لقد نجح الأهل بجهودهم في إعادة أبنائهم إلى حظيرتهم العائلية.

وعايشت هذه الحال يوماً بيوم، وكيف تراجع الشبان والشابات عن قناعاتهم، وكان ذلك دراماتيكيًا بالنسبة لي: مساءً يكون هذا أو ذاك أو ذلك مع الثورة، لكنهم صباحاً سرعان ما ينقلبون على أنفسهم، قائلين: نحن مضطرون للعيش مع أهلنا ومثلهم. ويكون بتأثير من هم من الجيل الأكبر سناً منهم.

وكانت الثورة لا تزال في بدايتها عندما أخذ الشبان والشابات ينسحبون منها قائلين: لم أعد أرى أن مسار الثورة صحيحًا، كلها كذب بكذب! لكن الثورة كانت على حالها لم تتغير. هم الذين تغيروا وتخلوا عنها مرغمين، وربما عن قناعة، لا أعرف، لكن هذا ما سمعتهم يقولونه.

القرار الصريح والمعلن بالانسحاب من الساحات ساعد بقوة في انسحاب الفئات الشيعية من الثورة. ولربما حصل انسحاب فئات شابة مماثلة في بيئآت أخرى، مسيحية ودرزية وسنية، لكن بنسبة أقل من ما في البيئة الشيعية على الأرجح.

المساومة والعودة إلى كنف الأهل

أعلم أن الأهل في البيئة الشيعية يصعب عليهم الخروج من ولائهم لطائفتهم وزعمائها. وعندما رأوا أبناءهم مع الثورة وفي الثورة، وأنها عرّفتهم على أفكار وقيم جديدة مختلفة عن قيم بيئتهم، بدأ الأهل يطرحون على أنفسهم أسئلة حول الانتماءات الطائفية وتبعية الناس لزعمائهم في لبنان. ثم أخذوا يقنعون أولادهم باستحالة أن يكون بمقدورهم تغيير أي شيء، قائلين لهم: أنتم لا تعرفون هذا البلد، أنتم لا تستطيعون تغييره. وفي

حال خروجكم من انتمائكم ماذا ستفعلون، وماذا سيكون مصيركم؟! وهذا أقلق المشاركين في الثورة وأخافهم فعلًا على مصيرهم ومستقبلهم.

وهكذا تولدت تساؤلات الفئات الشابة الشيعية المشاركة في الثورة، فصاروا يقولون: إذا خرجت من بيئتي وولائي لزعماء طائفتي، قد أخسر مستقبلي.فأنا غير قادر على السفر لتأسيس حياة جديدة خارج لبنان. إذًا، الأفضل أن أسكت وأقتنع بكلام أهلي، وأبقى على انتمائي لبيئتي. وإذا لم أوالِ زعيم طائفتي، الأفضل ألا أعلن مواقف ضده. فلأبقى صامتًا لتأمين مستقبلي، إذًا. ومهما يكن هذا المستقبل، أفضل بقائي في البيت طوال حياتي.

ماذا غيرت الثورة؟

وعي الاختلاف عن البيئة السائدة وإعلانه

قبل الثورة كنت شخصًا مختلفًا تمامًا عما أنا عليه الآن. قبل 17 تشرين لم أكن أدرك في أي بلد أعيش، مع أي فئة أو طبقة سياسية. لم أكن أنتمي لأي طرف سياسي، خصوصًا التي ينتمي اليها مجتمع الضاحية. ولم أكن أعي سبب ابتعادي عن تفكير أولئك المنتمين. فبلا سبب واضح كنت لا أريد أن أكون منهم ومثلهم. دائما كنت أشعر أنني دخيلة على المجتمع الذي أعيش فيه. لكنني لم أكن أعوّل على هذا الشعور، ولا أعيره ما يكفي من الانتباه، ولا أحاول إدراكه أو فهمه، والبحث عن أسبابه.

وعندما بدأت الثورة، لم يكن لدي بعد فكرة واضحة عما يجري ويحدث. لكن عندما بدأت أتابع ما راح الناس يتداولونه في العلانية العامة عما يجري من أحداث، وبدأت أتواصل عبر السوشيال ميديا بالثورة ومجرياتها وأفكارها وعملها في الساحات - لم أكن قادرة على المشاركة فيها مشاركة حية ومباشرة - اطلعت على أشياء وأمور ومواقف كثيرة كنت أجهلها من قبل. لقد تفتّح وعيي على ما كان غائبًا أو مغيبًا عني. وبدأت أنتبه أكثر فأكثر بما يدور حولي، وأفكر فيه. وما تغير فيّ ليس وجهة نظري وأفكاري فحسب، بل اكتسبت الجرأة على التفكير والفهم، وتجرأت على أن تكون لدي وجهة نظر مختلفة عن بيئتي ومجتمعي.

وأرتني الثورة الصورة الأساسية والحقيقية لاختلافي عن محيطي، ووضّحت لي أسبابه. هذا هو الفرق الذي أحدثته الثورة. لقد تجرأتُ على نقد المجتمع الذي أعيش فيه، وعلى تحديد أسباب عدم اندماجي فيه. كنت مختلفة عن محيطي من دون أن أعي لماذا أنا مختلفة. الثورة هي التي قالت لي لماذا. وأحمد الله على اكتشافي أنني لم أكن نسخة مطابقة للناس في محيطي، ولا أفكر مثلهم.

قبل الثورة كنت أرسم خططًا لمستقبلي في لبنان على المدى البعيد. كنت أقول مثلًا: إذا بدي أتوظف أو أشتغل، بدبّر واسطة، وهذه شغلة بسيطة. الآن صرت أعلم بوضوح أن الواسطة تعني الاستزلام والارتهان. وأنا التي كنت غير منتمية لجماعة سياسية ولا أدري لماذا أنا مختلفة عن بيئتي، لم أعد أرغب ولا أريد أن أنتمي انتماءً مطابقًا لجماعة محددة سلفًا، ولم أعد أقبل بمنطق الواسطة والتبعية والاستزلام، وأرفض ذاك المنطق بشدة، وعن سابق تصور وتصميم. أرفض هذا النظام الزبائني لتأمين مستلزمات الحياة، حياتي.

وحفزتني الثورة على التغيير، وزادت تعلقي بلبنان، وصرت على قناعة بإمكان أن نغيّر، أن نُحدث فرقًا. وعرفت أن عددنا كبير، نحن الشبان والشابات المتشابهين الذين نتطلع الى التغيير، وتضامننا قد يوصلنا إلى أهدافنا.

والثورة منحتني وعيًا سياسياً. قبلها كنت أحتفظ برأيي، ولا أملك جرأة الجهر به وإعلانه. اليوم صرت أعرف رأيي، أمتلكه وأقوله علنًا، وأقول لا، أنا لي رأيي، وهذا هو رأيي. وأنا ضدك، وأرى أنك على خطأ.

قطيعة مع التبعية والبيئة المتجانسة

وتحسنت علاقتي بأهلي. الثورة أثارت نقاشات في البيت، فصرنا نتكلم ونتبادل الرأي في كل حدث ومسألة. وربما للمرة الأولى سمع أهلي آرائي، وعرفوا كيف أفكر، وصارت أفكاري أوضح لأنني أقولها وأعبر عنها وأناقشها مع سواي.

أما علاقاتي بمحيطي أو بالعالم الخارجي أو بالناس من حولي، فأنا بالتأكيد بدأتُ أتحوط أكثر فأكثر حيال الناس الذين أحتك بهم وأخالطهم. وإذا رأيت أنهم ضد الثورة - وتحديدًا من الشيعية والذين كانوا مع الثورة في البداية ثم انقلبوا عليها - أنفر منهم مباشرة. لا أدري هل أنا على خطأ أم على صواب في نفوري منهم. ربما كنت من قبل أتسامح معهم. أما الآن فلم أعد أتسامح معهم قط. عندما أعلم أن شخصًا ما هو على هذا النمط من التفكير والسلوك المتجانسين تمامًا مع ما تمليه عليه البيئة التي يعيش فيها، بلا أي تفكير شخصي منه، صرت أقول إنني أفضل أن نبقى متباعديَن. وذلك لأنني اختبرت وصرت أرى بوضوح أن لا أمل في تغيير طريقة تفكير هذا النوع من الناس. وأنا أجزم في ذلك، وأقول إنني لا أعلم لماذا هم على هذه الصورة.

وعمومًا، لم أعد أشعر أنني مرتاحة في بيئتي. لقد بدأت أتفادى الناس الذين تعودوا على التبعية، ويسلمون أمرهم لأحد ما ليقرر عنهم، بل يفتشون دائمًا عن جهة ما أو طرف ما يقرّر عنهم. وهؤلاء فقدوا المقدرة على اتخاذ قرار ولو بسيط، حتى في حياتهم وشؤونهم الخاصة. وهم تعودوا على ذلك.

أهل التبعية لشخص واحد

ونسمع دائمًا أن ظروف هؤلاء الناس صعبة. لكن إلى متى نعيد هذا القول ونكرره لتبرير ما هم عليه من تبعية؟ لو كان هناك ما يستفيدون منه في بقائهم على هذه الحال، لكان يمكن التفكير في الأمر وتبرير ما هم عليه. لكنهم لا يستفيدوا شيئًا. وهم يعيشون في القهر والظلم والقرف، بلا أمان وبلا ضمانة، ولا يمتلكون شيئًا تقريبًا. وهم يتحملون ذلك من أجل شخص واحد. ولا يتساءلون مثلًا: بماذا يا ترى يفيدنا هذا الشخص؟ وأنا أتساءل: ماذا فعل ذاك الشخص لهم، فيما هم لا يملكون ثمن ربطة خبز؟! هو مرتاح ومسرور، وهم لا يصلهم دولار واحد من تلك الدولارات التي تُدفع لفئة محددة. ومفهوم لماذا لا تتجرأ هذه الفئة على الكلام وتعيش على التبعية، فهي مستفيدة، وضيقة ومحددة أصلًا، وهي من المسؤولين أو بعضهم. لكن الأكثرية ماذا تستفيد؟! ولماذا تدافع عن ذاك الشخص، وماذا جنيت من ذلك؟! الزعماء والسياسون كلهم متشابهون، وكلهم أخطأوا. وإذا افترضنا أن أحدهم لم يخطئ، فهو يغطي أخطاء الآخرين. لذا كلهم محتالون في الأساس. وما من أحد منهم إلا لديه أجندة خفية. وهم يتضامنون في ما بينهم حسب مصالحهم المحددة. لذا لا يوجد ثقة بأي منهم، ويجب أن يرحلوا جميعهم، ويحل محلهم أشخاص آخرون كي تصطلح الأحوال.

توقف الثورة: آثار فردية والمشكلة في اللبنانيين

أثناء الثورة كان لدي أمل في التغيير. أما الآن فالأمل لم يعد أكيدًا. قد تكون الثورة فشلت. لكنني لا أشك في أننا كسبنا شيئًا ما. أنا مثلاً اختبرت وعشت شيئًا جديدًا في الثورة. وعلى المستوى الشخصي اكتسبت ثقة

بنفسي، صرت أعلم ماذا أريد، أتابع الأحداث، ومتأكدة من أن الذين شاركوا مباشرة في التظاهرات وفي الاعتصام في الساحات، اكتسبوا أكثر مني بكثير. وقد نستطيع مع الوقت إحداث تغيير في البلد. ربما عندما يموت الكبار المخضرمون. وهؤلاء لو كان واحدهم يستتبع ابنه استتباعًا كاملًا، لن يكون ابنه مثله أو نسخة مطابقة له. وأظن أنه يلزمنا 20 سنة ليتغير هذا البلد، إن شاء الله.

في البداية كانت الثورة سلمية، وانخرط الناس فيها لتحقيق أهداف كثيرة. وعندما بدأت الاعتداءات على المتظاهرين- ولن أصنفها ما إذا كانت صحيحة أو خاطئة - حصل تغيير في نوعية المشاركين في الثورة التي اتخذت منحى اخر، بسبب أولئك الذين اختبأوا خلف أصابعهم وراحوا ينادون: كلن يعني كلن إلا هذا الزعيم أوذاك. وهذا ساعد في فشل الثورة أو في عدم فعاليتها، ومنعها من الوصول إلى هدفها الأساسي، وتضاءل المشاركون فيها. وأعتقد أن المشكلة كامنة في اللبنانيين. فمنهم من حاول متابعة الثورة، لكن الناس لم يتجاوبوا. لماذا لم يواصل الناس التظاهر بكل زخمهم في الساحات؟ لماذا لا تعود الثورة بقوتها كما في بداياتها، على الرغم من أن الأوضاع ازدادت سوءًا وتعاسة أضعافًا مضاعفة؟ وذلك على المستويات كلها: الغلاء، الاستشفاء،عدم تأمين مستلزمات العيش الأساسية كلها.

لقد التزم الناس بيوتهم، على الرغم من ذلك كله. لماذا لم يجربوا مرة ثانية وثالثة، أليس هذا الذي ساءت أوضاعه بلدهم؟! أنا مقتنعة أن المشكلة في اللبنانيين.

أعتقد أن بيئات الناس والأهل وجيل الحرب أثّروا بقوة على فئة الشباب التي تحمست كثيرًا للتغيير، واستطاعوا أن يعيدوهم إلى بيئاتهم، وأقنعوهم بالتخلي عن الثورة.

الأزمة الاقتصادية: لا ترفيه وحاجات ضرورية فقط

بما أنني طالبة في الجامعة اللبنانية لاأدفع أقساطًا جامعية. لكن الأزمة الاقتصادية غيّرت نمط حياتي. أعيش اليوم حياة مختلفة عن حياتي السابقة على الأزمة. مثل معظم الشبان والصبايا، كنت أخرج إلى المقاهي والمطاعم، وأسهر في بيروت وخارجها. كنت أتردد على مناطق البيال، الجميزة، ومار مخايل في بيروت، بمعدل 3 مرات أسبوعيًا. لكنني حاليًا لا أخرج إلى المقاهي والمطاعم أكثر من مرة واحدة كل أسبوعين. وحاولنا استبدال الأماكن التي كنا نذهب اليها بأماكن أرخص وأقل كلفة. لكن المشكلة أن معظم المطاعم والمقاهي الرخيصة أقفلت أبوابها نهائيا بسبب الأزمة.

والأزمة لم تقتصر على التقليل من السهر وارتياد المقاهي، بل أصابت احتياجاتي الشخصية التي أعجز عن تلبيتها كما في الماضي. الغلاء لم يعد يسمح لنا بالتفكير حتى في أدنى المستويات الترفيهية. نصرف فقط على احتياجاتنا الأساسية. كنت أفكر بالسفر لدراسة الماجستير في الخارج. لكن هذا أصبح مستحيلاً بعد هبوط سعر الصرف لليرة اللبنانية. ولكي أعمل في لبنان يجب أن أكون تابعة لحزب أو لزعيم، لأحظى بواسطة لنيل وظيفة ما. وهذا لم أعد أقبله قطعًا. ولا أعلم كيف سيكون مستقبلي. لقد فقدت أي تفاؤل بالمستقبل. جيلي الشاب كله تأثر بهذه الأزمة. وصرنا نتساءل كما في الماضي: لماذا نسعى لنيل الشهادات؟؟ لنعلقها على جدران بيوتنا؟!

انفجار المرفأ: فقدان الرغبة بالحياة

كان انفجار المرفأ شديد القسوة. ليس لأنني أعرف أشخاصًا تضرروا فحسب، بل لأنني شعرت أن الحياة انتهت منذ لحظة الانفجار.صرت أتساءل: لما أحيا؟! أحسست بانعدام الرغبة في استكمال حياتي. ظللت شهورًا بلا أدنى رغبة في القيام بأي عمل أو فعل. لم أعد أذهب إلى الجامعة، وعزفت عن التقدم للامتحانات. شعرت بلاجدوى كاملة! بلا جدوى هذه الدنيا كلها.

فوق الخوف والإحساس الدائم بعدم الأمان، صرنا كلما خرج أي منا نحن الأصحاب من بيته، نروح نتصل به لنطمئن عليه. صار الخوف رفيقنا الدائم. حتى الرسم، وهو هوايتي، توقفت عنه. وقبل يومين عدت أرسم قليلًا. ورسبت في الجامعة لأني لم أذهب إلى تقديم الامتحانات. منعتني من ذلك الكآبة الشديدة التي أصابتني. ولم أزر طبيبًا نفسيًا لأني منغلقة انغلاقًا شديدًا على نفسي.

لما شاركت ليومين أنا وصديقاتي وأخواتي في حملات تنظيف المناطق المتضررة بانفجار المرفأ، استعدت ذلك الشعور الذي شعرت به في بدايات ثورة 17 تشرين. أحسست بالفخر وبقوة الخفقان في قلبي. شبان وشابات من ضاحية بيروت الجنوبية، شاركوا في الحملة. لكنني شعرت أن الانفجار لم يترك سوى أثر بسيط في البيئة العامة في الضاحية، وكان أهلها يعيشون في عالمهم المنفصل. وكل حدث يوسّع الشرخ بيني وبين محيطي. وصرت مقتنعة انهم خاضعون لعملية غسيل دماغ، ولا أمل في أن يتغيروا.

كورونا: انفراد وعلاقات بيتية حميمة

وبعد هذه الأزمات جاء وباء كورونا والحجر المنزلي. وفي الحقيقة، لم يضايقني الحجر كثيرًا. فأنا أصلًا لا أحب الإكثار من العلاقات. ولا شك في أنني صرت أخالط أهلي أكثر من السابق، عندما لم يكن لدي متسع من الوقت لذلك. واختلفت علاقتي بأهلي. صرت أمكث معهم وقتًا طويلًا، ونكثر من التواصل والتحادث. علاقتي بأختي التي تصغرني بسنواتٍ أربع صارت حميمة ومتينة. صرت أعرفها أكثر، ونشأت بيننا علاقة جميلة، ونتشارك في أمور وأعمال كثيرة.

حتى الدراسة أونلاين تناسبني، خصوصًا في هذه الظروف، لأنني أحب الانفراد الذي يمنحني قدرة أكبر على التركيز.

دراسة حالة عدد 4

طالبة قواتية من كسروان والانفتاح على طرابلس وبيروت

عمري 22 سنة. ولدت وأقيم في بلدة من منطقة كسروان. تعلمت بمدرسة خاصة في جونية. وحاليا (2021) أدرس علوم سياسية في جامعة USEK، واخترتها لقربها من منطقة سكني، رغم أن وصولي إليها يستغرق حوالى 40 دقيقة في السيارة. أنا حاليًا ناشطة مع القوات اللبنانية في إدارة وتنظيم طلاب المدارس والمعاهد. أهلي محايدون ولا يهتمون بالسياسة، ويميلون إلى القوات اللبنانية. وتقربت من حزب القوات وتحمست له في أجواء مدرستي وخلاياه فيها. وكنت في طفولتي متأثرة كثيرًا بفيديوهات بشير الجميل، لكنني لست متعصبة مسيحيًا. أحببت النضال والشهداء الذين قضوا نصرة لقضية معنية، وبفضلهم لا نزال موجودين. وهذا ما جذبني إلى السياسة، إضافة إلى حشريتي واهتمامي بالقراء السياسية والتاريخ.

اختلاف بين كسروان وطرابلس

شاركت في ثورة 17 تشرين التي كانت أملنا الوحيد والأخير في لبنان. انحراطت في تلك الثورة بمبادرة فردية، وليس بسبب انتمائي الحزبي، بل إلى لبنان أولًا، وهو يغلب انتمائي الحزبي. حملت العلم اللبناني وخرجت إلى بلدة غزير لأنها المكان الأقرب إلى مكان سكني. وشاركت في التحركات في مناطق عدة: الذوق، جل الديب، طرابلس، وبيروت. وانخرطت ميدانيًا في مجموعات في الزوق وجل الديب، وفي مجموعات واتس آب عدة، وشاركت في التحركات أينما تسنى لي ذلك. أنا من أوائل من هتفوا/ن: "كلن يعني كلن". "كلن يعني كلن عالمحاسبة"، والنظيف يبقى ونضع أيدينا بيديه ونكمل، أما غير النظيف فليرحل.

في الذوق وجل الديب لم أتعرف كثيرًا على أشخاص من أجواء وبيئات مختلفة عن جوي وبيئتي. فأنا من المنطقة وأعرفهم ويعرفوني. لكن مشاركتي في طرابلس عرفتني إلى أجواء وأشخاص لم أكن أعرفهم من قبل. ولمست إلى أي مدى يتفشى القهر والجوع في تلك المدينة. لكن من عرفتهم فيها كانوا سعداء، يضحكون ويحاربون لكي يعيشوا. حتى كبار السن والأطفال منهم كانوا فرحين. كان ذلك شعور جميل جدًا. تعرفت إلى مجموعات من طرابلس، ورحنا نتبادل تجاربنا: أخبروني عن ثورتهم وأخبرتهم عن ثورتنا. كانوا منفتحين على من يأتون إلى مدينتهم من مناطق أخرى. ولفتني انفتاحهم. حتى أننا ذهبنا معًا إلى المقاهي وتناولنا الكحول وسكرنا معًا.

وتغيرت تماما فكرتي عن طرابلس وأهلها. فأنا لم أكن أعرفها قبل 17 تشرين. زرت أحياءها القديمة. وتهيأ لي أن لبنان القديم والجميل لا يزال حاضرًا فيها. وأهلها يتميزون بطيبتهم، على خلاف الصورة الشائعة عنها: مدينة إرهابية.

واليوم صرت أرى أنها من أكثر المناطق جمالًا، وفيها ناس رائعون. وفي عطلة نهاية كل أسبوع أذهب إلى طرابلس. وهذا من الأمور الجميلة في الثورة التي أتاحت التعارف والتقارب بين أناس من مناطق مختلفة. لقد فهمنا أننا نعيش في البلد نفسه ولدينا هواجس ومشاكلات متقاربة، ونعاني من الوجع نفسه، رغم اختلاف وجهات نظرنا السياسية.

في المقابل، وللأسف، لم يرحب بمجموعات طرابلس في مناطق جل الديب والذوق، حيث كان تواصل أهلهما معهم محدودًا، وهناك دائما من يرفض التقرب من مجموعات لا تشبههم. والبعض في الذوق وجل الديب كان يردد: "إذا كان هناك طرابلسيون لن ننزل إلى الشارع!". تردد هذا الموقف البشع على مواقع التواصل الاجتماعي. وفي هذا السياق أذكر حادثة: في تجمع احتجاجي أقمناه في غزير ضد موقف للنائب العوني زياد أسود، وجاءت مجموعات من الطرابلسيين للمشاركة معنا، فقال شاب من المنطقة لشاب طرابلسي: "انت شو جاي تعمل بكسروان؟!". غضبت كثيرًا آنذاك وبكيت، لإدراكي كم يحب ذاك الشاب كسروان. وبادرت مع عدد كبير من المشاركين إلى القول له: "أهلا وسهلا بك في كسروان، ولبنان للجميع".

قبل انتفاضة تشرين لم تتح لنا فرص التلاقي والتعارف والتقارب. اكتشفنا تنوعنا المناطقي والثقافي والطائفي، وحتى تنوعنا السياسي لا يقيم حاجزًا بيننا، أو أن الانتفاضة هي التي مكنتنا من كسر تلك الحواجز. وأظن أن شعور أهالي جل الديب والذوق وكسروان عمومًا باختلافهم عن أهل طرابلس، مصدره طبقي - اجتماعي، وفرض على الطرفين أن يكونا على ما هم عليه. لكن عندما نغير الواقع الاجتماعي للطرابلسيين سوف يتغيروا. أنا شخصيا رأيت أنهم أشخاص يتمتعون كثيرًا بطيبة القلب. وهم "أكثر ناس آكلين الضرب، لأنهم كتير مناح وطيبين". لذا أكن لهم كل الاحترام. وليساعدهم الله في هذه الظروف الصعبة التي نعيشها.

بيروت الاختلاط الطائفي

أما بيروت فأجواؤها مختلفة تماما عن أجواء طرابلس. ففي بيروت ثقافة أخرى وعالم آخر، وفيها أناس من أشكال وألوان كثيرة، سياسية واجتماعية، لكن انتفاضة تشرين جمعتهم. وعندما كنا نتجمع متظاهرين محاولين اقتحام مبنى مجلس النواب، كان المتظاهرون يشبكون أيديهم ويواجهون رجال شرطته ويركضون معًا وقلبًا واحدًا، من دون أن يعرف أحدهم الآخر. وهذا من مصادر غبطتي في الثورة، وكذلك تعرفي إلى أشخاص من الطائفة السنية، وإلى آخرين شيعة من صور، ونشأ بيننا تقارب ونشأت علاقات، ولم نعد نتحدث ولا ينظر كل منا إلى الآخر حسب منطق طائفي.

ومن ما أدهشني في ساحات بيروت، أنني عندما صعدت مرة في رافعة كميون لنرى المظاهرات من الأعلى، ووجدتني مصادفة إلى جانب أشخاص لا أعرفهم، وكانوا من مناطق وطوائف متباينة: سنة وشيعية ومسيحيون ودروز. ولما انتبهنا إلى هذه المصادفة، لم نتوقف عن الضحك قائلين إننا الآن في رافعة الوحدة الوطنية. لم أتوقع من قبل أن يحدث مثل ذلك: أشخاص من 4 ديانات/طوائف متباينة يستغرقون في الضحك والمزاح. كان هذا جديد علي.

وتعرفت كذلك إلى مجموعات من الحزب الشيوعي الذي لم أكن أعرف عنه الكتير. كانت لدى فكرة ما غائمة عن مجموعات يسارية وشيوعية، لكنني لم أكن أعرف بالظبط من هم وأين يقيمون وينشطون. كنت أعتقد أن حضورهم يقتصر على منطقة الجنوب. ودهشت عندما علمت أنهم منتشرون في مناطق لبنانية كثيرة. وبدأت أقرأ عنهم لأتعرف أكثر إليهم. صحيح أننا مختلفون، لكنني بدأت أقتنع أن اختلافنا جميل ومفيد. وعندما كنا نلتقي بهم في الساحات، لم نكن نتحادث في السياسة، لأنهم لا يتقبلون القوات اللبنانية. لكننا استطعنا أن نخطط معًا لتحركات مشاريع ميدانية وننفذها، من دون أن نخوض في نقاشات سياسية، لأن هدفنا كان مشتركًا، وهو التغيير.

وشاركت في حوارات كثيرة: في الزوق، وساحة رياض الصلح في بيروت، وفي طرابلس. وكانت موضوعات الحوار متباينة. في الزوق نتكلم في شؤون تختلف عن تلك التي نطرحها في بيروت، وفي طرابلس نطرح مسائل لم نكن نتطرق إليها لا في الزوق ولا في بيروت. لكن كلمة واحدة كانت تجمع بيننا وتوحدنا دايمًا: نريد لبنان بلدًا جميلًا. وهذا ما بيّن لي إلى أي مدى نمتلك نحن الشباب القدرة على الحوار في ما بيننا، من دون شجارات ولا تشاتم. وكانت جميلة جلسات الحوار في الخيم وقربها في الساحات. وكم تمنيت لو استمرت وشارك فيها عدد كبير من الناس: "كتير حلوين النقاشات، يا ريت كملوا ووصلوا لأكبر عدد من الناس".

ورأيت في ساحات الثورة في بيروت مجموعات متباينة: النسوية، والمثلية، على سبيل المثال. وكان حضور المجموعات المثلية يقتصر على ساحات بيروت، ولم أتعرف على أحد منهم. وأنا بصراحة لست قريبة منهم، لكن لم يزعجني حضورهم، ومن حقهم المشاركة في أي نشاط، لان حرية التعبير أساسية ومتاحة للجميع. لكنني لم أتعرف على مثليين/ات. وكان واضحًا حضور النساء. والثورة سمحت لنا نحن النساء بأن نثبت دورنا وفاعليته. وكانت مشاهد حضور الأمهات لافتة وقلبت المعادلة. فالأم وجدت نفسها في الصفوف الأمامية لتؤازر ابنها وتحميه من قوى الأمن والجيش. وهناك حوادث كثيرة أثبتت أهمية دور المرأة اللبنانية وشجاعتها في الساحات.

لماذا فشلت الانتفاضة؟

أنا قبل ثورة 17 تشرين لست كما بعدها. ففيها تعرفت إلى أناس من الأديان والطوائف كلها، ومعًا تظاهرنا في الشوارع وتحادثنا في همومنا مشاكلنا. وعندما توحدنا خافت السلطة الحاكمة، وفعلت كل ما في وسعها لزرع الشقاق الطائفي بيننا، كي يعود كل منا إلى طائفته، فتفشل الثورة. وعندما قلنا إننا لا نريد سلاح حزب الله غير الشرعي قاموا علينا. وهو حزب تقوم سياساته في شطر أساسي منها على ضرب علاقات لبنان بالدول الأخرى، فعزفت تلك الدول عن تقديم مساعدات لنا، فأصبح لبنان مثل العراق واليمن.

في البداية كانت الثورة لكل الناس، ومع مرور الوقت بدأ اشخاص مدسوسون يتحركون في الساحات ويزرعون الشقاق بين المتظاهرين. وهذا ما أدى إلى تغيير وجهة الثورة. وظهر أن الحقد الطائفي عميق بين الناس، وليس كما نتصور زواله بمجرد تلاقينا وتظاهرنا في الشوارع والساحات، كأننا لم نكن نرى "أبعد من أنوفنا"، ولا مقدرة الفئة المتحكمة بالسلطة. وهذا ما أفشل الانتفاضة.

وتعرضت أحيانا لبعض المشاكسات والمضايقات في الساحات. فعندما كانوا يعلمون أنني مسيحية مارونية ومن الزوق، يرحون يرددون: "يعني أنتِ مع سمير جعجع الصهيوني". وكانوا يحكمون علي بمجرد أن يعرفوا ديني ومن أي منطقة أتيت، فيزعجني ذلك. أنا لبنانية أولًا وليس منطقيًا أن يحكموا علي لدى معرفتهم دياينتي ومن أي منطقة أنا! ففي الساحات لم أكن أنكر أنني من القوات اللبنانية، وأقول دائمًا إنني لبنانية ولبنان أولويتي. ونحن في القوات مطالبنا في البرلمان هي إياها مطالب الثورة. لكنني لم أكن أستفز حين يشتم أحدهم القوات في المظاهرات. وأتفهم أننا مختلفين سياسا، ولكل منا وجهة نظره المختلفة. كنت دائمًا أحادثهم باحترام لنصل إلى حوار بناء، حتى ولو لم يقتنع محاوري برأيي الحزبي، فقد يغير أقله نظرته إلي، وينظر إلي كانسان. وكنت دائما أوضح للناس إمكان أن نكون جبهة واحدة معارضة، من قوات وكتائب وسواهما من الأحزاب الأخرى المعارضة للسلطة. فوحدتنا حول هدف محدد تمكننا من إيصال صوتنا، ويمكننا تغيير هذه المنظومة الحاكمة. وانتمائي إلى القوات اللبنانية، لا يجعل سمير جعجع بالضرورة القائد

الوحيد الذي أؤيده. فأنا لا أتبع شخصًا معينًا، بل أنتمي إلى حزب وليس إلى شخص، والحزب أكبر من الأشخاص.

انفتاح على الآخر والمناطق

غيرت انتفاضة 17 تشرين حياتي على المستوى الشخصي. لم أعد أحترام السياسيين، وكذلك الأشخاص الذين لديهم مناصب في الدولة. صرت أمتلك الجرأة على نقد التصرفات غير القانونية. وتغيرت كثيرًا نظرتي إلى الناس، فلم أعد أصنفهم حسب أديانهم وانتماءاتهم الحزبية والمناطقية. فما صار يهمني هو وجع الناس وأهدافهم وماذا يريدون أن يغيروا.

ولم يتزعزع انتمائي السياسي، لكنني نضجت وتبدلت رؤيتي للأمور. ولم يعد اختياري من يمثلني يتقيد باعتبارات عاطفية. وصرت أقول في أوساطي الحزبية إنني في الانتخابات المقبلة لن أنتخب نائبًا لأنه ينتمي إلى القوات اللبنانية فحسب. فإذا تقاطعت طموحاتي كامرأة مع نائب من المجتمع المدني سوف أنتخبه. لن أنتخب أحدًا بناءً على انتمائه الحزبي. وفي حزبي صرت مشاغبة ودائما أناقش وأجادل للوصول إلى معرفه أفضل وأوسع.

لم يعد يخيفني الآخر. وبدأت أذهب إلى بيروت بلا خوف من أن أتعرض للسرقة أو الخطف. بل على العكس أصبحت أشعر بالأمان عندما أزور مناطق أخرى. لم أعد أخاف عندما أذهب إلى طرابلس، لانني لست في منطقتي. أصبحت طرابلس مكانًا قريبًا، حتى أنني احتفلت بعيد ميلادي الأخير هناك، تعبيرًا عن حبي لهذه المدينة: "طرابلس صارت متل الجنة على الأرض بناسها وأهلها وتراثها وتاريخها. وصرت بين وقت وآخر أذهب إليها فأصور ساحة النور اشتياقًا لها".

قبل الثورة كانت حركتي محدودة بين جونية والزوق. وعندما كنت أريد الذهاب إلى مكان بعيد، لم أكن أتجرأ على الذهاب بمفردي، بل برفقة أهلي. الآن أذهب بسيارتي إلى حيث أريد في لبنان، لأن نظرتي إلى البلد وناسه تغيرت. هذا ما فعلته الثورة.

العمل السياسي في الجامعة

في الجامعة ليس لدينا انتخابات، والعمل الحزبي ممنوع. أنا لم أتعرف على جو الجامعة إلا منذ أيام الثورة تقريبا، في سنتي الدراسية الثانية. وفي انتفاضة تشرين رفضت إدارة الجامعة تعليق الدروس، وأرادت المضي في الامتحانات. وأعتقد أن الإدارة كانت تميل للعونيين. ونحن الطلاب بدأنا ثورتنا من أمام باب الجامعة، ومنعنا الطلاب من الدخول إليها. وكقواتيين/ات تحالفنا من مجموعات وأحزاب أخرى ضد السلطة وشكلنا جبهة معًا، ونجحنا في إقفال الجامعة لعشرة أيام تقريبا، وتمكنا من تاجيل الامتحانات.

وفي السنة الدراسية (2020 - 2021) صرت مسؤولة عن خلية طلاب القوات في الجامعة، نظرًا لمشاركتي في العمل الحزبي من قبل، ولأن الطلاب يعرفونني. ولم يكن النشاط السياسي علنيًا في جامعتنا. والخلايا النائمة فيها سرية، وليس من هيئات انتخابات طلابية. لكنني أعتقد أن التيار والقوات كانوا مهيمنين قبل 17 تشرين. واختلفت الأمور في هذه السنة. القوات ما زالوا يحافظون على حجمهم، وانخفض عدد العونيين لصالح النادي العلماني الذي نشأ في جامعتنا.

ولخليتنا القواتية الطلابية مندوبين في الإدارة، وهم ويزودوننا بقائمة الطلاب الجدد، فنتواصل معهم جميعًا،

بصرف النظر عن انتمائهم السياسي. ونزودهم أسئلة الامتحانات السابقة في مواد معينة، بهدف مساعدتهم. وليس هدفنا تنظيمهم وضمهم إلى حزبنا، بل لإشعارهم بأن في الجامعة أشخاصًا قادرون على مساعدتهم ويمكنهم الرجوع اليهم في حال اعترضتهم مشكلة ما في حياتهم الجامعية. ونركز في عملنا على الخدمات أكثر من ما على السياسة. وقبل امتحانات الدخول ننظم مجموعات واتس آب ونرسل للطلاب أسئلة امتحانات السنة الماضية، ونساعدهم في تقديم طلباتهم للحصول على منح دراسية، وفي تحضير المستندات اللازمة.

وبعد 17 تشرين تأسس النادي العلماني في جامعتنا، ورئيسه كان مقربًا من القوات. وأنا لا مشكلة لدي مع العلمانية. ونحن فخورون بمن أسس النادي لأننا حزب منفتح. والطلاب الذين انضموا إلى النادي العلماني فئتان: غير الحزبيين، والمترددون أو الحائرون في انتماءاتهم الحزبية ويتعاطفون مع حزب ما بسبب انتماء أهلهم ومحيطهم. وبعد ثورة تشرين أعاد شطر من الراغبين في التغيير التفكير في انتماءاتهم، واهتدوا إلى ما يريدنه فعلا. أنا أحترم هؤلاء الأشخاص الذين عثروا على التوجه الذي يريدونه. فنحن لسنا أشجارًا لنظل منغرسين في المكان نفسه. ولأننا بشر علينا التحرك دائمًا إلى المكان الذي نجد فيه أنفسنا. يمكن مثلا أن أجد نفسي بعيدة من القوات بعد 5 سنوات. وهذا لا يعني أنني أصبحت بلا مبدأ أو بلا قرار، بل أكون قد تطورت وتغيرت أفكاري. وهذا ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات.

الأزمة الاقتصادية: الاكتئاب والهجرة أفق وحيد

شكلت الأزمة الاقتصادية ضربة قاسية لي وخيبة أمل. كانت أوضاعنا جيدة قبل الانهيار الاقتصادي. أبي يعمل موظفًا في شركة، وأمي لا تعمل. أما أنا فأعمل منذ 4 سنوات، منذ الثامنة عشرة من عمري. وقررت أن أعمل لأكون مسؤولة عن نفسي. رفض أهلي في البداية انخراطي في العمل باكرًا، لكنني عاندتهم وتحديتهم وبدأت أعمل. وحصلت على ترقيات سريعة، فبدأت أرسم أحلاماً وأخطط للمستقبل. أنجزت أمورًا كثيرة، واستطعت مساعدة أهلي من دون أن يطلبوا مني. واشتريت سيارة بالتقسيط. وفجأة أقفلت الشركة التي أعمل فيها نتيجة الأزمة الاقتصادية، فأصبت لمدة باكتئاب، لكنني تجاوزته الآن، لأن الحياة لا تتوقف. وكان ردي الأول والسريع على الأزمة: "خلص بدي فل"، أريد الرحيل. لقد شعرت أن الإطار الحميم الذي شيدته لنفسي انهار وتعرض للتدمير. لا أدري كيف أفسر ذلك الشعور. كانت صدمتي قوية، وخاب أملي بلبنان.

في السابق لم أفكر مطلقا بالسفر والرحيل. منذ صغري أحببت الكتابة. كتبت كثيرًا عن البقاء في الوطن، ولبنان يعني لي الكثير وأحب العيش فيه. لم أفكر يومًا بالهجرة. وشاركت في الثورة كي أستطيع البقاء هنا فلا أغادر. في الماضي كان خيار السفر مفتوحًا أمامي، لكنني لم أرغب في ذلك، بالرغم من تشجيع أقاربي المهاجرين ومحاولتهم إقناعي بأن أبني مستقبلي خارج لبنان. لم أكن أشعر بأنني أستطيع العيش في الغربة ما دام لدي وطن. كنت دائما أعارض كل شخص يغادر البلاد. أما الآن، وبعد ما حدث، فكل شيء تغير. وفي الحقيقة لا رغبة لدي في السفر. لكنهم لم يتركوا لنا الخيار. فإذا سافرت وعملت في الخارج أستطيع مساعدة أهلي أكثر من ما لو بقيت هنا.

أنا أحضر نفسي للسفر قريبا. فالشركة التي أعمل فيها أقفلت نهائيا في لبنان. وهذا سبب لي خيبة أمل كبيرة. لقد شاركت في الثورة لأؤمن مستقبلًا كريمًا لي ولأولادي، ولكن للأسف انتصرت السلطة علينا. غير أننا لن نتركهم ينتصرون. سوف نعود قريبا، أنا متأكدة من ذلك.

سمحت لي الجامعة بمتابعة دراستي أونلاين. وإذا تعثرت أموري كثيرًا بعد مغادرتي لبنان، أعود. سأحاول

قدر مستطاعي التوفيق بين عملي ودراستي. لكنني أشعر الآن بالضياع التام والخيبة، كأنني مشردة. أحيانا ينتابني الخوف من أن أكون قد تسرعت في قراري. أخاف أن تكون خطوتي ناقصة، فأهوي. لكن ليس لدي خيارات أخرى وعلي أن قوم بهذه الخطوة مهما كلفني الأمر. يجب أن أساعد أهلي. وهذا أمر أساسي. وكل ما أقوم به لمصلحة أهلي لن يذهب سدى.

انفجار المرفأ: الصدمة والغضب

يصعب علي جدًا الكلام عن انفجار المرفأ. كل شيء تغير بعد الانفجار، ولا يمكن أن يكون ما قبل 4 آب كما بعده. لقد هوت كل عروش السلطة بعد الانفجار.

في صباح 5 آب الباكر كنت في المناطق المتضررة. من الصعب وصف المشاهد التي رأيتها. مشاهد قاسية ومبكية جدًا. وذهبت يوميًا إلى هناك، ورحت أجالس كبار السن الذين دمرت بيوتهم، محاولة مواساتهم ومحادثتهم لبعث طاقة إيجابية في نفوسهم. لم أكن أعي بأنني أسبب الضرر لنفسي بهذا السلوك. كنت لا أزال في خضم الصدمة، ولا أعي تمامًا ما الذي حدث. كنا ندور على الأحياء المهدمة، ننظف البيوت ونسد الشبابيك المحطمة بالنايلون. وبعد 10 أيام عدت إلى منزلي مدمرة نفسيًا. إحساس بالذنب تشبث بي رغم أن لا علاقة لي بالانفجار، ولست أنا من تسبب به. توقفت عن تناول الطعام. لم أقو على ذلك مادام هناك أشخاص مفقودون. ولم أعد قادرة على تحمل رؤية أشخاص فرحين. حذفت من لائحة أصدقائي في وسائط التواصل الاجتماعي أشخاصًا يواصلون السهر والحياة الترفيهية. لم أستطع تحمل من يكملون حياتهم وكأن شيئًا لم يكن. وكان رد فعلي عليهم عنيفًا. وكذلك حيال حزب القوات اللبنانية. وكتبت على صفحتي في الفيس بوك: "يلي عارف مصيبة ويلي مش عارف مصيبة أكبر". انزعج مني الرفاق. لكنني ما زلت على رأيي هذا. وقلت لهم: "أنا انتخبت حزب القوات اللبنانية مش لحتى ياخد دور الجارة التي لا تعلم. فدور الجارة أن تعرف جارتها وين راحت وين إجت". وتلقيت توضيحًا من القوات. قالوا إنه لم يكن يحق لهم الدخول إلى المرفأ وهناك جهات تسيطر عليه.

وبعد الانفجار صرت أستصعب التواصل مع المنتمين إلى التيار الوطني الحر. كان يمكنني التحاور مع بعض العونيين الذين أعرفهم ولديهم منطق ما في الحوار، رغم عدم وصول حوارنا إلى أي نقاط مشتركة. لكن هناك آخرون ازدادوا تشبثًا برايهم: يتشبثون بالتيار ورأيه لإن الجميع ضده. وهؤلاء يستفزونني. وقد يتغير إحساسي تجاههم في ما بعد. لكن الآن وفي ظل هذه الأوضاع الراهنة من الصعب تقبلهم. ليس في وسعهم العيش في كوكب آخر، فيما مصيبتنا واحدة، وهم كانوا في وزارة الطاقة وسواها من الوزارات، والحكم في يدهم تقريبًا.

وبعد انفجار المرفأ والحوادث المتتالية راح وضعي النفسي يسوء أكثر فأكثر، فاصطحبني أهلي إلى طبيبة نفسية. ومن ثم مكثت طوال أسبوع في الأرز بلا هاتفي، فلم أتصل بأحد ولا تابعت الأحداث. الآن وضعي صار أفضل، وتجاوزت الصدمة. لكنني كلما ذهبت إلى بيروت أستعيد تلك الصدمة، وأشعر بغصة لأن مدينتنا دمرت. دمرت بيروت بعدما بدأت أتعرف إلى شوراعها ومقاهيها وأحيائها. دمرت بعدما بدأت اقترب منها وأحبها. للأسف "ما لحقت أعمل فيها ذكريات كثيرة".

كورونا والحجر: قرب من الأهل والأرض

وأثر الحجر سلبًا وكثيرًا علي في بدايته، بسبب تفشي فيروس كورونا، لأنني كنت دائما ناشطة اجتماعيًا، وأشارك في نشاطات مختلفة. فجأة بدأ الحجر، وكان علينا أن نبقى في البيت. حاولت قد الإمكان الاستفادة من الحجر بطريقة إيجابية. بالرغم من أنني كنت على قرب من أهلي، جعلني أكثر قربا، وخصوصًا عندما جلبنا أبقارًا وماعز إلى الحديقة وقررنا تربيتها. سمح لنا الحجر الاهتمام بأمور لم يكن لدينا الوقت للقيام بها في الأحوال الطبيعية. وساعدت أبي في زراعة الحديقة التي لم تكن تنبت فيها سوى الحشائش البرية منذ 21 سنة، فغرسنا فيها شتول البندورة والخيار والنعناع. هذا ما ساعدني في أن أكون إيجابية. وقربني الحجر من أهلي ومن نفسي أكثر من ذي قبل. وحاولنا قدر الإمكان أن نفكر إيجابيًا بالحياة. لكنني أصبت بكورونا وعزلت نفسي في بيت جدتي المهجور.

أما في ما يتعلق بالدراسة عن بعد، فهناك سلبيات كثيرة. فقدت التواصل والتفاعل مع الأصحاب، وغاب التفاعل مع الأساتذة. والتركيز أثناء الدروس كان صعبًا للغاية: صوت وصورة يصلانا عبر شاشة الكمبيوتر، وكأننا نعيش وهميًا. كنت أقوم بجهد مضاعف لأتمكن من المتابعة. ولا شك في أن إدارة الجامعة والأساتذة كانوا يضعون جهدًا إضافيًا لمساعدتنا. لكن الامتحانات النهائية كانت غير عادلة. لم تكن سهلة أبدًا، ولم يأخذوا في الاعتبار الأوضاع التي نمر بها.

ومن مميزات الدراسة عن بعد أنها تتيح تسجيل الدروس وتسمح بإعادتها مرات في أوقات مختلفة. وهي ساهمت بتخفيف مصاريف النقل والأكل والشراب في الخارج. لكن الجامعة لم تخفف من أقساطها، بل بقينا نتكبد كلفة موقف السيارات، بالرغم من عدم ذهابنا إلى الجامعة.

ولا شك في أنني خسرت شيئًا من الحياة والحيوية في أوقات الحجر، لكنني أشعر بأنني كبرت عشر سنوات في سنة واحدة. ولم نخرج من الأزمة بعد لنحدد آثارها الفعلية علينا. لكن من المؤكد أن مسؤولية كبيرة ألقيت علينا نحن الجيل الشباب. وهي مسؤولية لم يكن من المفترض أن نتحمل أعباءها في هذا العمر.

لقد أثرت علينا هذه الحقبة سلبًا وإيجابًا في النواحي كلها. ومن المؤكد أنني تغيرت كثيرا، ولا يمكنني بعد أن أحدد تماما ماهية هذا التغير، لأننا لانزال في خضم الأزمة، ولم يتسن لي بعد لمس النتائج والآثار الفعلية. من المؤكد أن الأزمة الاقتصادية وانفجار المرفأ أثرا علينا سلبًا. لكن في المقابل زاد وعيي وانفتاحي وتقبلي للآخرين. وبدأت أحب الأرض والطبيعة أكثر من ذي قبل. وصرت أقرب إلى عائلتي، وصرت أقدر على تحمل مسؤولية كبيرة. وأعتقد أننا سنكون جيل أقوى في المستقبل، ونخبر أولادنا بما عشناه. وإن شاء الله سنستمر.

دراسة حالة عدد 5

طالب في جامعة الروح القدس بالكسليك، يساهم في تأسيس النادي العلماني

ولدت في جبيل سنة 1999 وأدرس الهندسة الكيميائية في "جامعة الروح القدس" في الكسليك، وأقيم في جبيل.

بين "القوات اللبنانية و"التيار العوني"

عائلتي منقسمة بين انتماءين: تميل أمي وعائلتها إلى ميشال عون وتياره، وعائلة أبي تميل إلى "القوات اللبنانية". لكن ميل والدي تلاشى عما كان عليه من قبل، رغم أنه قاتل في الحرب في صفوف "القوات"، وعمي من شهدائها. أما عائلة أمي فلا تزال مقربة من العونيين، وبعض أفرادها على تواصل مباشر مع ميشال عون.

قبل 17 تشرين الأول 2019 لم أمل يومًا إلى أي من الأحزاب، ولا إلى فكرة سياسية محددة أو نشاط سياسي. وكنت أدرك أن "حزب الله" خرب لبنان، ويعوّق صيرورته بلدًا طبيعيًا أو عاديًا، ولديه أجندة يدفع لبنان ثمنها. وربما حملني إدراكي ذاك على أن أكون أقرب إلى أجواء أبي السياسية، مني إلى أجواء أمي. لكن مبادرة سمير جعجع إلى ترشيح ميشال عون لرئاسة الجمهورية، أرتني أن السياسيين جميعًا متشابهون، مهما تباينت أحجام فسادهم. ولو أن "القوات اللبنانية" مسلحة اليوم، لما كانت مختلفة عن "حزب الله"، ولحملني كراهيتي إياه على كراهية صنوه وشبيهه، أي "القوات اللبنانية".

ولم أشعر مرة بأن هناك سياسة صحيحة أو حقيقية في لبنان. فأهل السياسة عندنا أشخاص يعملون لمصالحهم الخاصة، ويعزفون دائمًا على الوتر الطائفي وشيطنة الآخرين، وما من مرة بنتقد موالي الزعماء زعماءهم وأحزابهم.

الحرب والانتماءات لبّ السياسة

وميول أبي وأمي السياسية لم تحرمني وأختي من حرية الاختيار. فهما كانا يقولان لنا: اختارا ما تريدان. وقليلًا ما تكون حواراتنا معهما منتجة، رغم تضاؤل تبعية أمي لعائلتها الموالية لـ "التيار العوني"، وتزايد تبعيتها لأبي أخيرًا. لا أرغب في الحديث عن تجربة والدي مقاتلًا قواتيًا في الحرب، بل أتحسَّس من ذلك. فهو عاش صدمة الحرب، وخسر أخاه وشبابه فيها. ولربما من حقه أن يظل مقيمًا على موقفه السياسي.

ومن أشاهدهم على شاشات التلفزيون، ورشحتهم "القوات" للانتخابات النيابية، يعرفهم والدي وشاركهم الخبز والملح والدم. لذا لا أحب مجادلته في مواقفه، وكأنني أقول له: تضحياتك لا قيمة لها. فهذا يجرحه، وهو أبي وأحبه. وعلى الرغم من أننا في أسرتنا نتحاور كثيرًا في هذه الأيام، فإن حواراتنا تظل سطحية أو عمومية ولا تذهب إلى العمق. فلما انهارت العملة اللبنانية والمصارف، تجنبنا الحوار في ما فعله عون وجعجع ومسؤليتهما في ما حدث ويحدث.

تعودت على أن أقيم مسافة بين السياسة والصداقات. فالتباين في المواقف السياسية يجب ألا يفضي إلى العداوات الشخصية. لكن تجربتي بينت لي أن المنتمين سياسيًا يفعلون ذلك عن عاطفة. وغالبًا ما يتحدثون عن ما حدث في الحرب، وعن التضحيات في الحرب. ونادرًا ما نسمع أحدًا يتحدث عن برامج سياسية وانتخابية وعن مشاريع عامة مفيدة للبلد. وعلى الرغم من اختلاف وجهة نظري عن محيطي، ما من مرة تحادثت مع أحد فيها. فأصدقائي في المدرسة، أولئك الذين امتدت صلتي بهم إلى جارج المدرسة، لم تكن أحاديثنا تتجاوز الشؤون المدرسية. وطوال سنواتي الثلاث في الجامعة، كنت على صلة بزملاء كثيرين متطرفين مسيحيًا، من دون أن تتجاوز أحاديثنا الشؤون الجامعية. وأستطيع القول أنني شخص مقبل على إنشاء علاقات مع الآخرين، منفتح ومتسامح وأسلك سلوكًا حسنًا معهم، من دون التطرق إلى الاختلافات بيني وبينهم، بل أركز على المسائل المشتركة بيننا. لذا لم أشعر مرة بخيبة أمل في علاقاتي، إلا عندما رحت أقرأ التعليقات في فايسبوك، فانتبهت إلى أن بلدنا، الناس في بلدنا، في حاجة إلى الكثير من الاختبارات والتجارب الطويلة كي يسلكوا ويتصرفوا بناءً على أنهم يعيشون في بلد طبيعي أو عادي.

حماس للثورة ومشاركة ضئيلة فيها

أيّدت ثورة 17 تشرين فكريًا أكثر بكثير من مشاركتي فيها. منعني من المشاركة الفعلية عملي الحر وتخصصي الجامعي الذي يحتاج وقتًا ومتابعة، إضافة إلى ضرورة تحصيلي علامات عالية، كي أحافظ على منحتي الجامعية. لذا لم أستطع من الانخراط كسواي في الثورة.

يحاذي منزلنا في جبيل الطريق الذي سارت فيه تظاهرات بعد انطلاق حراك 17 تشرين، فشاركت في تلك التظاهرات مرات ثلاث، حذرًا في البداية ولـ 10 - 15 دقيقة. كنت مؤيدًا للحراك، لكنني لم أكن أشعر أنه يجذبني على نحو فردي أو شخصي. ربما لأنني لم أكن أشعر بالأزمة الفعلية التي يتخبط فيها البلد، وأقول إننا نعيش مكتفين في أسرتي، ولست في حاجة لأحد من السياسيين والزعماء. فأنا تعودت على أشتغل على نفسي، وأحسب أن السياسيين لا يؤثرون مباشرة على حياتنا الشخصية. وأثناء تعطيل تشكيل الحكومات وانتخاب رئيس للجمهورية، انتبهت إلى أن وجود رئيس جمهورية أو عدم وجوده سيان، ويؤديان إلى

النتيجة نفسها. وكنت أفكر أن السياسيين يسعون لمصالحهم الشخصية ويصلون إليها، وهناك من يشجعهم ويؤيدهم. والفساد متفش منذ 40 سنة. وأقول ما لي ولهم، ولن أنشغل بهذه السلبيات، وأنشئ علاقاتي على قاعدة ما أتفق عليه مع الآخرين من أفكار، متجنبًا ما نختلف فيه. ونحن ثقافتنا في لبنان مبنية على السكوت عن أوجاعنا، وغالبًا ما نقول: غدًا سيكون أفضل من اليوم.

لكنني بعد انفجار المرفأ انتبهت في 17 تشرين إلى أن الناس بدأوا يعبرون علنًا عن أوجاعهم، فتأثرتُ بذلك وشاركت في التظاهر. وهم عبروا عما تراكم في حياتهم منذ زمن طويل. وقلتُ أنا كذلك لن أظل ساكتًا، وأكتم ما في قلبي. والمحتجون يريدون فعلًا إصلاح البلد. ولربما أنا غلّبت مصلحتي الخاصة، فلم أشارك كما يجب وأحب في الثورة. لكنني شعرت أيضًا أن واجباتي تجاه أهلي أكبر بكثير من واجباتي تجاه بلدي. وقد أكون أنانيًا في هذا. لكنني أحسست أن وجودي في الثورة لا يُحدث فرقًا، لأن المتظاهرين كفوا ووفوا. وتأخري في دراستي يؤثر بقوة في أوضاع أهلي. لذا اكتفيت بدور تشجيع من أعرفهم على المشاركة في التظاهر. ولم أعزف عن المشاركة كي لا أُغضب أمي وأبي وأزعجهما نتيجة انتمائهما السياسي.

وقبل 17 تشرين كنا نعلم أن السياسيين يكذبون علينا ويسخرون منا، لكننا لم نكن نشعر مباشرة أنهم يؤذوننا. كنت أدرك صعوبة إيجاد عمل أو وظيفة بعد تخرجي من الجامعة، لكنني كنت موقنًا من مقدرتي على السفر إلى الخارج ومن إيجاد وظيفة هناك. أما الأن فصار السفر ومتابعة الدراسة في الخارج يقتصران على النخبة، وكذلك الدخول إلى الجامعات الخاصة في لبنان. وانفجار المرفأ كان أثره كبيرًا على الناس جميعًا. فما حدث في 4 آب أثبت أن ما قيل في 17 تشرين كان صحيحًا. والانتصارات التي حققتها الثورة، رغم ضآلتها - كتوقيف تنفيذ سد بسري مثلًا - زادت حماستي لها. وعندما ظهر انهيار الوضع المالي ازداد وعيي، وانعكس سوء الوضع الاقتصادي على أسرتنا. وكنت قُبلت في جامعات مهمة في الخارج، لكن الأزمة الاقتصادية منعتني من السفر.

أحزاب للخدمات في الجامعة

تمنع إدارة أو نظام "جامعة الروح القدس" الطلاب من النشاط السياسي، وتقتصر السياسة بين طلابها على نشاط الحزبين ("القوات اللبنانية" و"التيار العوني")، فينشطون علنًا تحت رايات أحزبهم: كل منهم يشكل مجموعة من انصاره ويمنحها اسمًا خاصًا. والقواتيون مثلًا، سموا مجموعتهم "النخبة". وحاول العونيون جذب عدد كبير من الطلاب بطرق مختلفة: يقيمون حفلة في رأس السنة، يساعدون الطلاب في امتحاناتهم، ويوزعون عليهم أسئلة امتحانات السنة الماضية مع الإجابات عليها. وينتسب طلاب كثيرون إلى هذه المجموعات، بلا قناعة بتوجهاتها، بل لما تقدمه من خدمات. أما إدارة الجامعة فتتساهل مع تلك النشاطات،

ما دامت لا تؤذيها أو تضر بها، ولا تطلق تحركات مطلبية من إدارتها، أو تضغط عليها لتتخذ مواقف معينة. وأرى أن إدارة الجامعة لا تهمها السياسة، ما دامت قادرة على اتخاذ قراراتها وإنقاذها، في غياب أي جسم طلابي يعارضها.

المستقلون و"النادي العلماني" في "الروح القدس"

في منتصف العام الدراسي 2019 - 2020 ظهرت مجموعة الطلاب المستقلين في "جامعة الكسليك"، كأثر لحراك 17 تشرين. وكان في المجموعة طالب بارز جدًا على صعيد الجامعة (تخرج السنة الماضية)، وفي حراك 17 تشرين. وهو من بادر إلى إنشاء مجموعة من الطلاب عبر واتس آب، بعد تعرفه أليهم أثناء تظاهرة صغيرة على مدخل الجامعة اعتراضًا على إصرار إدارتها على التدريس وإجراء امتحانات منتصف السنة الدراسية، على الرغم من إقفال الطرق لأيام كثيرة أثناء الثورة. وسمت المجموعة الناشئة نفسها: "طلاب USEK المستقلين" (الحروف الأجنبية اختصار لاسم "جامعة الروح القددس - الكسليك" بالفرنسية). وأنشأت المجموعة صفحة لها على أنستاغرام. وأخذ الطلاب يتابعونها ويسألون عن المجموعة التي صرت من أعضائها لما بلغ عددهم عشرين طالبًا.

ونحن الطلاب المستقلون قمنا بنشاط "كتير حلو"، فتوزعنا على مجموعات حسب مهاراتنا: واحدة للتصميم الغرافيكي لصفحات المجموعة على وسائط التواصل، لإن المواقع والصفحات فيها مهمة جدًا، وتجذب متابعين. وممن لديهم أفكار سياسية تشكلت لجنة سياسية تهتم بالبيانات. لكننا لم نجر انتحابات، لأن عددنا صغير، والتعارف بيننا ضئيل. وتواصلنا مع "شبكة مدى" التي تضم مجموعات طلابية في كثرة من جامعات لبنان، فساعدتنا في التنظيم. ولبنان بلد يسهل تعارف الناس فيه، ويساعد في التشبيك. والطالب الناشط بقوة في الثورة، كان على تواصل بمجموعات كتيرة على واتس آب. ومتابعو صفحات "النادي العلماني" الناشط بقوة في "مدى" في كل من الجامعة "اليسوعية" و"الأميركية"، عددهم كبير جدًا على وسائل التواصل.

وأوصلتني تجربتي المحدودة في 17 تشرين وفي مجموعة الطلاب المستقلين في جامعتي إلى الشروع في إنشاء "النادي العلماني" المستقل في الجامعة. ولأن إدارتها تمنع طلابها من النشاط السياسي وتأسيس نواد فيها، منعتنا من نسبة نادينا إليها، فسميناه "النادي العلماني في الكسليك". وبلغ عدد أعضائه حوالى 70 طالبًا. والعلمانية تعني فصل الدين عن الدولة. ونحن في نادينا وجامعتنا لم نعثر بعد على هوية سياسية تناسبنا. وأحببت النادي، وبدأت أتعرف على أشخاص يشبهونني، ونستطيع التحادث في موضوعات يعتبرها الآخرون من المحرمات، أو تورطنا في المشاكل.

ونحن في النادي متفقون على خطوط عريضة: العلمانية تعني "كلن يعني كلن"، وضد المنظومة التي خربت البلد. ولا نزال في طور المناقشات السياسية مرة في كل أسبوعين. والجامع الوحيد بيننا أننا ضد الأحزاب كلها. والمشترك بين الأحزاب هو عداواتها. فلحمة "القوات اللبنانية" محورها عداوتها لعون والعونيين ولحزب الله. ولحمة العونيين عداوتهم للقواتين وللحريري و"تيار المستقبل". ونحن نحاول الاقتراب من الناس بعيدًا من هذا الأسلوب. وقررنا إجراء انتخابات النادي في خريف 2021. وحتى الآن لم نضع نظامًا داخليًا للنادي. لدينا فقط قوانين عامة، ولم نشأ أن يكون نظامه مستمد من مثيله في "الجامعة الأميركية"، لأن بيئتنا مختلفة عن بيئة الأميركية.

قبل أن أتخرج من هذه الجامعة - ولبنان ربما، رغم أنني أحب البقاء فيه - أريد أن أكون قد ساهمت بتغيير ما. وما أكرهه في هذه البلاد هو الزبائنية الساسية التي يقوم عليها النظام. وعمل النوادي العلمانية في الجامعات الأخرى واسع ومميز. وبيئتنا الجامعية تقاوم بشدة فكرة العلمانية. وقد تعرضت شخصيًا لحملات تنمر شديدة على وتس آب، لأنني منتسب إلى "النادي العلماني" ومن مؤسسيه. لقد نشروا صوري صغيرًا وراحوا يسخرون مني، وعلم أهلي بذلك. واثنان من المتنمرين من صفي في الجامعة، أحدهم من المتحزبين. وقمنا بحملة توعية ضد التنمر على صفحتنا في أنستغرام، وحصل الفيديو الذي أعددناه على 40 ألف مشاهدة.

وفي النادي العلماني تعرفت على أشخاص بيشبهوني في الجامعة. أحدهم صار صديقي، ولم أكن أتوقع أنه أفكاره تتطابق مع أفكاري. واكتشفت أشخاصًا أعرفهم لم أكن أتصور أنهم يفكرون تفكيرًا مستقبليًا. ولأني ممثل النادي في الكسليك، تعرفت وخالطت في "شبكة مدى" الطلابية أشخاصًا من خلفيات ومناطق وجامعات مختلفة وجديدة عليّ. كنت دائمًا أشعر باستعمال الدين للسيطرة على الناس وبرمجة سلوكهم. وبعض القواتيين والعونيين جذبتهم العلمانية والنادي العلماني، والدفاع عن حقوق المهمشين والمهمشات.

تأثير 17 تشرين على سلوك السياسيين وأحزابهم

أعتقدُ أن الطلاب الذين انخرطوا في المجموعات المستقلة بعد 17 تشرين، كمجموعات النوادي العلماني وسواها، لم يكن ناشطوها منتمين إلى الأحزاب. فأنا لا أعرف ناشطين في أحزاب تخلوا عن أحزبهم، أو بدّلوا أفكارهم. ولا أرى أن السبب إيديولوجي، بل أعيده إلى تعلّقهم بجو أو بمناخ حياة وعلاقات. فأصدقائي الذين يناصرون حزبًا ما، ينتمي أهلهم إلى الحزب الذي يناصرونه. وأكترية الناشطين في الأحزاب ليست الإيديولوجيا الحزبية هي التي تربطهم باحزابهم، بل الحياة العلاقات ونمط الحياة الحزبية. وهم يخافون من

فقدان أجوائهم وعلاقاتهم واهتماماتهم. والذين انخرطوا في المجموعات المستقلة، ربما كانوا مستقلين، أو أن ميولهم الحزبية ضعيفة وغير ناشطين فيها، وقد يكون مصدر ميولهم المستقلة تجارب أهلهم وعائلاتهم.

أظن أن 17 تشرين زودت الناس بالأمل. أنا مثلًا منحتني الأمل بلبنان، بعدما كنت قد فقدته. وإذا كان الوضع الراهن لا يبعث على الأمل، فإنني تعرفت على كثيرين مقبلين على العطاء، وضحوا من منطلقات ومصالح غير شخصية. وهذا يزودني بشيئ من أمل. و17 تشرين طورت أفكاري في النوادي العلمانية والحوارات. وبعد انفجار المرفأ في 4 آب تكثفت لقاءاتنا وحوارتنا. ولم أعد قادرًا على تحمل أي شخص يقول إن ثوار 17 تشرين كذابون ويتقاضون أموالًا. لقد اكتشفت الوجه البشع لمثل هؤلاء الأشخاص. ومن يسخرون من الفقراء لا أطيق وجودهم في حياتي. ولا أعتقد أنني خسرتهم، بل أدرت لهم ظهري. و17 تشرين أظهرت بشاعات مؤيدي الأحزاب. ولو فشلنا - ولا أظن ذلك - علينا ألا ننسى أن منظومة السلطة استمر بناؤها نحو 40 سنة. ومضي سنة ونصف السنة على 17 تشرين، ولا تكفيان لأقول أنها فشلت.

وما أرى أنه إيجابي هو انكشاف أساليب أهل المنظومة السياسية، ولم يعد في وسعهم خداع الناس. وإذا انتقدت امرأة أحدهم لم يعد يسعه التشهير بسمعتها الأخلاقية والجنسية. وإذا قال شاب جامعي رأيه السلبي في أي من أحزابهم، لم هذه الأحزاب بقادرة على تشويه صورة ذاك الشاب. والأرجح أن الزبائنية والاستزلام السياسي لقاء خدمات سيتضاءل من الآن فصاعدًا، إذ لم يعد في وسع السياسيين تقديم خدمات لزبانيتهم. وها هم الآن منكفئين متضامنين في ما بينهم، لأن سقوط أحدهم يعني سقوط الآخرين. والناس صاروا واعين أكثر من ذي قبل. صحيح أن هناك كثيرين ما زالوا يوالون أحزابًا وسياسيين وملحقين بها بهم، لكن حتى بعض المتحزبين امتلكوا شيئًا من الوعي. فبعض الحزبيين وقفوا إلى جانبي عندما تعرضت إلى تنمر من آخرين في الحزب إياه.

أقول هذا، وأنا لا أملك سوى أمل ضئيل بالتغيير في المدى القريب. ولست من السذاجة لأقول أننا سنغير لبنان في العام 2021 مثلًا. لكن أملي كبير على المدى البعيد. فأنا شخص بفكر دائمًا بالأسوأ.

الأزمة الاقتصادية وكورونا

في حياتنا البيتية ما زلنا قادرين على تأمين احتياجات لم يعد سوانا بقادر على تأمينها. لكن نحن الشبان خسرنا أشياء كثيرة: فقدنا طموحاتنا على الصعيد الشخصي. لم يعد يسعنا الحصول على أمور كثيرة نرغبها. وصارت حياتنا مملة وفارغة: نتناول فطورنا ونتغدى ونتعشى، ونعرّج إلى النادي مرتين في الأسبوع لنلتقي أصدقاءنا. وأنا محظوظ مقارنة بكثيرين سواي خسروا كل شيء تقريبًا.

وكانت لدي فرص لمتابعة دراستي في جامعات مهمة في الخارج، لمّا كان سعر صرف الدولار 1500 ليرة. واليوم صار هذا مستحيلًا. لست قلقًا كثيرًا على مستقبلي، لكن ليس هذا ما كنت أطمح إليه قبل سنتين.

وتفشي كورونا ألغى مشاركتي في مسابقة دراسية وإعداد مشروع ممول من الخارج. من قبل كنت أرى مستقبلي باهرًا. لكن اليوم أتوق للتخرج والحصول على عمل. وهذا يؤلمني بعض الشيء. لكني متأكد من أنني سأهاجر بعد سنتين على الأكثر، وامتلاكي خبرات عملية في لبنان. ومن قبل كنت أفكر في اختيار بلدان معينة لهجرتي، أما اليوم فأقول أي بلد يقبلني أهاجر إليه.

والإيجابي في التعلم أونلاين أن الدروس مسجلة، وأستطيع سماعها متى شئت. أما السلبي فيتمثل في أن بعض الأساتذة غير متعودين على الأونلاين، فلا يستطيعون توصيل فكرتهم كما يجب. وما كان يتطلب ساعدة واحدة لفهمه واستيعابه في التعليم الحضوري، صار يتطلب ساعتين. فالحضوري يحثّ على التركيز والانتباه. وبعض الطلاب بيوتهم ضيقة، وهناك من ليس في بيته أنترنت، أو ليس عنده لابتوب. والتعليم الحضوري أفضل لطلاب الجامعات: يحفز على التركيز، ويمكن الطالب من تجاوز أجوائه البيتية وبعض توتراتها، والتواصل المباشر مع زملائه على فنجان قهوة في كافيتيريا الجامعة. وأفادني الحجر في تنظيم حياتي اليومية وواجباتي وتماريني الرياضية، فخسرت 20 كلغ زائدة على وزني المطلوت. فرحت أركض يومبًا ساعتين ونصف الساعة. ولأن صديقتي بيتها قريب من بيتي كنا يوميًا نتبادل الزيارات واللقاءات، وهذا مريح. وجبي للقراءة ملأ بعض وقتي أيضًا. لكن هنالك فرق بين أن تقوم بهذه النشاطات مرتديًا تيابك، وبين قيامك ببعضها مستلق على السرير.